IX 9Marks

٩ علامات للكنيسة الصحيحة

MARK DEVER

مارك ديڤير

تقديم ديفيد پلات

٩ علامات للكنيسة الصحيحة

مارك ديفير

«أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ».

(٣يوحنا ١: ٢)

Originaly published in English under the title
Nine Marks of a Healthy Church
by *Crossway*
ISBN 978-1-4335--3998-5
Copyright© 2000, 2004, 2013 by Mark Dever
All rights reserved

اســم الكتـاب: ٩ علامات للكنيسة الصحيحة

المــــؤلـــف: مارك ديڤير

ترجمـة ونشر: خدمة الحق يحرركم

المطبعـــــة: سان مارك – ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

رقم الإيــداع : ٢٥٤٠٩ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 978-977-90-4473-6

فريق الترجمـة والتحـريـر: شيرى عوض ـ صموئيل إبراهيم ـ سامح عزمي
بهجت عدلي ـ اليزابيث فايز

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:
TSF.Ministry@gmail.com

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب،
أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها،
أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨:٣٢).

خدمة الحق يحرركم هي خدمة غير ربحية، تهدف لتدعيم المؤمنين كأفراد
والكنيسة كجماعة بمحتوى روحي وتعليمي كتابي
من أجل مجد الله وامتداد ملكوته.
نصلي أن تكون خدمتنا سبب بركة لك عزيزنا القارئ في مسيرة إيمانك.
يمكنك متابعتنا على Facebook: خدمة الحق يحرركم
https://www.facebook.com/TSFministry2016/

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

المحتويات

صفحة

تقديم: ١٣

تمهيد للطبعة الثالثة (٢٠١٣) ١٧

تمهيد للطبعة الجديدة الموسّعة (٢٠٠٤) ١٩

مقدمة ٣١

العلامة الأولى: ٤٧

الوعظ التفسيري ٤٩

العلامة الثانية: ٧٧

اللاهوت الكتابي ٧٩

العلامة الثالثة: ١٠١

الإنجيل ١٠٣

العلامة الرابعة: ١٢٧

فهم كتابي للاهتداء «الإيمان بالمسيح» ١٢٩

العلامة الخامسة: ١٥٣

فهم كتابي للكرازة ١٥٥

العلامة السادسة: ١٨٩

فهم كتابي لعضوية الكنيسة ١٩١

العلامة السابعة: ٢١٩

التأديب الكنسي الكتابي ٢٢١

العلامة الثامنــة: ٢٤٩

الاهتمام بالتلمذة والنمو ٢٥١

العلامة التاسعة: ٢٧٧

القيادة الكتابية في الكنيسة ٢٧٩

ملحـــــــق ١:

نصائح لقيادة الكنيسة في اتجاه صِحِّي ٣١٣

ملحـــــــق ٢:

«لا تفعل ذلك!» لماذا لا ينبغي أن تمارس التأديب الكنسي ٣١٩

ملحـــــــق ٣:

رسالة الـ ٩ علامات الأصلية ٣٢٥

ملحـــــــق ٤:

أدوية من الخزانة ٣٣٥

«من المثير للدهشة أن يصف الرسول بولس جماعة المؤمنين المحلية بأنها كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ (أعمال ٢٠: ٢٨). فإن هذا الوصف يرفع من أهمية حياة الكنيسة، وحالتها الصحية، وإرساليتها إلى أقصى درجة. إننا نتعامل هنا مع جماعة من البشر مقتناة بالدم، وبالتالي لا أريد أن أتحدث عن أفكار بشرية، بل أريد فقط أن أعرف ما تقوله كلمة الله عن الكنيسة. ولهذا أنظر بكل رجاء وثقة إلى التزام مارك ديڤير الأصيل بالكتاب المقدس. قليلون اليوم هم الذين يصرفون وقتًا للتفكير بشكل أوسع فيما يجعل من كنيسة ما كنيسة كتابية تنعم بالصحة. وأنا أشكر الله لأجل هذا الكتاب ولأجل الخدمات التي تقوم بها هيئة "9 marks".

جـــون بايـبر

مؤسس خدمة الاشتياق إلى الله (Desiring God)،

ورئيس كلية لاهوت بيت لحم (Bethlehem College and Seminary)

«ما أكثر الكتب التي كُتبت عن الكنيسة ولكنها بلا قيمة تُذكَر. إلا أن هذا الكتاب يختلف كثيرًا. فإننا نادرًا ما نجد كتابًا عن الكنيسة يمزج التأمل الكتابي واللاهوتي الجاد والموثوق به، مع الحكم التقي والصحيح والخبير، والتطبيق العملي. وهذا الكتاب هو أحد هذه الكتب. إن كنت قائدًا مسيحيًا، انتبه جيدًا إلى الكتاب الذي تمسكه الآن بين يديك، فهو قد يغير حياتك وخدمتك».

د. أ. كارسون

أستاذ البحث في العهد الجديد، كلية لاهوت

Trinity Evangelical Divinity

«في زمن يتم فيه تقييم الكنيسة على الأغلب بحسب مظهرها الخارجي، بات أمرًا حيويًا أن نعرف كيف نقيس الحالة الصحية الحقيقية للكنيسة. فبعض الناس يُزيِّنون بمستحضرات التجميل جثث الموتى! أما مارك ديڤير فيقدم في هذا الكتاب المعايير الكتابية اللازمة لتمييز الصحة الروحية للكنيسة، ليس بحسب ما تبدو عليه من الخارج أمام العالم، بل بحسب ما هي عليه من الداخل أمام الله. هذا كتاب ضروري ونافع، وأُوصِي بشدة بقراءته».

جون ماك آرثر

راعي كنيسة النعمة (Grace community Church)،

بسان فالي، كاليفورنيا

«يُعد كتاب «٩ علامات للكنيسة الصحيحة» واحدًا من أفضل الكتب، وأسهلها قراءة، وأكثرها نفعًا، من أجل تعلم كيفية قيادة الكنيسة نحو التغيير الروحي. فهو لا يُسلِّط الضوء على نمو الكنيسة، بل على حالتها الصحية، التي هي الهدف الصحيح لأية خدمة مركزها الله. وكل فصل من فصول الكتاب يقدم لنا الأساس الكتابي للوعظ، أو الكرازة، أو التلمذة، أو أي جانب آخر من حياة الكنيسة، بالإضافة إلى مقترحات عملية في هذه الجوانب. وقد خضعت هذه المبادئ والممارسات العملية للاختبار العملي في خدمة مارك ديڤير الحيوية باعتباره راعيًا رئيسيًا لكنيسة مزدهرة».

فيليب جراهام رايكن

رئيس كلية لاهوت ويتون (Wheaton College)

«لقد صارت أمريكا في عصر ما بعد الحداثة مغمورة بالروحنة، وليس بالمسيحية الأصيلة الحقيقية. ونرى البرهان الواضح على هذا في غياب التعليم

الكتابي في العديد من الجوانب والمجالات. وبما أن حركة الإصلاح لطالما كانت موجهة نحو الكنيسة، فعلينا أن نصليَ كي نرى كنيسة مصلَحة في عصرنا هذا. يهدف مارك ديفير في بيانه الرسمي: "٩ علامات للكنيسة الصحيحة" إلى تعافٍ كتابي حقيقي لكنيسة العهد الجديد. فإن كل صفحة من صفحات الكتاب محمَّلة بتحليلات مدروسة واهتمام جيد. ولا بد أن يكون المكان الحقيقي لهذا الكتاب في يدي كل راعي كنيسة أمين، وأيضًا في أيدي جميع من يُصلُّون لأجل الإصلاح في هذا العصر».

ألبرت مولر

رئيس كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية

Southern Baptist Theological Seminary)

وأستاذ اللاهوت المسيحي بالكلية.

«يرتبط مستقبل المسيحية الكتابية في العالم الغربي ارتباطًا وثيقًا بمستقبل الكنيسة المحلية، وهذا ما يعلِّم به مارك ديفير. لذا يُعد كتابه «٩ علامات للكنيسة الصحيحة» وصفة دوائية كتابية لأجل الوصول إلى الأمانة».

ج. ليجون دانكان

أستاذ اللاهوت النظامي والتاريخي بكلية اللاهوت الإصلاحية،

وراعي الكنيسة المشيخية الأولى بمدينة جاكسون، ولاية ميسيسيبي.

«أقوم في مادة عقيدة الكنيسة التي أعلمها بتكليف تلاميذي بقراءة كتاب «٩ علامات للكنيسة الصحيحة». وعلى الرغم من عدم وصولي إلى الاستنتاجات عينها التي وصل إليها الكاتب، إلا أن الكتاب يعد من الكتب القلائل التي خاضت

مؤخرًا في قضايا كنسية هامة وحاسمة. وهو أيضًا كتاب رائع يمكن لرعاة الكنائس التباحث فيه مع أعضاء كنيستهم».

بايج باترسون

رئيس كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية الغربية

(Southwestern Baptist Theological Seminary)

«هذه مناشدة حماسية وقوية للكنائس كي تضطلع بمسئولياتها بجد، لمجد الله وخلاص النفوس الضالة».

تيموثي جورج

العميد المؤسس لكلية بيسون للاهوت، ومحرِّر عام لكتاب

“Reformation Commentary on Scripture”

(تفسير إصلاحي للكتاب المقدس)

«في هذا الكتاب، يدعو مارك ديڤير الكنيسة إلى إعادة اكتشاف تراثها الكتابي، كما فعل قديمًا مارتن لويد جونز وجون ستوت. وربما لم يحدث في التاريخ القديم قبلًا أن بذلت الكنيسة أقصى ما في وسعها كي تكون ذات صلة بمجتمعها، فصارت بما فعلته أقل صلة بالثقافة المحيطة بها! ففي حين يشجعنا قادة الكثير من الكنائس الحديثة أن نكون «في العالم»، يُذكِّرنا مارك بأن دعوتنا هي أن نفعل هذا دون أن نكون «من العالم». إن صفحات هذا الكتاب مليئة بأحاديث عن «كينونة» الكنيسة وليس عن «عمل» الكنيسة. ففي النهاية، دائمًا ما تسبق الكينونة العمل، إذ أن ما «نعمله» في نهاية الأمر دائمًا ما يتحدد من خلال كينونتنا، أي مَن نحن. دعوا الكنيسة تكون هي الكنيسة! هيا اقرأوا

هذا الكتاب واجنوا ما فيه من فوائد وثمار!».

و.س. هوكينز

رئيس مجلس إدارة المعاشات السنوية لطائفة المعمدانيين الجنوبيين

«كتاب مارك ديڤير هو هدية من السماء لأي راعي كنيسة يصارع مع تساؤلات عن شكل النجاح والأمانة في الكنيسة. فهو يساعد على رؤية ما هو أعمق وأبعد من الشهرة، وجَلَبةِ الأعداد، والإحصائيات، وأحدث المنهجيات، موجهًا إياك إلى المسالك القديمة، وإلى روعة خطة الله للكنيسة المحلية، تلك الروعة التي تغير العالم».

جوشوا هاريس

راعي كنيسة حياة العهد (Covenant life Church)،

بمدينة غايثرسبيرغ، ولاية ميريلاند. ومؤلف كتاب "Dug Down Deep"

«ما أندر الكتب التي تؤكد على أولوية الكنيسة، بل والأندر منها هي تلك الكتب التي تقوم بتعريف الممارسة العملية للكنيسة المحلية من صفحات كلمة الله وليس من خلال الاتجاهات السائدة في المجتمع. هذا هو الكتاب الذي قدمه لنا مارك ديڤير، والذي يُعد أفضل كتاب قرأته في هذا الموضوع ذي الأهمية القصوى، كونه كُتِبَ بيد راعي كنيسة ولاهوتي نجح حقًا في بناء كنيسة محلية صلبة وثابتة في العاصمة واشنطن».

س. ج. ماهاني

خدمات النعمة السيادية (Sovereign Grace Ministries)

تقديم

٩ علامات للكنيسة الصحيحة

ديڤيد پلات

يُخجلني أن أقول إنني اعتدت أن أغفو في أثناء المناقشات التي كانت تدور حول عقيدة الكنيسة (إكليزيولوجي). والسؤال الذي كان يدور بذهني هو: «هل توجد أهمية حقيقية لكل هذا؟» وللأسف، لا أظن أني كنت في هذا وحدي. فنحن المؤمنين في مجتمعنا، وفي جميع أنحاء العالم، نميل إلى الإنقاص من قدر الكنيسة بمختلَف الطرق.

في استقلالنا، واعتمادنا على أنفسنا، واكتفائنا الذاتي، نتجاهل الكنيسة. وتبدو لنا فكرة الخضوع المتبادَل، والمساءلة، والاعتماد المتبادل فكرة غريبة، إن لم تكن أحيانًا مخيفة. بل وفي بعض الأحيان نتباهى باستقلالنا عن الكنيسة، كما يقول بعض المسيحيين الاسميين: «أستطيع أن أنمو في المسيح، بل وأُنجز قدرًا أكبر من العمل لأجل المسيح إن عمِلته بنفسي، من دون الكنيسة».

علاوة على ذلك، فإننا بتمسُّكنا بالبراجماتية نُلوِّث الكنيسة ذلك لأننا نُسلِّط اهتمامنا على ما ثَبَتَ نجاحه عمليًا. أما إن بدا شيء ما غير فعال عمليًا وفقًا لمقاييسنا الخاصة للنجاح، إذًا لا بد أن هذا الشيء غير صالح. وفي أحيان كثيرة، وبِنيَّة سليمة، نفعل كل ما يتطلبه الأمر لنجذب أكبر عدد ممكن من الناس إلى الكنيسة، ولكننا في أغلب الأحيان، عن جهل، نُعرِّض كلمة الله للخطر حين نقبل ببراعة

بحلول وسط في سعينا لما يُسمى دعوة العالم للاهتداء. وفيما نجتذب الناس إلى داخل الكنيسة، ينتهي بنا الأمر إلى أن نلوث هذه الكنيسة عينها التي نجتذبهم إليها.

إننا أيضًا نُنقص من قدر الكنيسة في إرسالياتنا؛ فقد نشأَتْ في جميع اتجاهات مجتمعنا المسيحي منظمات موازية للكنيسة تسلط الضوء على أوجه مختلفة من الخدمة، ومع ذلك فالكثير منها فعليًا يتجاهل الكنيسة المحلية، أو يقوم بالتخفيف من أهميتها بطرق خطيرة. إن العديد من هذه المنظمات الإرسالية يتفاخر بزرعها الآلاف من الكنائس في مختلف البلاد، ومع ذلك فإن تعريفهم "للكنيسة" هو بكل صراحة غير صحيح. ذلك لأن تشييد مبنًى أو اجتماع اثنين أو ثلاثة من المؤمنين لا يمكن أن نطلق عليه كتابيًا اسم كنيسة. إن أردنا حقًا أن نتمم الإرسالية العظمى، فسيكون من الحكمة ألا نَحُطّ من قدر «الأداة» التي وعد الله بأن يباركها لانتشار الإنجيل في العالم وهي: الكنيسة المحلية.

كما أننا نُنقص من قدر الكنيسة حين نرفع من قدر موروثاتنا وتقاليدنا فوق حق الله. فإن الكثير من منهجياتنا في الكنيسة اليوم مؤسس على الطرق التي اعتمدناها من قبل وليس على الكلمة السرمدية التي تكلم بها الرب. إننا نُولي أهمية لخياراتنا أكثر من تلك التي نوليها لأولويات الله، صرنا ننظم كنائسنا بحسب ما هو أكثر إرضاءً لنا وليس بحسب ما هو أكثر إخلاصًا للمسيح. وفي النهاية، نقوم بتعريف الكنيسة عمليًا بحسب راحتنا الشخصية، فتصير الكنيسة جيدة إن وفَّرت لنا الشعور بالراحة. ولهذا فإننا نتأرجح جيئة وذهابًا من كنيسة لأخرى باحثين عن المكان والبرامج الأكثر تلبية لحاجاتنا.

ولهذه الأسباب جميعها، ما أحوجنا في عصرنا هذا إلى الاستماع لما يقوله الله عن كنيسته. وبدلًا من أن نُنقص من قيمة الكنيسة وقدرها، نحتاج إلى استعادة اعتزازنا بها. فبعيدًا عن الاتجاهات السائدة في المجتمع والموروثات الكنسية التي

تهيمن على فكرنا المعاصر، نحن في حاجة إلى أن نسأل الله هذا السؤال: «ما الذي تراه ذا قيمة في كنيستك؟».

نحتاج أن نطرح هذا السؤال في الكنيسة لأننا نريد مجد الله في هذا العالم. قال يسوع في يوحنا ١٧ إن الغرض من وحدة الكنيسة هو أن تكون انعكاسًا للاهوت. العالم الذي يشاهدنا سيعرف حقًا أن الله قد أرسل يسوع حين يرى مجده مستعلنًا في شعبه (يوحنا ١٧: ٢٠-٢٣).

نحتاج أن نسأل الله عما يراه ذو قيمة في كنيسته، ليس لأننا نريد مجده فحسب، بل أيضًا لأننا نحب ابنه محبة شديدة ونُقدِّر قيمة روحه القدوس. إن يسوع هو من أسس الكنيسة، وهو الذي يُنْمِيها، ولذا ليس من حقنا التلاعب بها. يسوع هو من اقتناها، بحسب كلمات أعمال ٢٠: ٢٨ «كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ»، وهي الموضع المختار لسكنى روح الله القدوس (١ كورنثوس ٣: ١٦، ١٧؛ أفسس ٢: ١٩-٢٢).

نحتاج أن نسأل الله عما يراه ذا قيمة في كنيسته أيضًا لأننا نحب إنجيله في حياتنا، ونريد أن نتمم إرساليته في هذا العالم. الكنيسة هي الوسيلة التي أسَّسها الله للدفاع عن هذا الإنجيل، وإعلانه عمليًا، والمناداة به. فقد صمم الله جماعة الإيمان المتميزة هذه المدعوة كنيسة بغرض إشباع وإمتاع شعبه فيما ينشرون نعمته بين جميع الشعوب.

ونتيجة لكل هذا، فإننا نحتاج، ونرغب، بل ونتوق، إلى سماع كلمة الله بشأن مشيئته لكنيسته. ولهذا أنا أشكر الله جدًا على هذا الكتاب، الذي بخلاف أي كتاب آخر ترك أثرًا عظيمًا في نفسي باعتباري راعيًا يَسبَح في بحر من المبادئ والممارسات لأجل نمو الكنيسة وصحتها، وترك أثرًا أيضًا في فهمي للكنيسة. هذا الأثر يرجع إلى حقيقة أن هذا الكتاب مؤسس على كلمة الله؛ فإن العلامات

التسع المذكورة فيه قد لا تكون هي العلامات التي ترى على الفور أنها مركزية في الكنيسة، فقد ترى أن البعض منها محل شك والبعض الآخر مثير للجدل. لكن يا إخوتي، هذه العلامات التسع كتابية، ولهذا السبب قيمتها كبيرة.

لم يكتب مارك ديڤير هذا الكتاب محاولًا إرضاء الاتجاهات والميول الشائعة في عصرنا، بل كتبه ساعيًا لأن يكون أمينًا تجاه الحق الإلهي الذي يتخطى حدود كل عصر. وقد ازداد فرحي لصدور طبعة جديدة منه، والتي أثق أنها شهادة عن سمو كلمة الله فوق الزمن. بالإضافة إلى ذلك، يُعد هذا الكتاب شهادة أيضًا عن راعي وشعب كنيسة كابيتول هيل المعمدانية بالعاصمة واشنطن. تراهم أنفسهم يقرون في اتضاع بأنهم ليسوا الكنيسة المثالية، لكن بعد قضائي ساعات طوال وسط المؤمنين هناك، وبعد عدة أيام قضيتها في الكواليس مع هذا الراعي، وبعد العبادة، والصلاة، والخدمة جنبًا إلى جنب معهم، أستطيع بكل يقين أن أوصي ليس فقط بهذا الكتاب، ولكن أيضًا أُثني على هذا الراعي وشعب كنيسته. أقول ببساطة إنهم يشكلون معًا صورة واضحة، وجميلة، ومؤثرة، ونابضة بالحياة، وفوق الكل صورة كتابية لعروس المسيح.

وتباعًا، فإن رجائي وصلاتي هما أن تتواجد هذه العلامات التسع بتزايد يومًا بعد يوم في الكنيسة التي أقوم برعايتها، وفي الكنائس في أنحاء مجتمعنا، وفي أنحاء العالم أيضًا. ليتنا نكف عن الإنقاص من قدر الكنيسة، ونعتز بها ونرعاها بوسائل وطرق تعكس نعمة الله لنا وتردد أصداء مجد الله من خلالنا، «وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ» (أفسس ٣: ٢٠-٢١).

تمهيد للطبعة الثالثة (٢٠١٣)

القليل من الكُتّاب من تتاح له فرصة ثالثة لنقل رسالته لقارئيه. وفيما أُنهي هذه الطبعة المنقحة، أصِل إلى ختام عشرين عامًا من خدمتي في رعاية الكنيسة نفسها. فحين قدمت هذه السلسلة من العظات لأول مرة في الكنيسة، لم يكن قد مضى على وجودي في منصب الراعي سوى أقل من خمسة أعوام، وكانت عائلتي لم تزل صغيرة السن، والكنيسة ضئيلة وعجوز. الآن صارت الكنيسة كبيرة وأكثر شبابًا، وصارت عائلتي أصغر وأكبر سنًا. ومن منظور هذا التغيير الذي وقع شرعت مرة أخرى في معالجة موضوع صحة الكنيسة.

وأنا في غاية الامتنان لأصدقائنا في دار نشر كروسواي لأجل هذه الفرصة التي أتاحوها لي، فقد عاونني لاين دينيس، وأل فيشر، وكثيرون آخرون في الخدمة أولًا قبل أن يقترحوا عليَّ لأول مرة كتابة هذا الكتاب منذ خمسة عشر عامًا.

والعلامات التسع التي اخترت الحديث عنها هي وثيقة الصلة جدًا بنا في هذه الأيام تمامًا كما كانت حينئذ. ومع أن العديد من الجوانب الأخرى في الكنيسة يمكن أن يفيدنا الحديث عنها، لكني أود أن أركِّز على تلك العلامات الرئيسية، إذ لم تسفر الأحاديث التي دارت بيني وبين رعاة وقادة كنائس في خلال كل هذه الأعوام عن شيء يجعلني أغير من رأيي.

في هذه الطبعة الثالثة المنقَّحة، قمت بإضافة بعض الحجج (على سبيل المثال: في الوعظ التفسيري، وطبيعة الإنجيل، والمذهب التكاملي)، وتحديث بعض الأمثلة

التوضيحية، وتغيير وإضافة بعض الملاحق، إلا أن الهيكل الأساسي للكتاب ظل كما هو.

وقد قدم لي عدد كبير من الأصدقاء عونًا كبيرًا في عملية التنقيح، ولا يسعني أن أذكرهم جميعهم هنا، لكن مع ذلك لا يمكنني إغفال ثلاثة أسماء، نظرًا للاهتمام الكبير الذي أولوه لهذا المشروع، والمساعدة التي قدموها لي، وهم: مايك ماكينلي، وبوبي جاميسون، وجيم أوينز. وفوق الكل، أود أن أشكر زوجتي العزيزة التي قرأت الكتاب بكامله مرة أخرى، وأبدت بعض الملاحظات والتعليقات العميقة والمفيدة لأجل تحسينه.

وكما هو الحال في كل طبعة، ليعتبر القارئ جميع الأخطاء التعبيرية أو الأخطاء في الحكم على الأمور بأنها أخطائي الشخصية، لكن ليتمجد الله من كل منفعة وتأثير جيد يُحدِثه هذا الكتاب.

مـارك ديڤـير

راعي كنيسة كابيتول هيل المعمدانية

واشنطن العاصمة سبتمبر ٢٠١٢

تمهيد للطبعة الجديدة الموسَّعة (٢٠٠٤)

مرور عشرة أعوام على تطبيق العلامات التسع

بينما أكتب هذا التمهيد للطبعة الجديدة الموسَّعة من كتاب «٩ علامات للكنيسة الصحيحة»، أكون على وشك الاحتفال بمرور عشرة أعوام على رعايتي للكنيسة نفسها. وربما تبدو هذه الفترة لبعض من يقرأون هذا الكلام دهرًا من الزمن، بينما قد يبدو لآخرين أني قد بدأت لتوي. وكي أكون صادقًا، أنا أشعر حيال ذلك بكلا الأمرين.

أعترف بأن رعاية كنيسة قد تبدو أحيانًا عملًا صعبًا وشاقًا؛ فقد مرت أوقات لم تكن دموعي التي ذرفتها هي دموع الفرح، بل دموع الإحباط، أو الحزن، أو ما هو أسوأ من ذلك. فإن أقل الناس رضًا عن الكنيسة، ومن يرحلون عنها، هم غالبًا أكثر من تطلبوا منا وقتًا، وهم أكثر من وبخوا آخرين على رحيلهم، وأحيانًا لم يكن توبيخهم هذا بنَّاءً أو مشجعًا. فهم لم يعطوا اعتبارًا لتأثير أفعالهم على الآخرين، أي الراعي، وعائلته، ومن أحبوهم وعملوا معهم، والمؤمنين الأحداث المرتبكين، وآخرين ممن وبخوهم بشكل غير صحيح. أيضًا بعض الأشياء التي أفعلها لا تؤدي إلى نتائج جيدة، وبعض الأشياء الأخرى أتولى عملها وحدي دون سواي، وبعض الأماني لا تتحقق، بل وبين الحين والآخر تقتحم المآسي المشهد. فمن طبيعة الأغنام أن تضل وتحيد، ومن طبيعة الذئاب أن تفترس. وأظن أني إن لم أتمكن من التعامل مع هذا ومواجهته، فسيكون عليَّ حينئذ أن أترك عمل الرعاية.

لكن كي أكون أمينًا، أقول إن غالبية عملي مبهج! فأنا أشكر الله لأجل تلك المرات الكثيرة التي ذرفت فيها دموع الفرح. فبنعمة الله، تضاءل عدد من يرحلون عن الكنيسة مستائين في مقابل عدد من يرحلون عنها بدموع الامتنان، وفي مقابل الأعداد التي تدخلها. لقد شهدنا في كنيستنا نموًا لم يكن مثيرًا إن قورن بسنوات سابقة، لكنه مع ذلك يفاجئني ويذهلني حين أتوقف لأنظر إلى الماضي. لقد رأيت شبابًا كثيرين يهتدون للإيمان بالمسيح، ثم ينخرطون في الخدمة. وبينما أكتب هذه السطور، أتذكر رَجُلين كانا صديقين لي قبل إيمانهما، وهما الآن ضمن طاقم الرعاة. فقد قمت بدراسة إنجيل مرقس معهما، وبنعمة الله رأيتهما يُقبلان إلى معرفة الرب، والآن أنا أجلس وأستمع إليهما يكرزان برسالة الإنجيل الأزلية لآخرين. وها عيناي قد اغرورقت بالدموع وأنا أكتب هذه الكلمات.

لقد ازدهرت الكنيسة ككل، وهي تبدو كنيسة صحية بصورة واضحة، كما يتم التعامل مع التوتر في العلاقات بطرق تقية، ويبدو أن جذور فكر التلمذة قد تأصلت في الكنيسة. أيضًا يخرج الناس من هنا إلى كليات اللاهوت، أو إلى عملهم كمعلمين، أو مهندسين، أو رجال أعمال بعزيمة أكبر في عملهم وكرازتهم على حد سواء. كما أننا شهدنا في الكنيسة عقد العديد من الزيجات، وبداية تكوين عائلات شابة، ورأينا أيضًا رموزًا سياسية يتم تعليمهم فيما يختص برؤيتهم الكونية، ورأينا مؤمنين من جميع الفئات والأعراق يتلقون مساعدة في فهمهم للإنجيل. كما يُطبَّق التأديب الكنسي بشكل جيد لإقناع من يخدعون أنفسهم بخطئهم. وقد تفوَّق الفرح على الألم، ويبدو أن نعمة الله من نحونا تكثر مع كل نفس نتقابل معها.

وكلما تعلَّم أعضاء الكنيسة من كلمة الله، ازدادت شهيتهم للتعليم الصحيح، ونما بداخلهم إحساس ملموس بالتوقع، فحيثما يجتمعون تجد الحماس والتلهف. كما يتلقى القديسون المتقدمون في العمر الرعاية اللازمة خلال أيامهم الصعبة؛ فقد احتفلت مجموعة من الشباب الأصغر سنًا في الكنيسة بعيد ميلاد رجل عزيز على

قلوبنا أتم السادسة والتسعين من عمره، وقاموا باصطحابه إلى مطعم ماكدونالدز (مطعمه المفضل)! فضلًا عن ذلك، مدت الكنيسة يد المساعدة لزيجات معتلة، واختبر أشخاص مجروحون شفاء الله، وصار الشباب يُقدِّرون الترانيم القديمة، والشيوخ صاروا يحبون الترانيم الحماسية التي يرنمها فريق المرنمين. وقد صُرفت ساعات لا حصر لها في خدمة صامتة وهادئة لبناء الآخرين، ورُفعت صلوات لأجل اتخاذ قرارات جريئة حاسمة، وتم اتخاذها بالفعل، والاحتفال بها. وبشكل يومي، تتكون صداقات جديدة، كما أن بعض الشباب الذين قضوا معنا أوقاتًا هنا هم الآن يرعون كنائس أخرى في كنتاكي، وميشيجان، وجورجيا، وكونيتكيت، وإيلينوي، ويبشرون في هاواي وأيوا. أيضًا ازدادت التقدمات للإرساليات من بضعة آلاف من الدولارت سنويًا إلى مئات الآلاف، وازداد شعورنا بالتعاطف تجاه الضالين وغير المؤمنين. يمكنني أن أسترسل أيضًا في حديثي هذا وأذكر المزيد، فمن الواضح أن الله كان صالحًا معنا، وأننا نعمنا بصحة جيدة.

تغيير فجائي

حين أتيت إلى هذه الكنيسة، لم أكن أخطط لحدوث كل هذا، فأنا لم آت ومعي خطة أو برنامج يُحدِث كل هذا، بل جئت بالتزام وتعهد تجاه كلمة الله بأن أبذل نفسي لمعرفتها، والإيمان بها، وتعليمها. وقد رأيت الخطر الذي تشكله آفة عضو الكنيسة غير المؤمن، وكنت قلقًا بشكل خاص بشأنها، لكن لم تكن لدي استراتيجية مدروسة بدقة للتعامل مع المشكلة.

شاءت عناية الله لي أن يركز موضوع رسالة الدكتوراة التي حصلت عليها على كتابات رجل تطهري بيوريتاني اسمه ريتشارد سايبس. وقد أحببت ما كتبه عن المؤمن الفرد، لكني كلما تمعنت أكثر في قراءة تصريحاته عن الكنيسة بدت لي غير حكيمة. فإن الكنائس المريضة لا تمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للمؤمنين الأصحاء، لكنها في المقابل تشكل عبئًا ثقيلًا مُجهدًا على نمو المؤمنين الجدد والضعفاء، فهي

تفترس من لا يفهمون كلمة الله جيدًا، وتُضِل الأطفال الروحيين، حتى أنها تحرم غير المؤمنين من آمالهم التطلعية بوجود وسيلة أخرى للحياة. فإن الكنائس السيئة والعليلة هي قوة فعالة بصورة بشعة ومخيفة في مقاومة العمل التبشيري. وإني لأتألم بشدة بسبب الخطية في حياتي الشخصية، وصورتها الجماعية في حياة الكثير جدًا من الكنائس. فهذه الكنائس تبدو وكأنها تصوِّر يسوعَ كاذبًا حين وعد بحياة أفضل أي بملء الحياة (يوحنا ١٠: ١٠).

وقد أصبح هذا الفكر مركزيًا بشكل أكبر في حياتي في عام ١٩٩٤ م، حين تولَّيت منصب الراعي الرئيسي للكنيسة التي لا أزال أخدم بها الآن. وقد شكَّلَت هذه المسئولية عبئًا ثقيلًا على ذهني، ولاحت أمامي واضحة نصوص كتابية مثل يعقوب ٣: ١ «نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!»، وعبرانيين ١٣: ١٧ «سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا»، وتآمرت جميع الظروف معًا كي تسلط الضوء أمامي على الأهمية التي يوليها الله للكنيسة المحلية. وتذكرت تصريحًا قاله جون براون، وهو راعي اسكوتلندي ومدرِّب للرعاة في القرن التاسع عشر، في رسالة أبوية منه إلى أحد تلاميذه الذي كان قد عُيِّن حديثًا لرعاية كنيسة صغيرة:

«أنا أعلم بُطل قلبك، وأنك تشعر بالخجل من قلة عدد جماعة المؤمنين بكنيستك، بالمقارنة بالكنائس الأخرى التي يرعاها إخوتك من حولك. لكن طمئن نفسك بكلمة رجل شيخ، أنك حين تتقدم لتعطي حسابًا عن هؤلاء أمام السيد المسيح، عند كرسي دينونته، حينئذ ستفكر في أنك حظيت بالفعل بالعدد الكافي»[١].

وحين نظرتُ إلى أعضاء الكنيسة التي تولَّيتُ مسئولية رعايتها، شعرت بثقل هذا الحساب الذي سأعطيه أمام الله.

لكن في النهاية، وعن طريق إلقائي لبعض العظات التفسيرية، والانتقال في تسلسل من سفر إلى آخر، ازدادت أمامي مركزية جميع تعاليم الكتاب المقدس عن

الكنيسة، وبدا لي أن ادعاء كوننا مؤمنين دون أن نحب بعضنا بعضًا هو أمر يدعو للسخرية. كما امتزجت جميع العظات التي سمعتها عن إنجيل يوحنا ورسالة يوحنا الأولى معًا مع دراسة الكتاب المقدس في رسالة يعقوب في يوم الأربعاء من كل أسبوع لمدة ثلاثة أعوام، بالإضافة إلى أحاديث وحوارات أجريت حول العضوية الكنسية والعهود الكنسية.

وبدأت النصوص الكتابية التي تحوي عبارة «بعضكم بعضًا»، «كل واحد للآخر» تنبض بالحياة، وتُجسِّد الحقائق اللاهوتية التي عرفتها عن عناية الله بكنيسته. وفيما كنت أعظ من رسالة أفسس ٢–٣، اتضحت أمامي مركزية الكنيسة في خطة الله كي يعرِّف من خلالها الكائنات السماوية بحكمته. وحين تحدث بولس إلى شيوخ أفسس، أشار إلى الكنيسة باعتبارها شيئًا «اقتناه (الله) بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨). وبالتأكيد، في وقت سابق لهذا، وعلى طريق دمشق، حين وضع الله نهاية لمسيرة اضطهاد شاول للمسيحيين، لم يسأل المسيح المُقام شاول عن سبب اضطهاده لأولئك المسيحيين، أو حتى للكنيسة، بل اتحد المسيح بكنيسته حتى أن السؤال الذي طرحه على شاول متهمًا إياه فيه كان: «لماذا تضطهدني؟» (أعمال ٩: ٤)، فقد كانت الكنيسة كما اتضح هنا عنصرًا محوريًا في خطة الله الأزلية، وفي ذبيحته، وكانت أيضًا بؤرة اهتمامه المستمر.

لقد توصلت أيضًا إلى أن المحبة هي شيء محلي إلى حد كبير، وأن الكنيسة المحلية هي الموضع المعهود إليه إعلان هذه المحبة كي يراها العالم كله. فهكذا علَّمَ يسوع تلاميذه في يوحنا ١٣: ٣٤–٣٥ «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ». لقد رأيت أصدقاء وعائلات تتغرَّب عن المسيح وتتجنبه لأنهم رأوا أن هذه الكنيسة المحلية أو تلك كانت مكانًا بشعًا. وعلى الصعيد الآخر، رأيت أصدقاء وعائلات يُقبِلون إلى المسيح لأنهم رأوا تلك

المحبة عينها التي عاشها المسيح وعلَّمَ بها، محبة «بعضكم بعضا»، أي نوع المحبة غير الأنانية التي أظهرها يسوع، وشعروا بالانجذاب البشري الطبيعي لها. وهكذا ازدادت مركزية الكنيسة – جماعة المؤمنين المحلية، أي شعب الله المنادي بالكلمة – فيما يتعلق بفهمي عن الكرازة، وكيفية الصلاة والتخطيط للكرازة. إن الكنيسة المحلية هي خطة الله للكرازة، وهي برنامج الله للكرازة.

على مدار هذه العشرة أعوام، أصبحت جماعة المؤمنين محورية في فهمي لكيفية تمييز الاهتداء أو الايمان الحقيقي في حياة الآخرين، وكيفية حصولنا على يقين الخلاص هذا أنفسنا. أتذكر نصًا سبب لي صدمة كبيرة حين كنت أُعد عظة منه، وهو ١يوحنا ٤: ٢٠–٢١ "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟. . . مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا". ويقدم يعقوب ١ و ٢ الرسالة عينها، هذه المحبة على ما يبدو ليست شيئًا اختياريًا.

ومؤخرًا، ولَّد هذا الفكر الخاص بمركزية جماعة المؤمنين في ذهني احترامًا جديدًا للتأديب الكنسي في الكنيسة المحلية، سواء على مستوى التشكيل الروحي أو التأديبي. وقد شهدنا في كنيستنا بعض الحالات المؤلمة، وبعض الشفاءات الرائعة. ومن الواضح أننا جميعًا لا نزال مشاريع طور البناء التدريجي. لكن صار من الواضح جليًا أننا إن أردنا أن نعتمد بعضنا على بعض في كنائسنا، فلا بد للتأديب أن يكون جزءًا من عملية التلمذة. وإن كان ينبغي لذلك النوع من التأديب الذي نراه في العهد الجديد أن يوجد فيما بيننا، فلا بد أن نعرِف الآخرين جيدًا ونُعرَف منهم، ولا بد أن نكون ملتزمين ومخلصين أحدنا تجاه الآخر. كما لا بد أن تتواجد لدينا بعض الثقة في السلطة، فإن جميع التطبيقات العملية على الثقة في السلطة في مجالات الزواج، والمنزل، والكنيسة تظهر على الصعيد المحلي. ويبدو أن إساءة فهم هذه القضايا، والامتعاض والنفور من السلطة هي على الأرجح أسباب

السقوط الرئيسية. وفي المقابل، فإن فهم هذه الأمور يكاد يكون هو قلب عمل الله الكريم لإعادة تأسيس وترسيخ علاقته بنا، تلك العلاقة التي هي مزيج من السلطة والمحبة معًا. وقد توصلت إلى إدراك أن الارتباط بكنيسة محلية هو أمر محوري في التلمذة الفردية، فالكنيسة ليست شيئًا اختياريًا إضافيًا، بل هي صورة تبعيتك للمسيح. وقد توصَّلْتُ إلى إدراك هذا الآن بطريقة لم أدركها قبل أن آتي إلى هذه الكنيسة. وأظن أني الآن أختبر شيئًا من الصحة التي يقصد الله أن نختبرها في الكنيسة.

ما لا يقدمه هذا الكتاب:

ينبغي أن أقول كلمة أخرى بخصوص ما لا يقدمه هذا الكتاب. دعوني أستبق إحباطكم من الكتاب، فإنه يتغاضى عن الكثير من المواضيع، وربما لم نتمكن من تغطية الكثير من موضوعاتنا المفضلة. وبقراءتي لهذا الكتاب مرة أخرى الآن، بعد بضعة سنوات أيضًا من قراءة آخرين له، صرت أكثر وعيًا بالكثير الذي أغفلت ذكره. فقد قال لي بعض الأصدقاء: «وماذا عن الصلاة؟» أو «أين العبادة؟» كما سألني جون بايير: «لماذا لم تذكر شيئًا عن الإرساليات؟» حقًا أنا لا أحب أن أخذل أصدقاء صرفوا وقتًا في قراءة الكتاب، وبالتأكيد لا أود أن أخذل جون بايير! لكن هذا الكتاب ليس تعليمًا شاملًا عن عقيدة الكنيسة، فقد جاءتنا أفكار جيدة عن «المزيد من العلامات» التي يمكن إضافتها، ربما في طبعة لاحقة.

لكننا قررنا ألا نفعل هذا، فأنا لا زلت أعتقد أن الأخطاء الشائعة في تطبيق هذه العلامات التسع على وجه الخصوص هي المسئولة عن الكثير جدًا من سوء الأوضاع في كنائسنا. ويبدو لي أن استمرار محاولة لفت انتباه المؤمنين إلى هذه العلامات على وجه الخصوص أمر حكيم، واستراتيجي، وأمين، وببساطة صحيح. فإن المزيد من الإرساليات، والصلاة المثابرة، والعبادة الرائعة، جميعها ستأخذ أقوى دفعة تشجيعية عن طريق مراعاة هذه القضايا الرئيسية. فلا أحد سيصدق الاحتياج

الذي تقتضيه الإرساليات إن لم يتعلم عن ذلك الاحتياج من كلمة الله، ولا أحد سيذهب في إرسالية إن لم يفهم جيدًا خطة الله العظيمة ليفدي شعبًا لنفسه. وبالتالي لا أحد سيُبلِي بلاءً حسنًا في إرساليته إن لم يفهم رسالة الإنجيل.

أيضًا إن بدأ الناس حقًا في التفكير باهتمام أكبر في عملية الاهتداء، فإن هذا سيؤثر على صلواتهم. وإن صرنا كتابيين بشكل أكبر في ممارستنا للكرازة، سنجد أنفسنا نصرف مزيدًا من الوقت في الصلاة لغير المؤمنين، وسنصير أكثر إدراكًا للسبب الذي لأجله لا بد أن نصلي كي يهتدي الناس إلى الإيمان بالمسيح. وإن وصلنا إلى فهم جيد عن العضوية الكنسية الكتابية، ستزداد مركزية أوقات صلاتنا الجماعية بالنسبة لإيماننا، وستصير أكثر حضورًا، وأكثر تقوية لإيماننا، كما سنجدها أيضًا أكثر تحديًا لأولوياتنا، فتعيد ترتيبها من جديد.

وإن عُدنا نقدِّر أهمية التأديب الكنسي، فإن أوقات صلواتنا الجماعية ستمتلئ بالمزيد من الشعور بالخشية والمهابة أمام نعمة الله. وإن وجدنا أنفسنا في كنائس تمتاز يومًا فيوم بالتلمذة، وبالأعضاء المزدهرين روحيًا، فإن الحماس والتطلع إلى التسبيح والحمد الجماعي، والاعتراف بالخطايا سينميان معًا. وإن اجتهدنا كي نجعل من تتوفر فيهم مؤهِّلات الكتاب المقدس هم قادتنا، فإننا سنجد الفرح والثقة ينميان معًا في أوقاتنا التي نقضيها معًا، وسنكون أكثر حرية وانتعاشًا في أوقات اجتماعنا، وستصير طاعتنا أكثر ثباتًا.

هذا الكتاب ليس قائمة شاملة عن كل العلامات المميزة للحياة الصحية الجيدة للكنيسة، بل المقصود منه أن يكون قائمة للعلامات المحورية التي ستؤدي بالفعل إلى ملء هذا الاختبار.

كنيسة ذات منظور خارجي

إن لزم حقًا أن أضيف علامة أخرى على ما أنتم على وشك قراءته، فهي لن تكون الإرساليات أو الصلاة أو العبادة، لكن ما سأضيفه سيتناول هذه جميعها. وأظن أني سأختار أن أضيف أننا نريد لكنائسنا أن تكون ذات منظور خارجي. فمع أن تركيزنا لا بد أن يوجَّه ناحية الأعلى، أي أن محوره يكون هو الله، أظن أننا من المفترض أيضًا أن نعكس محبة الله فيما ننظر خارجًا إلى أناس آخرين وكنائس أخرى.

يمكن لهذا أن يُترجَم بعدة طرق. فأنا أتوق لكنيستنا أن تجيد الجمع بين رؤيتنا للإرساليات الخارجية ومجهوداتنا في الكرازة المحلية. فإن كنا جادين في تعهدنا بالمساعدة في الكرازة لجماعات عِرْقِيَّة خارج البلاد لم تصلها بعد رسالة الإنجيل، فلِمَ لم نقم بعملنا جيدًا للعثور على ممثلين لهذه الجماعة في الدائرة المحيطة بكنيستنا؟ لِمَ لَمْ تمتزج إرسالياتنا وكرازتنا معًا بشكل أفضل؟

نحن نصلي بالفعل في الصلاة الراعوية في صباح كل أحد لأجل ازدهار الإنجيل في أراضٍ أخرى وعبر جماعات محلية أخرى. وفي هذه الأيام بالتحديد، قمنا بضم شخص ما إلى فريق العمل ليساعدنا في زرع كنيسة أخرى. فإننا ككنيسة نساعد في رعاية مؤسسة "9 marks"، ومن خلالها نعمل مع كنائس أخرى كثيرة لأجل فائدتها. كما لدينا أماكن خاصة حيث نستقبل في عطلات نهاية الأسبوع ضيوفنا من الرعاة والشيوخ، ومعلمي اللاهوت، وآخرين من قادة الكنائس لقضاء العطلة معنا. فيجلسون جميعهم معًا في اجتماع شيوخ حقيقي، وفي فصول حقيقية لتعليم الأعضاء. وفي هذه الاجتماعات نقدم محاضرات خاصة، ونستقبل الحضور في بيوتنا لتناول الطعام وتبادل الأحاديث. كما لدينا أيضًا برامج تدريب لمن يستعدون لتولي مناصب الرعاية، ولدينا مناهج نكتبها وعظات نقدمها، وكل هذا لأجل بنيان كنائس أخرى. وبصفتي راعي كنيسة، أنا متيقن أني في حاجة لإدراك أن الكنيسة

المحلية الخاضعة لإشراف الله هي المسئولة أن تقيم الجيل القادم من القادة. فلا توجد كليات لاهوت، أو محاضرات، أو دراسات يمكنها أن تفعل هذا. إن إقامة قادة جدد، لبلادنا هنا وللخارج، لا بد أن تكون أحد أهداف كنيستنا.

وبالنظر إلى الماضي، تشجعت كثيرًا حين رأيت عمل الله هنا وفي العديد من الكنائس الأخرى. وفي حياة أعضاء هذه الكنيسة معًا رأيت مظاهر الصحة واضحة جليًا، ومبهجة، ومتزايدة، معطية المجد لله.

بعض الناس لا تعجبهم هذه الصورة التي استخدمناها عن "الحالة الصحية"، وربما يظنون أنها أكثر تمركزًا حول الإنسان، أو أنها صورة علاجية وطبية بشكل زائد عن الحد. لكنني بعد أن فكرت في هذا مليًا، بدت لي صورة "الحالة الصحية" جيدة للغاية أكثر فأكثر، إذ أنها تعبِّر عن السلامة، والاكتمال، والاستقامة، والجودة.

لقد تحدث يسوع عن صحة أجسادنا كتشبيه لحالتنا الروحية (انظر متى ٦: ٢٢-٢٣ [لوقا ١١: ٣٣-٣٤]؛ انظر أيضًا ٧: ١٧-١٨)، وقال: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيب بَلِ الْمَرْضَى» (متى ٩: ١٢ [مرقس ٢: ١٧؛ لوقا ٥: ٣١]). كما شفى يسوع أجساد الناس ليشير إلى الصحة التي كان يقدمها لأرواحهم (انظر متى ١٢: ١٣؛ ١٤: ٣٥-٣٦؛ ١٥: ٣١؛ مرقس ٥: ٣٤؛ لوقا ٧: ٩-١٠؛ ١٥: ٢٧؛ يوحنا ٧: ٢٣). أيضًا تابع التلاميذ في سفر الأعمال خدمة الشفاء وجلب الصحة ذاتها لمجد المسيح (أعمال ٣: ١٦؛ ٤: ١٠).

كما استخدم بولس تشبيهًا عن الكنيسة باعتبارها جسد المسيح، ووصف ازدهارها بصور عضوية كالنمو والحالة الصحية. على سبيل المثال، كتب بولس: «بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ

كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ». (أفسس ٤: ١٥-١٦). ووصف بولس التعليم الصحيح في تيطس ٢: ١ على أنه تعليم «صحيح»، أو «صحِّيٍّ» (healthy). وفي تحية يوحنا لأخيه المؤمن غايس قال: «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ». (٣ يوحنا ٢).

لا شيء من هذا يفترض أن إرادة الله لأولاده هي أن يختبروا صحة جسدية جيدة في هذه الحياة، بل هو يقول ببساطة إن الصحة الجسدية هي صورة طبيعية أجازها الله نفسه للتعبير عما هو صحيح وسليم. وكما ذكرت سابقًا، أن بعض المؤمنين بدافع قلقهم من الثقافة العلاجية الخاطئة يتجنبون استخدام هذه الصورة. لكن إساءة استخدام اللغة لا ينبغي أن يمنعنا من استخدامها بشكل ملائم. وفي ضوء هذا الفهم عن الصحة الجسدية وعلاقتها بالحياة والرخاء، والمقاييس الموضوعية المفترَضة عما هو صالح ومستقيم، والفرحة التي تشملها، والاهتمام الذي ينبغي أن نوليه لها، يمكننا أن نرى بسهولة الحكمة في رغبتنا للسعي وراء الحصول على صحة روحية جيدة لأرواحنا، والعمل لأجل الوصول إلى كنائس تتمتع بصحة جيدة. وقد كُتب هذا الكتاب في المقام الأول لهذا الغرض، وأُصلي أن يستخدمه الله لهذا الهدف عينه في حياتكم، وحياة كنائسكم.

مارك ديڤير

واشنطن العاصمة

يونية حُزَيْران ٢٠٠٤

مقــدمــة

ذكر الكاتب واللاهوتي ديفيد ويلز في تقرير له بعض النتائج اللافتة للنظر في استطلاع رأي أُجري في سبع كليات لاهوت في عام ١٩٩٣. وقد استرعت انتباهي نتيجة واحدة على وجه الخصوص: «هؤلاء الطلبة مستاؤون من الحالة التي وصلت إليها الكنيسة حاليًا، ويظنون أنها قد فقدت رؤيتها، ويريدون منها أكثر مما تقدمه لهم». وقد اتفق ويلز نفسه مع هذا قائلًا: «إنهم لم يخطئوا في رغبتهم هذه أو في حكمهم في هذا الشأن. حقًا، نحن لن نتمكن من زرع بذار الإصلاح إلا حين نختبر استياءً مقدسًا من الأوضاع الحالية. وبالطبع، الاستياء وحده غير كافٍ»[٢].

حقًا الاستياء وحده غير كافٍ. إننا نجد الاستياء في الكنيسة على كل وجه وفي كل شيء. فإن أرفف المكتبات تئن تحت ثقل الكتب المليئة بالوصفات العلاجية لما تعانيه الكنيسة، كما يعيش المتحدثون في المؤتمرات على أمراض الكنائس التي تبدو دائمًا أنها لا تستجيب لعلاجاتهم. ويتهلل الرعاة بالخطإ ثم يُنهَكون بصورة مأساوية، مرتبكين ومتحيرين. ويُترَك المؤمنون هائمين كالغنم التي لا راعي لها. لكن الاستياء وحده ليس كافيًا، نحتاج لأكثر من هذا، نحتاج أن نستعيد بشكل خاص وأكيد ما ينبغي أن تكون الكنيسة عليه. ما هي الكنيسة في طبيعتها وجوهرها؟ وما الذي ينبغي أن يُميِّزها؟

لدارسي التاريخ

يتحدث المؤمنون كثيرًا عن «العلامات التي تميِّز الكنيسة الصحيحة». وفي الكتاب الأول لجون ستوت بعنوان: "Men With a Message" (رجال يحملون رسالة)، أوجز حديث المسيح لكنائس سفر رؤيا يوحنا هكذا: «هذه إذًا هي العلامات التي تميز الكنيسة المثالية: المحبة، والألم، والقداسة، والتعليم الصحيح، والصدق، والكرازة، والاتضاع. هذه هي العلامات التي يَود المسيح أن يجدها في كنائسه فيما يتمشى بينها»(٣).

لكن هذه الفكرة أيضًا لها تاريخ ذو طابع رسمي بشكل أكبر، ولا بد من الإقرار به قبل أن نخوض في الكلام عن موضوع «٩ علامات للكنيسة الصحيحة» في كتاب تفصيلي مطوَّل.

تحدث المسيحيون كثيرًا سابقًا عن «العلامات التي تميز الكنيسة»، وفي هذا الموضوع كما في الكثير جدًا من فكر الكنيسة، بداية من التعريفات الأولى عن المسيح والثالوث، وحتى تأملات جوناثان إدواردز عن عمل الروح القدس، دفعت قضية كيفية التمييز بين ما هو حقيقي وما هو زائف إلى ظهور تعريفات أوضح لما هو حقيقي. ولم يصبح موضوع الكنيسة محورًا للجدل اللاهوتي الرسمي على نطاق واسع مثلما كان في زمن الإصلاح. فقبل القرن السادس عشر، كانت الكنيسة شيئًا مُسَلمًا به أكثر من كونها مجالًا للنقاش والتباحث، فهي كانت تعتبر وسيطة النعمة التي يستند عليها بقية علم اللاهوت. وقد استخدم اللاهوت الكاثوليكي الروماني عبارة «سر الكنيسة» للإشارة إلى عمق حقيقة الكنيسة، التي لا يمكن البتة سبر غورها بالكامل. وفعليًا، تربط كنيسة روما ادعاءها بأنها الكنيسة الحقيقية المنظورة بالخلافة الرسولية، أي خلافتها للرسول بطرس باعتباره أسقف روما.

لكن مع ظهور انتقادات مارتن لوثر الراديكالية وآخرين غيره في القرن السادس عشر، صار النقاش حول طبيعة الكنيسة ذاتها حتميًا، كما يشرح أحد

علماء اللاهوت ويقول: «لقد جعل الإصلاح من الإنجيل، وليس من الترتيب الكنسي، الامتحان الذي يُظهر الكنيسة الحقيقية»[٤]. وقد شكك كالفين في ادعاءات كنيسة روما بأنها هي الكنيسة الحقيقية على أساس الخلافة الرسولية قائلًا: «خاصة في تنظيم الكنيسة، لا يوجد ما هو أسخف من نسب أسباب احتكار التعليم إلى خلافة الأشخاص وحدها»[٥]. ولذلك، ومنذ ذلك الحين، صارت "علامات" أو معايير الكنيسة الصحيحة بؤرة ضرورية للنقاش.

في عام ١٥٣٠، كتب ميلانكتون مُسوَّدة إقرار إيمان أوجسبرج، التي ذكر فيها في البند السابع: «الكنيسة هي جماعة القديسين التي فيها يتم تعليم الإنجيل بصورة سليمة، وتُمارس الفرائض المقدسة بصورة سليمة. ولأجل الوصول لهذه الوحدة الحقيقية للكنيسة يكفي أن تكون لدينا وحدة في المعتقد فيما يخص تعليم الإنجيل وممارسة الفرائض المقدسة»[٦]. وفي كتاب ميلانكتون بعنوان "Loci Communes" (المواضيع الأساسية في اللاهوت عام ١٥٤٣، كرر ميلانكتون الفكرة وقال: «إن العلامات التي تميز الكنيسة هي الإنجيل النقي، والاستخدام السليم للفرائض المقدسة»[٧]. ومنذ عصر الإصلاح، اعتبر البروتستانتيون بحكم العادة هاتين العلامتين – أي الكرازة بالإنجيل والاستخدام الصحيح للفرائض المقدسة – مميزتين للكنيسة الحقيقية عن الكنائس الزائفة المدَّعية.

في عام ١٥٥٣ أصدر توماس كرانمر الاثنين والأربعين بندًا لكنيسة إنجلترا. وفي حين لم يُعلن عن هذه البنود رسميًا كجزء من اتفاق إليزابيث حتى وقت لاحق من القرن، إلا أنها تُظهر فكر ذلك المصلح البريطاني العظيم بشأن الكنيسة. ويقول البند رقم ١٩ (وهو البند نفسه بين التسعة والثلاثين بندًا): «كنيسة المسيح المنظورة هي جماعة من البشر الأمناء والمخلصين، وفيها يتم الوعظ بكلمة الله النقية، وممارسة الفرائض المقدسة كما ينبغي، بحسب ما عيَّنه المسيح بشأن هذين العنصرين الضروريين، أي: الوعظ بكلمة الله، وممارسة الفرائض»[٨].

وفي مؤلف جون كالفين بعنوان "Institutes of the Christian Religion" (مبادئ الديانة المسيحية)، تناول كالفين قضية التمييز بين الكنيسة الزائفة وتلك الحقيقية في الكتاب الرابع. فقد كتب الآتي في الفصل الأول، وفي المقطع التاسع: "أينما نرى وعظًا وكرازة نقية بكلمة الله واستماعًا نقيًا لها، فضلًا عن ممارسة الفرائض المقدسة بحسب قوانين الله ووصاياه، فلا ريبة أن هناك توجد كنيسة الله"[٩].

ومنذ ذلك الحين، أضيفت في كثير من الأحيان علامة ثالثة تُميِّزُ الكنيسة، وهي ممارسة التأديب السليم، وذلك على الرغم من الإقرار على نطاق واسع بأنها مشمولة داخل العلامة الثانية – أي الممارسة السليمة للفرائض المقدسة[١٠]. ويقول إقرار الإيمان البلجيكي (١٥٦١)، في البند رقم ٢٩:

«هذه هي العلامات التي تُعرَف من خلالها الكنيسة الحقيقية: إن كانت تتم فيها الكرازة بالتعليم النقي للإنجيل، وإن كانت تُحافِظ على الممارسة النقية للفرائض المقدسة على نحو سليم كما أسَّسها المسيح وأوصى بها، وأيضًا إن كان التأديب الكنسي يُمارس لمعاقبة الخطية. باختصار، إن كان كل شيء يُدار وفقًا لكلمة الله النقية، مع رفض كل ما هو مناقض لها، وإن كان يُعترف بيسوع المسيح بصفته رأس الكنيسة الوحيد»[١١].

وقد أوجز إدموند كلوني هذه العلامات كما يلي: «الوعظ والكرازة الحقيقية بكلمة الله، ومراعاة الفرائض المقدسة بشكل سليم، والممارسة الأمينة والصحيحة للتأديب الكنسي»[١٢] – أي المناداة بالإنجيل ومراعاة الفرائض المقدسة – هما علامتان تأسيسيتان وحافظتان للكنيسة، التي هي منبع الحق الإلهي والوعاء الجميل الذي يحتويه ويعلنه. تولد الكنيسة من خلال الكرازة السليمة بالكلمة، وتُضبط الكنيسة وتتميَّز عن الكيانات الأخرى من خلال الممارسة السليمة للمعمودية وعشاء الرب. هناك افتراض مسبق في هذه العلامة الأخيرة بممارسة التأديب الكنسي).

الكنيسة اليوم تعكس ما في العالم

هذا الكتاب لا يدَّعي إعادة النظر في العلامات التي تميز الكنيسة، فأنا أقبل الفهم البروتستانتي القديم عن الكنيسة الحقيقية التي تُعرَف وتتميز عن تلك الزائفة من خلال الوعظ الصحيح للكلمة والتطبيق الصحيح للفرائض المقدسة. لكن في داخل مجموعة الكنائس المحلية الحقيقية، تتمتع بعض الكنائس بصحة أفضل من الأخرى. وبالتالي، فإن هذا الكتاب يصف بعض العلامات التي تُميِّز الكنائس الحقيقية التي تتمتع بصحة أفضل من تلك الحقيقية الأكثر اعتلالًا. ولهذا فهو لا يسعى لذكر كل ما ينبغي ذكره عن الكنيسة. بتعبير لاهوتي، هذا الكتاب لا يُقدِّمُ تعليمًا شاملًا عن عقيدة الكنيسة (إكليزيولوجي، أي علم دراسة الكنيسة). وبتعبير مجازي، هو أقرب إلى وصفة طبية منه إلى دورة دراسية في علم التشريح العام لجسد المسيح.

بالتأكيد لا توجد كنيسة كاملة، لكن نشكر الله أن الكثير من الكنائس غير الكاملة تتمتع بصحة جيدة. لكن مع هذا أخشى أن العدد الأكبر منها ليس كذلك، وهذا يشمل تلك التي تؤكد على لاهوت المسيح الكامل وسلطان كلمة الله الكامل. لمَ الوضع بهذا الشكل؟

يقول البعض أن اعتلال صحة الكثير من الكنائس اليوم مرتبط بمختلف الظروف والأحوال المجتمعية والثقافية التي ابتُليت بها الكنيسة. لقد عبَّر كارل براتن عن ذعره من وجود نوع ذاتي غير تاريخي من «الوثنية الجديدة» في بعض الكنائس(١٣). وافترض أوس جينيس في كتيِّبه التحريضي «Dining with the Devil" (عشاء مع الشيطان) أن المشكلة تكمن في العلمنة، أي نزع الصفة الدينية. وكتب أن الكنائس المحافظة لاهوتيًا نفسها، التي تعارض العلمنة عن وعي، تُعَد مع ذلك معاقل دون أن تدري لنسخة من المسيحية لا دينية وعلمانية، وأن "أكثر سِمَتين يمكن ملاحظتهما بسهولة في العلمنة في أمريكا هما تعظيم شأن الأرقام،

وتبجيل التقنية"[١٤].

وبعض كباش الفداء الأكثر شيوعًا التي يُلقى عليها اللوم في هذا هي هيئات إعداد الخدام والرعاة. وقد وصف ريتشارد مولر لنا شيئًا عما رآه من إخلال كليات اللاهوت بواجبها الذي ائتمنها الله عليه:

> **«إن كليات اللاهوت مذنبة بتهمة خلقها لعدة أجيال من رجال الدين والمعلمين الجاهلين بشكل أساسي بمبادئ مهمتهم اللاهوتية، لكنهم مستعدون للجدال (دفاعًا عن أنفسهم) بشأن عدم وجود صلة بين الدراسة الأكاديمية والخدمة العملية. والنتيجة المؤسفة هي أنه في كثير من الجوانب فُقِدَ الدورُ المركزي والثقافي للكنيسة في الغرب، وجرى تنحية رجال الدين الأثرياء ثقافيًا وفكريًا لإفساح المجال لمجموعة من الممارسين ومديري العمليات القادرين على عمل أي شيء تقريبًا فيما عدا فهم الرسالة اللاهوتية للكنيسة في السياق المجتمعي المعاصر»**[١٥].

هذا الكتاب، إذًا، يعتبر خطة لاستعادة الوعظ الكتابي والقيادة الكنسية في زمنٍ خبا فيه نور الكثير من الكنائس وجماعات المؤمنين وسط ضباب المسيحية الافتراضية والرمزية، وما نتج عنها من سخافات وبراجماتية. وقد تدهور هدف كنائس إنجيلية كثيرة جدًا من تمجيد الله إلى مجرد النمو في العدد، مفترضة أن النمو العددي، بغض النظر عن كيفية تحقيقه، لا بد أنه يمجد الله.

وتبرز مشكلة لاهوتية بل وعملية أيضًا، من جراء انحدار رؤيتنا، وهي المذهب العملي العاجز، الذي ينتج عن هذا:

> **«لو كان هدف الكنيسة هو النمو العددي، فإن الوسيلة لفعل هذا هي أن تجعل الناس يشعرون فيها بالراحة. لكن حين يكتشف هؤلاء وجود وسائل أخرى تجعلهم يشعرون بالراحة، سيتركون الكنيسة التي لم يعودوا بحاجة إليها.**
>
> **وهكذا تبذر الكنيسة المُلائِمة للناس بذار عدم ملائمتها لهم بل وفقدان هويتها. لقد صارت القضية الأكبر اليوم هي كيفية استعادة الكنيسة لهذه**

النسبة الكبيرة من مواليدها المدلَّلين الذين ولدتهم في فترة ازدهار المواليد؟ وما هي التقنيات والمناهج والوسائل لتحقيق هذا؟ ويتم الاقتراع لمعرفة ما يطلبه هؤلاء المدلَّلون، وتتنافس الكنائس لتأمين حصولهم على ما يريدون»[١٦].

إن الوثنية الحديثة، والعلمنة، والمذهب العملي (البراجماتية)، والجهل، جميعها مشكلات خطيرة تواجه الكنائس اليوم. لكني على قناعة بأن المشكلة الأساسية تكمن في طريقة فهم المؤمنين لطبيعة كنائسهم. فإن كنائس كثيرة جدًا تسيء فهم الأولوية التي ينبغي أن يعطونها لإعلان الله ولطبيعة التجديد الذي يمنحه الله داخل هذا الإعلان نفسه. وهكذا لا بد أن يكون إعادة تقييم هذين الأمرين جزءًا من أي حل لمشكلات كنائس اليوم.

نماذج شائعة من الكنائس

توجد اليوم ثلاثة نماذج من الكنائس في الطائفة التي أنتمي لها (طائفة المعمدانيين الجنوبية)، وفي الكثير من الطوائف الأخرى أيضًا. ويمكننا أن نُجْمِل هذه النماذج في: النموذج الليبرالي، والنموذج الخاضع لرغبات مرتاديه، والنموذج التقليدي.

ولكي نوضح الأمر جيدًا، يمكننا أن نعتبر أن اللاهوتي الألماني فريدريخ شلايرماخر هو الأب الروحي للنموذج الليبرالي. ففي سعيه لأن يكون ناجحًا في الكرازة، حاول إعادة صياغة الإنجيل بمصطلحات معاصرة.

كما نجد الهدف ذاته في النموذج الخاضع لرغبات مرتاديه واضحًا في خدمة وكتابات بيل هايبلز وأعوانه بكنيسة «ويلو كريك» والكناس الكثيرة الأخرى المرتبطة بها. فقد سعوا على غرار الليبراليين لإعادة صياغة الكنيسة وتشكيلها، مع وضع هدف الكرازة دائمًا في الاعتبار، متَّجهين من الخارج إلى الداخل، مرة أخرى في محاولة لتوضيح مواكبة الإنجيل للمجتمع الخارجي.

أما الأب الروحي للكنائس الإنجيلية التقليدية، فيمكن أن نعتبره بيلي جراهام (أو ربما أحد الكارزين الكثيرين الآخرين في الجيل الحالي أو السابق). أيضًا الدافع هنا هو النجاح في الكرازة، مع اعتبار الكنيسة المحلية تجمعًا كرازيًا ثابتًا. وفي حقيقة الأمر، تشبه الكنيسة الإنجيلية «التقليدية» في أمريكا النموذج الخاضع لرغبات مرتاديه إلى حد كبير، لكنها فقط تنتمي لثقافة أقدم، أي تلك التي كانت موجودة من خمسين إلى مئة عام مضت. وهكذا، بدلًا من هزليات ويلو كريك، تم اعتبار خدمة First Baptist Women's Trio هي الشيء الذي يجذب غير المؤمنين إلى داخل الكنيسة.

وفي حين توجد اختلافات عقائدية مهمة بين هذه الأنواع المختلفة من الكنائس، إلا أنها تشترك في الكثير من الصفات، فجميعها تفترض أن المؤشر الرئيسي للنجاح هو المواكبة الواضحة لثقافة المجتمع والاستجابة لها. فإن الخدمات الاجتماعية للكنيسة الليبرالية، وموسيقى الكنيسة الخاضعة لرغبات مرتاديها، وبرامج الكنيسة الإنجيلية التقليدية، كلها لا بد أن تعمل جيدًا، وتعمل الآن حتى يمكن اعتبارها ناجحة في مواكبة المجتمع. وبناء على نوع الكنيسة، يمكن أن يعني النجاح إطعام أكبر عدد ممكن، أو إشراك أكبر عدد ممكن، أو خلاص أكبر عدد ممكن، لكن الافتراض الذي تشترك فيه الثلاثة أنواع من الكنائس هو أن ثمر الكنيسة الناجحة هو شيء ظاهر أمام العيان بكل وضوح.

يبدو هذا الافتراض خطيرًا للغاية من المنظورين الكتابي والتاريخي على حد سواء. فإننا، كتابيًا، نجد أن كلمة الله تحوي وفرة من الأمثلة والصور عن بركة متأخرة. فإن الله، لأجل مقاصده غير المعلومة، يمتحن ويجرب الكثيرين نظير أيوب، ويوسف، وإرميا، وحتى يسوع نفسه. فإن تجارب أيوب، وضرب يوسف وبيعه، وسجن إرميا والاستهزاء به، ورفض يسوع وصلبه، جميعها تُذكِّرنا بأن الله يتحرك ويتعامل بطرق خفية مكتنفة بالأسرار. وهو يدعونا في الأساس إلى علاقة معه مبنية على الثقة، وليس على الفهم الكامل له ولطرقه. كما

تمتلئ الأمثال التي سردها يسوع بقصص عن ملكوت الله الذي يبدأ بشكل صغير على عكس المتوقع، لكنه ينمو في النهاية إلى شيء عظيم ومجيد. فإننا لا بد لنا أن ندرك كتابيًا أن حجم ما تراه عيوننا نادرًا ما يكون وسيلة جيدة لتقدير عظمة شيء ما في عيني الله.

أما من المنظور التاريخي، فحري بنا أن نتذكر أن المظاهر خَدَّاعة. فحين يتشبع مجتمع ما بالمسيحية وبالمعرفة الكتابية، وتنتشر نعمة الله العامة، بل وحتى نعمته الخاصة، على نطاق واسع، يمكن أن يعتبر أحدهم هذا بأنه بركة واضحة. وقد يشهد الجميع بوجود أخلاقيات كتابية، وقد تكون الكنيسة مقدَّرة ومبجَّلة على نطاق واسع. وقد يكون تعليم الكتاب المقدس موجودًا حتى في المدارس العلمانية. في مثل هذا الوضع، يصعب التمييز بين الظاهر والحقيقي.

لكن في زمن يتبرأ من المسيحية ويرفضها سريعًا وعلى نطاق واسع، ويعتبر الكرازة أمرًا غير مسموح به، بل ويُصنفها على أنها جريمة كراهية أو عنصرية، نرى الثوابت تتغير. فمن ناحية، الثقافة التي يُفترض بنا التوافق معها كي نكون مواكبين لها، صارت متضافرة بشكل وثيق مع العدائية نحو الإنجيل، حتى أن التوافق معها لا بد أن يؤدي إلى خسارة الإنجيل نفسه. ومن ناحية أخرى، يبدو ازدهار المسيحية الرمزية (الاسمية) أكثر صعوبة. وفي مثل هذا الوضع، لا بد أن نميل آذاننا مرة أخرى إلى الكتاب المقدس، ونعيد التفكير في مفهوم الخدمة الناجحة بأنها ليست بالضرورة تلك التي تثمر في الحال، بل تلك الأمينة بشكل واضح تجاه كلمة الله.

ولابد أن المرسلين العظماء الذين ذهبوا ليخدموا في مجتمعات غير مسيحية قد أدركوا هذا الأمر. فحين ذهبوا إلى أماكن لم يكن واضحًا فيها أية "حقول قد ابيضَّت للحصاد"، بل كل ما وجدوه هو أعوام أو حتى عقود من الرفض، لا بد أن دافعًا آخر هو ما جعلهم يستمرون هناك. لقد كان ويليام كاري أمينًا في الهند،

وأدونيرام جونسون أمينًا في بورما، ليس لأن نجاحهما الفوري والسريع أثبت لهما أنهما مواكبان بوضوح لثقافة تلك المجتمعات، لكنهما كانا أمينين لأن روح الله بداخلهما شجعهما على الطاعة والثقة. وحري بنا نحن أيضًا في الغرب العلماني أن نستعيد شعورنا بالرضا والاكتفاء بمثل هذه الأمانة الكتابية، ولا بد أن نستعيد هذه الأمانة خاصة في حياتنا معًا كمؤمنين في كنائسنا.

الحاجة إلى نموذج مختلف

نحتاج نموذجًا مختلفًا للكنيسة. وفي حقيقة الأمر، هذا النموذج الذي نحتاجه هو نموذج قديم. وعلى الرغم من كوني أكتب هذا الكتاب عنه، لست متأكدًا تمامًا ماذا ينبغي أن أُطلق عليه: »نموذج حقيقي؟» أم «نموذج تاريخي؟» أم «نموذج كتابي؟».

نحن ببساطة بحاجة لكنائس واعية لاختلافها عن ثقافة المجتمع. نحن بحاجة لكنائس يكون المؤشر الرئيسي لنجاحها ليس هو النتائج الملحوظة، بل الأمانة الكتابية المثابِرة. نحتاج لكنائس تساعدنا على استعادة تلك الجوانب من المسيحية التي تتميز وتختلف عن العالم، والتي تعزز الوحدة بيننا.

وليس المقصود مما يلي أن يكون صورة كاملة عن نموذج الكنيسة الجديد (القديم) هذا، بل هو وصفة مناسبة تُسلِّط الضوء على حاجتين أساسيتين في كنائسنا: الكرازة والوعظ بالرسالة، وقيادة تلاميذ.

الكرازة والوعظ بالرسالة

العلامات الخمس الأولى الدالة على الكنيسة التي تتمتع بالصحة، التي سنتناولها في هذا الكتاب، تعكس الاهتمام بالوعظ من كلمة الله باستقامة. تختص **العلامة الأولى** بالوعظ نفسه، فهي دفاع عن أولوية الوعظ التفسيري كانعكاس لمركزية كلمة الله.

لماذا تعد الكلمة مركزية؟ ولماذا هي أداة خلق الإيمان؟ للكلمة دور مركزي وفعال لأنها تمدنا بموضوع إيماننا، فهي تقدم لنا وعد الله، بداية من جميع أنواع الوعود الفردية (في كل الكتاب المقدس)، وحتى الوعد الأعظم، والرجاء الأعظم، وموضوع إيماننا الأعظم، أي المسيح نفسه. فكلمة الله تقدّم ما ينبغي أن نؤمن به.

ثم سنتناول في **العلامة الثانية** إطار هذه الرسالة: أي اللاهوت الكتابي. فلا بد أن نفهم الحق الإلهي ككيان كامل ومترابط، يأتينا أولًا وقبل كل شيء كإعلان من الله عن نفسه. فإن الأسئلة المطروحة عن هوية الله وصفاته، لا يمكن اعتبارها على الإطلاق عديمة الصلة بحياة الكنيسة العملية. ذلك لأن تبنينا لمفاهيم مختلفة عن الله سيقودنا لعبادته بطرق مختلفة، وإن كان البعض من تلك المفاهيم خاطئًا، فتلك الطرق التي نتعامل بها معه يمكن أيضًا أن تكون خاطئة. هذا موضوع رئيسي في الكتاب المقدس، حتى وإن كان يتم تجاهله وإهماله بالكامل في هذه الأيام.

العلامة الثالثة، نتناول لُب الرسالة المسيحية في سعينا للحصول على فهم كتابي للإنجيل. فكم من رسائل أخرى تقوم الكنائس بتسويقها باعتبارها الخبر السار المخلِّص عن يسوع المسيح؟ ومع ذلك ما مدى وعينا لكيفية فهمنا نحن للإنجيل، وكيفية تعليمنا له، وكيفية تدريبنا لآخرين في معرفته؟ هل رسالتنا، مع كونها مُزيَّنة من الخارج بفضائل مسيحية، هي في الأساس رسالة خلاص ذاتي، أم أنها تحوي ما هو أكثر من هذا؟ هل يحتوي إنجيلُنا على مجرد حقائق أخلاقية عامة لحياتنا اليومية، أم يحتوي في أصله على أعمال تاريخية، وخلاصية خاصة، يقوم بها الله مرة واحدة وإلى الأبد، في المسيح؟

يأتي بنا هذا إلى فكرة استقبال الرسالة، أي **العلامة الرابعة**، وهي الفهم الكتابي للاهتداء أيّ قبول المسيح. فإن أحد المهام الأكثر صعوبة على الرعاة هي أن يمحوا الضرر الذي تسبب فيه المهتدون الزائفون، الذين قد أكَّد لهم أحد

الكارزين في عُجالة ودون تفكير بأنهم حقًا مؤمنون. مثل هذا التصرف، الذي قد يبدو ظاهريًا أنه ترفق ومحبة، قد يؤدي إلى اندفاع قصير المدى من الحماس، والاندماج، والاهتمام، لكن إن لم يُثمر الاهتداء الظاهري تغييرًا في الحياة، يبدأ المرء في التعجب من تلك القسوة غير المتعمَّدة التي سعت لإقناع أولئك الأشخاص بأنهم بمجرد الصلاة مَرّةً لقبول الله، فبهذا قد استكشفوا بالكامل كل الرجاء الذي يقدمه الله لهم في الحياة. وقد نتركهم ضحايا ظنهم بأنه «إن كان هذا قد فشل، فإن المسيحية إذًا ليس لديها المزيد لتقدمه لي، لا مزيد من الرجاء، ولا مزيد من الحياة، فقد حاولت، ولم يُجدِ الأمر نفعًا». نحتاج أن تفهم الكنائس ما يُعلمه الكتاب المقدس عن الاهتداء وتقوم بتعليمه.

تستعرض **العلامة الخامسة** فكرة الفهم الكتابي للكرازة. فإن كنا في كرازتنا نفترض ضمنًا أننا بأنفسنا يمكن أن نجعل شخصًا ما مؤمنًا، فإننا بصورة كارثية ننقل للآخرين فهمنا المغلوط عن الإنجيل والاهتداء. وقد كتب جون برودس، معلم العهد الجديد الشهير، وكارز القرن التاسع عشر، كاتاكيزم (كتاب يحوي تعليمًا كتابيًا في صورة أسئلة وإجابات)، وطرح فيه السؤال التالي: «هل يسبق الإيمان الولادة الجديدة؟» وأجاب: «لا، فإن القلب الجديد هو الذي بالحقيقة يتوب ويؤمن»[١٧]. فقد أدرك برودس أننا لا بد أن نكون شركاء الروح القدس في كرازتنا، فنقدِّم الإنجيل لكن في الوقت ذاته نتَّكل على روح الله كي يقوم هو بالتبكيت الحقيقي، والإقناع، والهداية. هل تجد أن ممارسات كنيستك أو ممارساتك أنت الكرازية متماشية مع هذا الحق العظيم؟

قيادة التلاميذ

المجموعة الأخرى من المشكلات المتواجدة في كنائس هذه الأيام تتعلق بالتحكم الجيد بحدود وسمات الهوية المسيحية. وبشكل عام، تتعلق بمشكلات من جهة قيادة التلاميذ.

أولًا، سنتناول في **العلامة السادسة** قضية إطار العمل الكامل للتلمذة، أي الفهم الكتابي للعضوية الكنسية. ففي القرن الماضي، تجاهل المؤمنون بدرجة كبيرة التعليم الكتابي عن الطبيعة الجماعية لتبعية المسيح. إن كنائسنا غارقة في النرجسية المتمركزة حول الذات، وتعظيم مفرِط من شأن الفرد مخبأ ضمنيًا بشكل لطيف داخل كل شيء فيها بداية من «استبيانات المواهب الروحية»، إلى «الكنائس المستهدفة» التي «ليست للجميع». وحين نقرأ رسالة يوحنا الأولى أو إنجيل يوحنا، نرى أن يسوع لم يقصد قط أن نكون مؤمنين دون غيرنا، وأن محبتنا للآخرين الذين لا يشبهوننا تمامًا في كل شيء تُبين إن كنا نحب الله حقًا أو لا.

تعاني العديد من الكنائس اليوم من مشكلات تختص بالتعريف الأساسي لما يعنيه أن تكون تلميذًا، وهكذا فسوف نستطلع معًا في **العلامة السابعة** الفهم الكتابي عن التأديب الكنسي. هل هناك سلوك معين لا يجب أن تسمح به الكنيسة؟ هل توجد أية تعاليم في كنائسنا «تتعدى الخطوط الحمراء»؟ هل توجد مؤشِّرات على اهتمام كنائسنا بأي شيء آخر أهم من بقائها كمؤسسة وتوسُّعها؟ هل نقدم الدليل على أننا نحمل اسم الله ونحيا إما لإكرامه أو إلحاق العار به؟ نحن بحاجة إلى أن تعود الكنائس لممارسة التأديب الكنسي بمحبة، وبانتظام، وبحكمة.

في **العلامة الثامنة**، نستعرض معًا موضوع التلمذة والنمو المسيحيين. إن الكرازة التي لا ينتج عنها تلمذة ليست كرازة غير مكتملة فحسب، بل هي كرازة مفهومة بشكل خاطئ تمامًا. والحل لهذا ليس قيامنا بالمزيد من العمل الكرازي، بل أن نقوم به بشكل مختلف. لسنا في حاجة إلى أن نتذكر أن نخبر الناس أن يأتوا إلى الكنيسة فحسب بعد أن نصلي صلاة الإيمان معهم، بل نحتاج أن نخبرهم أن يحسبوا جيدًا حساب النفقة قبل أن يتلوا تلك الصلاة!

وأخيرًا، تُسلط **العلامة التاسعة** الضوء على الحاجة لاستعادة الفهم الكتابي الصحيح عن القيادة في الكنيسة. إن موقع القيادة في الكنيسة لا بد ألا يُمنَح تجاوبًا

مع مواهب طبيعية، أو مناصب، أو علاقات عائلية، أو كامتنان وتقدير لسنوات طويلة من الخدمة بالكنيسة. بل لا بد من استثمار القيادة في الكنيسة فيمن يبدو أنهم يُظهرون في حياتهم الشخصية العمل البنائي والتقديسي للروح القدس، وفيمن هم قادرون على تعزيز هذا العمل أيضًا في حياة الكنيسة ككل.

غاية من هذا كله هي مجد الله الذي يتحقق حين نعلنه ونعرِّف الآخرين به. فقد أراد الله عبر التاريخ أن يعلن عن نفسه ويكون معروفًا، ولهذا أنقذ إسرائيل من مصر في سفر الخروج، وأنقذهم مرة أخرى من السبي البابلي. العشرات من النصوص الكتابية تُخبر عن رغبة الله في الإعلان عن نفسه (على سبيل المثال خروج ٧: ٥؛ تثنية ٤: ٣٤–٣٥؛ أيوب ٣٧: ٦ –٧؛ مزمور ٢٢: ٢١–٢٢؛ ١٠٦: ٨؛ إشعياء ٤٩: ٢٢–٢٣؛ ٦٤: ٤؛ حزقيال ٢٠: ٣٤–٣٨؛ ٢٨: ٢٥–٢٦؛ ٣٦: ١١؛ ٣٧: ٦؛ يوحنا ١٧: ٢٦). فهو قد خلق العالم وفعل كل شيء لأجل مدح مجده، وهذه الغاية هي صالحة، وحق مشروع له.

وقد اعتاد كالفين أن يُطلِق على هذا العالم مسرح جلال الله ومجده. وأشار آخرون للتاريخ باعتباره موكبًا عسكريًا مهيبًا ذروته هي مجد الله. وقد صاغ مارك روس الأمر هكذا:

> **«إننا أحد أدلة الله الرئيسية في قضيته. . . وقد كانت أولى اهتمامات بولس (في أفسس ٤: ١–١٦) هي أن تعلن الكنيسة مجد الله وتُظهره، مبرئة بهذا شخصه من جميع افتراءات العالم الشيطاني التي تدَّعي كون الله غير جدير بأن نحيا لأجله. . . لقد استأمن الله كنيسته على مجد اسمه»**[١٨].

الجميع – سواء قادة في الكنائس أو غيرهم – مخلوقون على صورة الله، وهكذا لا بد أن نكون صورًا حية تعكس طبيعة الله الأدبية وشخصيته البارة في جميع أنحاء الكون كي ينظرها الجميع، خاصة في اتحادنا بالله من خلال المسيح.

هذا هو إذًا ما يدعونا الله إليه، وهذا هو السبب الذي لأجله يدعونا. فهو يدعونا كي ننضم نحن إليه أفرادًا، وكنائس، ليس لمجدنا نحن بل لمجده هو.

هذا الكتاب

هذا الكتاب مشتق من سلسلة من العظات. وكما يقول **جورج بارنا**، فإن العظات بطبيعة الحال أسهل في الفهم، وأكثر عملية، وعفوية، وأكثر إيجازًا، ومليئة بقدر أكبر من القصص عن اختبارات الواعظين الشخصية، كما ينبغي فيها إتاحة مشاركة المستمعين[١٩]. ولم يكن **بارنا** وحده من تبنى هذا الموقف باقتراحه أن نفعل شيئًا ما للتخفيف من الوعظ من طرف واحد، ومناشدة العقل فقط، وخاصة الوعظ التفسيري. وقد اقترح **دافيد هيلبورن** الشيء نفسه في كتابه "picking up the pieces" (إصلاح ما تكسَّر)[٢٠]. لكن اسمحوا لي أن أفترض شيئًا آخر، وهو أن الوعظ من طرف واحد ليس أمرًا مبرَّرًا فحسب لكنه هام فعليًا. فإن كنا في وعظنا نقف مكان الله، مقدمين كلمته بروحه إلى شعبه، فبالطبع سيكون من الملائم أن يكون الوعظ من طرف واحد. وهذا لا يعني أنه ينبغي ألا يخضع بالمرة للتساؤل والفحص، بل ما نقصده أنه في العظة نفسها، تصلنا صفة «المعنى الواحد لكلمة الله» من خلال مونولوج لا يهدف إلى استدرار اهتمامنا أو مشاركتنا، بل يطالبنا بالاستجابة. ولهذا لا بد من الإبقاء على هذه الصفة. غير أن هذا لا يعني أن العظة لا بد أن تكون مملة، أو مبهمة، أو نظرية عن عمد. وأتمنى أن يجد القارئ من خلال هذه العظات المتخفية في صورة فصول في هذا الكتاب، شيئًا ما من الالتحام الجاد مع حقائق الكتاب المقدس العظمى وأيضًا مع السياق الثقافي للمجتمع من حولنا في هذه الأيام.

مصادر أخرى

- للدراسة في مجموعات:

Built upon the Rock: The Church, *a seven-week inductive Bible study from 9Marks*

- للتطبيقات الراعوية:

The Deliberate Church, by Mark Dever and Paul Alexander

- للتوزيع على أعضاء الكنيسة:

What Is a Healthy Church?, by Mark Dever

العلامة الأولى

الوعظ التفسيري

الوعظ التفسيري

الدور المركزي لكلمة الله

دور كلمة الله في منحنا الحياة

دور كلمة الله في الوعظ

دور كلمة الله في التقديس

دور الوعظ بكلمة الله

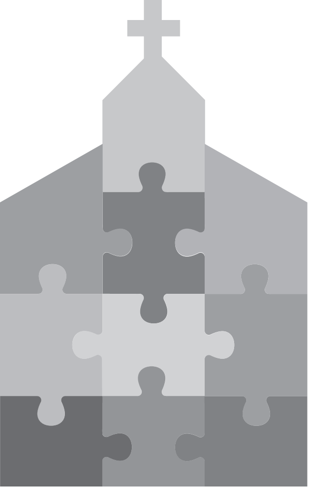

العلامة الأولى

الوعظ التفسيري

هكذا افتتحت عظتي في صباح يوم أحد من شهر يناير، ليس منذ أمد طويل:

«إذًا، كيف حالكم اليوم؟ هل حظيتم بنوم كافٍ الليلة الماضية؟ هل واجهتم صعوبة في إيجاد مكان مناسب لوقوف السيارة هذا الصباح؟ هل كانت المداخل واضحة جليًا؟ هل تم الترحيب بكم عند دخولكم؟ هل بدا لكم المبنى لطيفًا وأنيقًا؟ وأتساءل أيضًا، هل شَكَّلَ اسم الكنيسة صعوبة أكبر أمامكم من جهة اتخاذكم قرار دخولها؟ أو لعل هذا كان جزءًا من سبب اتخاذكم القرار بالدخول؟

وحين دخلتم، هل كان الناس مرحبين وودودين؟ هل واجهتم صعوبة في توصيل أطفالكم؟ وما رأيكم في الزجاج الملون؟ أعرف أن المنظر من موقعي هو الأفضل، لكن أليس جميلا؟ بعد كل هذا، أظن أنه قد يكون تقليديًا للغاية بالنسبة لكم.

هل المقاعد مريحة؟ هل ترون جيدًا من مواضعكم كل ما يجري هنا من أنشطة؟ هل ترون بوضوح؟ هل تسمعون جيدًا؟ هل الجو هنا دافئ بصورة مناسبة الآن؟ أتشعرون بالراحة؟

وماذا عن نشرة الكنيسة؟ هل ترون أنها لطيفة، وواضحة، ومباشرة؟ أهي غير معقدة بشكل زائد عن الحد، لكن ربما تكون رصينة أكثر من اللازم؟ هل لاحظتم كل الإعلانات الموجودة بها؟ وهل رأيتم كل البرامج المذكورة في بطاقة الكنيسة؟ الكثير من البرامج، أليس كذلك؟ ربما أكثر حتى مما قرأتم

قبلًا. بالطبع هي سهلة القراءة، لكني أظن أن حجم الطباعة صغير إلى حد ما، أليس كذلك؟ أيضًا هي لا تحوي أية صور، أقصد أنها من النوع الجاف والمعقد للغاية، وربما يخبركم هذا بالكثير عن الكنيسة، أليس كذلك؟ قد تظنون أنها ربما تكون من نوع الكنائس التي يفضلون فيها كتابة ألف كلمة خير من صورة واحدة، أليس هذا صحيحًا؟

وماذا عمن يجلسون حولكم؟ هل هم من النوع الذي تحبون الذهاب إلى الكنيسة برفقته؟ نعم، أعلم أنكم تشعرون بالتوتر الشديد لدرجة أنكم لا تنظرون حولكم الآن، لكنكم تعلمون من هم. ما رأيكم إذًا؟ هل هم في المرحلة العمرية المناسبة؟ هل ينتمون إلى العِرق المناسب؟ أو إلى الطبقة الاجتماعية المناسبة؟ هل يشبهونكم تمامًا؟

وماذا عن فترة العبادة حتى الآن؟ ما أعنيه هو هل كان من الصعب الانتقال بين كتابَي التراتيل؟ تعلمون أن معظم الكنائس تستخدم كتابًا واحدًا فقط، وها أنتم اليوم لديكم كتابان، فعليكم أن تستخدموا الكتاب الأخضر اللون، ثم أحيانًا البني اللون. هل بدا لكم القائد ذا معرفة جيدة، ومع ذلك ليس عارفًا بكل شيء؟ هل كان كفوءا، ولكن ليس متغطرسًا؟ لم تكن هناك الكثير من الإعلانات في وقت الخدمة، أليس كذلك؟ لا أظن أن هذا حدث في هذا الصباح. هل كانت الصلوات مؤثِّرة؟ هل حرَّكت قلوبكم وعقولكم؟

من غير المعتاد إلى حد ما هذه الأيام أن نقرأ قدرًا كبيرًا من كلمة الله في الكنيسة، أليس كذلك؟ فأنتم في أغلب الأحيان لا ترون هذا يحدث.

بالطبع، بالحديث عن الموسيقى، (تعلمون أننا لا نزال نحاول الاتفاق على بعض الأشياء، كما ترون نحاول الاختيار ما بين الموسيقى العصرية أو التقليدية، الكلاسيكية أو الأكثر حداثة، الليتورجية أو الأكثر عامِّية. كما هو الحال بالنسبة لأية كنيسة أخرى في أمريكا في هذا الصباح، ربما يكون هناك البعض ممن أتوا إلى هذه الكنيسة في الماضي، وهم في هذا الصباح خارجها يبحثون عن كنائس أخرى لأنهم يرغبون في تجربة موسيقية مختلفة.

وتعلمون ربما لا يزال البعض هنا لأنهم يحبون هذه التجربة الموسيقية.

وماذا عن التقدمة ؟ هل تصدقون هذا؟ فقد قاموا بالفعل بجمع التقدمة علنًا من الزوار ومن الجميع أيضًا! هذا هو الشيء الذي يخبرونك في كلية اللاهوت هذه الأيام ألا تفعله أبدًا. كيف شعرتم حيال ذلك؟ هل شعرتم أن الكنيسة مليئة بحفنة من المنقِّبين عن الأموال، الذي يريدون فقط أن يأخذوا منكم حين تأتون؟

ما الذي تفعلونه هنا؟ سواء كنتم تأتون إلى هذه الكنيسة منذ خمسين عامًا، أو كانت هذه هي المرة الأولى لكم- لماذا تأتون؟

والآن، بالطبع، تعلمون ما هي الفقرة التالية، والتي ربما تكون قد بدأت بالفعل: العظة! بالنسبة للبعض، هذه هي الفقرة التي تضطر فيها للجلوس لحين انتهائها منتظرًا الجزء المفضَّل - أي المزيد من الترنيم، أو مقابلة بعض الناس بعد هذا والتحدث إليهم.

بالفعل، الواعظ مهمته صعبة، أليس كذلك؟ فهو عليه أن يكون شخصًا تشعر بسهولة التواصل والتحدث معه والتصرف معه بحرية وثقة بقدر ما. لكنه أيضًا في حاجة لأن يبدو تقيًا، لكن ليس بتقوى زائدة عن الحد. يلزمه أن يكون واسع الاطلاع، على ألا يكون اطلاعه هذا زائدًا عن الحد. يلزمه أن يكون واثقًا من نفسه، لكن على ألأ تكون ثقته زائدة عن الحد. يلزمه أن يكون متحننًا، لكن ليس بشكل زائد عن الحد. ويلزم أن تكون عظته جيدة، ومترابطة، ومسلية، ومؤثرة، وبالطبع قصيرة بصورة كافية.

ثمة أشياء كثيرة ينبغي أن تضعها في اعتبارك في أثناء تقييمك لكنيسة ما، أليس كذلك؟ هل توقفت يومًا حقًا للتفكير في هذا؟ هناك أشياء كثيرة جدًا ومختلفة ينبغي التفكير فيها. وكما يقترح الأمريكيون هذه الأيام، هكذا علينا أن نُقَيِّم الكنائس، فهذا يحدث طوال الوقت. علينا أن نسأل أنفسنا ما الذي يجعل من كنيسة ما كنيسةً جيدةً حقًا.

لدي في مكتبي رفوفا كثيرة وكومات لا تنتهي من الكتب تخص هذا السؤال بالتحديد: ما الذي يجعل كنيسة ما جيدة حقًا؟ وستندهشون كثيرًا من القدر الواسع للتنوع والاختلاف في الأجوبة. فهي تتراوح بين المودة واللطف، والتخطيط المالي لبناء حمامات جيدة، والأجواء المحيطة المريحة، والموسيقى النابضة بالحياة، والحساسية في التعامل مع الزوار، ووجود موقف سيارات كبير، وأنشطة مثيرة للأطفال، وخيارات مدروسة جيدًا لمدرسة الأحد، وبرمجيات مناسبة للكمبيوتر، ثم اللافتات الواضحة والتجانس بين الجماعات في الكنيسة. ستجدون مختلَف الكتب المكتوبة والمبيعة التي تؤيد كل هذه الأشياء باعتبارها المِفتاح إلى كنيسة جيدة.

إذن، ماذا تظنون؟ ما الذي يجعل الكنيسة صحيحة؟ يلزمكم أن تعرفوا الإجابة. إن كنت اليوم زائرًا، تفتش في الأنحاء عن كنيسة ما يمكنك أن تأتي إليها بصورة منتظمة، ويمكنك أن تلتزم بها، فأنت بحاجة لأن تضع هذا السؤال في اعتبارك. وإن كنت بالفعل عضوًا هنا، فأنت بحاجة للتفكير في هذا السؤال- فكما تعلم، قد تنتقل من هنا. وإن لم تنتقل من هنا على الإطلاق، فأنت بحاجة لمعرفة ما يُشكِّل كنيسة صحيحة. إن كنت ستظل في الكنيسة وتكون جزءًا من عملية بنائها وتشكيلها، ألا تحتاج لمعرفة ما الذي تحاول بناءه؟ وكيف تريده أن يكون؟ وما تريد أن يهدف إليه؟ وما ينبغي أن يكون أساسيًا؟

انتبه جيدًا كيف تجيب عن هذه الأسئلة. فكما قلت قبلًا، سيخبرك الخبراء في نمو الكنيسة أن الإجابة تشمل كل شيء بدءًا من ضرورة أن تكون لغتك خالية من المصطلحات الدينية وحتى إخفاء متطلبات عضوية الكنيسة.

ماذا تظنون؟ هل أماكن رعاية الأطفال الآمنة، والحمامات النظيفة اللامعة، والموسيقى المثيرة، ومجموعات المؤمنين المتشابهة، هي حقًا الطريق لنمو الكنيسة وصحتها؟ هل هذا حقًا هو ما يجعل من الكنيسة كنيسة ناجحة؟».

وهكذا بدأْتُ سلسلة العظات التي صارت هذا الكتاب بعنوان: ٩ علامات للكنيسة الصحيحة. والغرض من هذا الكتاب هو أن نسأل ونجيب عن هذا السؤال: «ما الذي يُميِّز الكنيسة الناجحة حقًا؟».

قمت هنا باقتراح ٩ علامات تُميِّز الكنيسة التي تَنْعَمُ بالصِّحة، ويمكنكم أن تجدوها مذكورة على التوالي في قائمة المحتويات. هذه العلامات التسع، بالطبع، ليست هي وحدها صفات الكنيسة الصحيحة، وهي ليست بالضرورة أهم ما يمكن أن يُقال عن الكنيسة. على سبيل المثال، سوف أمر مرور الكرام على موضوعَي المعمودية والشركة، مع أنهما جانبان أساسيان للكنيسة الكتابية، أوصى بهما المسيح نفسه. غير أن هذا الكتاب ليس تعليمًا كاملًا عن عقيدة الكنيسة، فهو يسلط الضوء على جوانب معيَّنة حيوية لحياة الكنيسة الصحيحة، قد ندر وجودها في الكنائس هذه الأيام. وعلى الرغم من أن المعمودية والعشاء الرباني كثيرًا ما يُساء فهمهما أو تطبيقهما، لم يختفيا من غالبية الكنائس، لكن الكثير من الصفات التي سنتناولها في هذه الصفحات قد اختفت بالفعل من الكثير من الكنائس.

بالطبع لا يوجد ما يُسمى بالكنيسة المثالية، وأنا بالتأكيد لا أقصد أن كل كنيسة سأرعاها يومًا ستكون كنيسة مثالية. لكن هذا لا يعني أن كنائسنا لا يمكنها أن تتمتع بصحة أفضل، وهدفي هو تشجيع وجود هذه الصحة.

الوعظ التفسيري

العلامة الأولى التي تُمَيِّز الكنيسة الصحيحة هي الوعظ التفسيري. ليست هذه هي العلامة الأولى فحسب، بل هي إلى حد كبير أهم العلامات فيها جميعًا، لأنك إن أحسنت فهمها وأتقنتها، ستتبعها كل العلامات الأخرى. سيساعدك هذا الفصل على فهم ما الذي ينبغي أن يكرِّس الرعاة أنفسهم لأجله، وما الذي ينبغي على الجماعة أن تطالب رعاتها به. إن دوري الرئيسي، والدور الرئيسي لأي راعٍ، هو تقديم الوعظ التفسيري.

هذا الأمر هام للغاية لدرجة أنه لو فاتك، ونجحتَ في فهم كل الثماني علامات الأخرى، فستكون العلامات الثماني – إلى حد ما – قد وُجدت بمحض الصدفة. من الممكن أن تكون فهمتها جيدًا، ومن الممكن أن تكون مشوَّهة، لأنها لم تنبع من كلمة الله، وأيضًا لا يجري تشكيلُها وتجديدُها باستمرار من خلال هذه الكلمة. لكن إن قمتَ بترسيخِ أولويةِ كلمةِ الله، تكونُ قد وضعتَ أهمَّ جانبٍ من جوانبِ حياةِ الكنيسة في موضعِه الصحيح، وتكونُ في النهاية قد ضَمِنْتَ الصِّحة المتزايدة، لأن الله قرَّر أن يعملَ بروحِهِ من خلال كلمته.

إذًا ما هو هذا الشيء البالغ الأهمية الذي يُدعى الوعظ التفسيري؟ عادة ما نشرح معناه بمقابلته بالوعظ الموضوعي. أمَّا العظة الموضوعية فتشبه هذا الفصل، إذ تأخذ موضوعًا ما وتتحدث عنه، لكنها لا تأخذ نصًا معينًا من الكتاب المقدس موضوعًا لها. تبدأ العظة الموضوعية بقضية معينة يرغب الواعظ في الوعظ عنها. قد يكون الموضوع هو الصلاة أو العدل أو تربية الأطفال أو القداسة أو حتى الوعظ التفسيري. وبعد أن يُحَدِّد الواعظ الموضوع، يبدأ في جمع عدة نصوص من أجزاء مختلفة في الكتاب المقدس، ويربطها معًا، مضيفًا إليها قصصًا توضيحية. وبهذا يتم جمع المادة ونسجها معًا حول هذا الموضوع. لذلك، لا تُبنى العظة الموضوعية على نص واحد من كلمة الله بل تدور حول الفكرة أو الموضوع الذي تم اختياره.

يمكن للعظة الموضوعية أن تكون تفسيرية، فقد أَختار أن أعظ عن موضوع ما، ثم أختار نصًا ما من كلمة الله يتناول هذا الموضوع بالتحديد. وقد أعظ مستخدمًا عدة نصوص تتناول الموضوع نفسه. لكنها تبقى عظة موضوعية، لأن الواعظ يَعْلَمُ ما يريد أن يقوله، ثم يذهب إلى الكتاب المقدس ليرى ما يمكن أن يجده عن موضوعه. على سبيل المثال، حين قدَّمتُ هذه المادة في شكل عظة، كنت أعلم إلى حد كبير ما أريد قوله حين بدأت . لكن حين أعظ بشكل تفسيري، فالحال عادة لا تكون هكذا. في أثناء إعدادي للعظة التفسيرية العادية، كثيرًا ما أندهش من الأشياء التي قد أجدها في النص في أثناء دراستي له. فأنا، بشكل عام، لا أختار سلسلة

من العظات التفسيرية لأني أرى الحاجة إلى التحدث في موضوعات معينة تحتاج الكنيسة لسماعها. لكن في المقابل أفترض أن الكتاب المقدس بكامله مرتبط بحياتنا كل الوقت. والآن، أثق أن الله قد يقودني إلى أسفار معينة، لكن في كثير من الأحيان عند دراستي لنص ما، وقراءتي له في أوقات خلوتي في الأسبوع الذي يسبق تقديمي للعظة، وفي أثناء دراسته بشكل جاد يوم الجمعة، أثق أني سوف أجد أشياء فيه لم أكن أتوقعها على الإطلاق، وأحيانًا أُفاجَأ بالفكرة الرئيسية التي يطرحها النص، وبالتالي بما ينبغي أن تكون الفكرة الرئيسية لعظتي.

لا يتوقف الوعظ التفسيري عند مجرد تقديم تفسير شفهي لنص ما في كلمة الله، بل هو الوعظ الذي يأخذ فكرة العظة من فكرة نص معين من كلمة الله. وهذه هي الخلاصة. يفتح الواعظ كلمة الله ويُفصِّلها أمام شعب الله. هذا يختلف عما أفعله في هذا الفصل، لكن هذا ما أنوي فعله عادة حين أعظ على المنبر في يوم الأحد[1].

الوعظ التفسيري هو الوعظ الخاضع للكلمة. فإنه يفترض مسبقًا الإيمان بسلطان كلمة الله، أي أن الكتاب المقدس هو حقًا كلمة الله، لكنه أيضًا يتعدى بكثير هذا. فالالتزام بالوعظ التفسيري هو التزام بالإصغاء لكلمة الله، ليس لمجرد التأكيد على كونها كلمة الله بل لأجل الخضوع الحقيقي لها. إن أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد لم يُكَلَّفوا بمهمة شخصية بأن يذهبوا ويتكلموا، بل كُلِّفوا برسالة معينة ليسلموها. هكذا أيضًا قد أُعطِي الوعاظ المسيحيون اليوم سلطانًا من الله ليتكلموا طالما أنهم يتكلمون برسالته ويُفَصِّلون كلماته. وبقدر ما يتميز بعض الوعاظ بالثرثرة، لكنهم ليسوا مدعوين فقط بأن يذهبوا ويعظوا، بل مدعوون بشكل خاص لأن يذهبوا ويعظوا بالكلمة.

يقبل العديد من الرعاة سلطان كلمة الله بترحاب، ويُقِرون بإيمانهم بعصمة الكتاب المقدس وخُلُوه من الخطإ، لكنهم إن لم يعظوا عمليًا وبصورة منتظمة وعظًا تفسيريًا، فأنا على قناعة بأنهم لن يعظوا البتة بأكثر مما عرَفوه حين بدأوا يعظون

أول مرة. ذلك لأن الواعظ يمكنه أن يأخذ مقطعًا من كلمة الله ويعظ الجماعة ويشجعهم في موضوع هام، لكن ذلك لم يكن فكرة ذلك المقطع المعين. يمكنك أن تُمسك بكتابك المقدس الآن، وتغلق عينيك، وتفتحه على موضع ما، وتضع إصبعك على آية ما، ثم تفتح عينيك وتقرأ الآية، ويمكنك أن تنال بركة عظيمة منها لنفسك. لكنك ربما لم تتعلم بعد ما قصَد الله أن يقوله عبر ذلك النص. إن ما يُشَكِّل أهمية قصوى في مجال العقارات يُشَكِّل أيضًا أهمية قصوى في فهم الكتاب المقدس: الموقع ثم الموقع ثم الموقع. فأنت تفهم نصًا ما من كلمة الله حيث هو في موضعه، أي تفهمه في السياق (أي القرينة) حيث أُوحِيَ به.

على الواعظ أن يُشَكِّل ذهنه بصورة متزايدة وفقًا لكلمة الله. ويجب ألّا يستخدم كلمة الله ذريعة لما يَعْلَمُ بالفعل أنه يريد قوله. حين يعظ أحدهم بصورة منتظمة بطريقة ليست تفسيرية، فإن العظات تميل إلى أن تكون فقط عن المواضيع التي تهم الواعظ نفسه. كنتيجة لذلك، يسمع الواعظ وجماعة المؤمنين في الكنيسة من كلمة الله ما كانوا يعتقدونه قبل أن يفتحوا النص، ولا جديد يضاف إلى فهمهم. ولا يعد الكتاب المقدس يُشَكِّل مصدر تحفيز لهم.

في التزامنا بأن نعظ عظة تفسيرية من نص ما في سياقه، أي أن نقرر أن فكرة هذا النص هي فكرة عظتنا، ينبغي أن نسمع من الله أشياء لم نكن ننوي أن نسمعها حين بدأنا دراستنا للنص؛ لأن الله يفاجئنا أحيانًا. فمنذ توبتك واهتدائك وحتى آخر شيء علمك إياه الروح القدس، أليس هذا ما يعنيه كونك مؤمنًا؟ ألا تجد مرارًا وتكرارًا أن الله، فيما يبدأ في كشف حقيقة قلبك وحق كلمته لك، يُحفِّزك ويقنعك بأشياء لم تكن لديك أية فكرة عنها منذ عام مضى؟ حين تكلِّف شخصًا ما بمسئولية الإشراف الروحي على الكنيسة، وهو لا يُبدي التزامًا عمليًا تجاه الاستماع إلى كلمة الله وتعليمها، فأنت بذلك تعيق نمو الكنيسة، غير سامح لها بأن تنمو إلا لمستوى الراعي. وستتشكل الكنيسة تدريجيًا بحسب فكر هذا الراعي وليس بحسب

فكر الله. وما نريده نحن، ونتوق إليه نحن المؤمنون، هي كلمات الله. نريد أن نسمع ونعرف في أرواحنا ما قاله الله نفسه.

الدور المركزي لكلمة اللّٰه

على الوعظ أن يكون دائمًا (أو في أغلب الأحيان) تفسيريًا، لأن مركزيته يجب أن تكون كلمة الله، وهي التي توجهه. في الواقع، على الكنائس أن تضع كلمة الله في مركزها، لتكون الكلمة هي المُوَجِّهة لها. لقد اختار الله أن يستخدم كلمته ليعطي حياة، وهذا هو النمط الذي نراه في الكتاب المقدس وفي التاريخ.

ذات مرة في أثناء حضوري حفل استقبال، تحول مجرى الحديث إلى كتاب كان قد نُشر مؤخرًا، وكنت قد قرأته، إذ كنت على وشك أن ألقي كلمة عن موضوع هذا الكتاب. وكان مضيفي، الذي كان من الروم الكاثوليك، قد قرأه أيضًا ليكتب فيه مقالا نقديا. فسألته عن رأيه في هذا الكتاب.

فأجاب: «نعم، كان جيدًا جدًا، لكن ما كان يشوبه هو تكرار الكاتب أكثر من مرة لذلك الخطإ البروتستانتي القديم، وهو أن الكتاب المقدس هو الذي خلق الكنيسة، بينما نعلم جميعنا أن الكنيسة هي التي خلقت الكتاب المقدس».

حسنًا، حينها وجدت نفسي في مأزق إلى حد ما، فقد كان هو المضيف، وأنا كنت ضيفًا. ماذا عساني أن أقول؟ ورأيت الإصلاح البروتستانتي بكامله يلتمع أمامي!

فاتخذت قراري بأنه إن كان هذا الرجل قد استطاع أن يعبِّر عن رفضه بصراحة وبشكل مهذب، ففي استطاعتي إذًا أن أكون مباشرًا وأمينًا كما أريد. ولهذا قلت بصراحة، محاولًا أن أكون معارضًا بصورة لطيفة بقدر المستطاع: «هذا سخيف!» وتابعت: «لم يخلق شعب الله قط كلمة الله، بل من البدء كانت كلمة الله هي التي تخلق شعبه! فمنذ تكوين ١، حين خلق الله بكلمته حرفيًا كل شيء بما

في ذلك شعبه، مرورًا بتكوين ١٢ حين دعا ابراهيم بكلمة وعد منه ليخرج من أور الكلدانيين، وصولًا إلى حزقيال ٣٧، حيث أعطى الله لحزقيال رؤيا لينقلها لشعب إسرائيل في السبي البابلي بخصوص القيامة العظمى إلى الحياة، والتي ستحدث بكلمة الله، إلى إرسال كلمة الله في يسوع المسيح على نحو خارق، الكلمة الذي صار جسدًا، ثم رومية ١٠، حيث نقرأ أن الحياة الروحية تأتينا بالكلمة. لطالما خلق الله شعبه بكلمته، ولم يكن الأمر قط على العكس من ذلك، فشعب الله لم يخلقوا قط كلمة الله».

لا يمكنني أن أتذكر بالتحديد ما حدث في بقية تلك المحادثة، لكني أتذكر ذلك الجزء بوضوح شديد لأنه ساعدني في بلورة المركزية المطلقة لكلمة الله.

لنتبع هذا المسار عبر كل الأسفار الكتابية ونرى ما يخبرنا به عن مركزية كلمة الله في حياتنا، ثم نتأمل ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لطبيعة الوعظ وأهميته في كنائسنا. وفي هذا أريد أن أركِّز على أربع نقاط: دور الكلمة في منحنا الحياة، ودور كلمة الله في الوعظ، ودور الكلمة في تقديسنا، وبالتالي، الدور الذي ينبغي أن يقوم به الواعظ بكلمة الله في الكنيسة.

دور كلمة الله في منحنا الحياة

لنبدأ من البداية، من حيث يبدأ الكتاب المقدس. في تكوين ١ نرى الله بكلمته يخلق العالم وكل أشكال الحياة فيه. هو قال فكان. وفي تكوين ٣، نرى القصة المحزنة عما حدث بعد هذا، أي السقوط. وهناك نرى أبوينا الأولين أخطآ، ولما أخطآ طُرِدا من محضر الله، وغاب الله عن نظرهما حرفيًا. لكن في نعمة الله العظيمة، لم يفقدا كل رجاء. فعلى الرغم من أن الله بدأ يغيب عن نظريهما، إلا أنه في رحمته أرسل لهما صوته حتى يمكن أن يسمعا كلمة الوعد. في تكوين ٣: ١٤-١٥، لعن الله الحية، وحذَّرَها من أن نسل المرأة سيسحقها. تلك الكلمة كانت هي أول كلمة رجاء حصل عليها آدم وحواء عقب حادثة خطيتهما.

وفي تكوين ١٢، نجد أن إبراهيم قد دُعي بكلمة الله للخروج من أور الكلدانيين. وكانت كلمة وعد الله، المسجلة في الأعداد الأولى من تكوين ١٢، هي القوة الجاذبة، وهي الوعد الجاذب، الذي حرفيًا دعا ابراهيم للخروج من أور الكلدانيين ليسير وراء الله. وهكذا خُلق شعب الله، أي صاروا مرئيين، بالاستماع لكلمة الوعد تلك والاستجابة لها، أي بالخروج واتباعها. وهكذا قد خُلق شعب الله بكلمة الله.

لم يقم إبراهيم يومًا بتأسيس لجنة ما لصناعة كلمة الله، لا، بل قد جُعل أبًا لشعب الله لأن كلمة الله أتت إليه على وجه الخصوص وهو قد آمن بها، ووثق بالله مصدقًا قوله. ثم بعد هذا نقرأ كيف أن أولاد ابراهيم تكاثروا وانتشروا في أرض الموعد، ثم نزلوا إلى مصر، حتى استُعبدوا في النهاية هناك لقرون. وفي الوقت الذي بدت فيه تلك العبودية دائمة، ماذا فعل الله؟ أرسل كلمته. في خروج ٣: ٤، بدأ الله عمله مع موسى، داعيًا إياه. لقد كانت رؤية عليقة محترقة أمرًا يفوق العادة، لكن هذه العُلَّيقة بحد ذاتها لم تكن لتخبر موسى بأي شيء. فحتى الدارسين المتعلمين أنفسهم يختلفون فيما ترمز إليه هذه العليقة. لكن المِفتاح هو أن الله تحدث مع موسى من العليقة، وأعطى موسى كلماته، ودعاه بكلمته. لم تأتِ كلمة الله لموسى ونسله فحسب، بل لأمة اسرائيل بأكملها، داعية إياهم ليكونوا شعبًا له.

ثم في خروج ٢٠، نجد الله يعطي شريعته لشعبه، وبقبولهم لشريعة الله صاروا شعبه. إذًا كانت كلمة الله هي التي كوَّنت شعب إسرائيل بصفته شعب الله الخاص.

وفي مسيرتنا عبر العهد القديم، نرى كلمة الله تلعب دورًا مؤثرًا أصيلًا وأيضًا مُمَيزًا، إذ أن البعض سمعوها وآخرون رفضوا سماعها. لنأخذ على سبيل المثال قصة إيليا في ١ملوك ١٨: «وَبَعْدَ أَيَّام كَثِيرَةٍ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا. . . قَائِلًا: اذْهَبْ وَتَرَاءَ لأَخْآبَ فَأُعْطِيَ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ». (عدد ١). ونجد أن

عبارة «كان (أتى) كلام الرب إلى» وما يماثلها وردت أكثر من ٣٨٠٠ مرة في العهد القديم. فقد أتت كلمة الرب فيما كان يُكوِّن ويقود شعبه. وكان شعب الله هم أولئك الذي سمعوا كلمات وعد الله وتجاوبوا بإيمان. كانت كلمة الله في العهد القديم، دائمًا تأتي كوسيلة للإيمان. فقد كانت، بشكل ما، الموضوع الثانوي للإيمان، فإن الله هو بالطبع موضوع إيماننا الأَوَّلي؛ فنحن نؤمن بالله، لكن هذا لا يعني الكثير إن كان ذلك الموضوع غير معروف أو محدَّد. وكيف لنا أن نُحدِّد من هو الله وما الذي يدعونا لنعمله؟ فإما أن نختلق هذا، أو يخبرنا إلهنا به. لكننا نؤمن أن الله قد أخبرنا حقًا، ونؤمن بأن الله قد تحدث بنفسه بالفعل، وكلمته يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها بكل الإيمان الذي يمكننا أن نضعه في الله نفسه.

وهكذا نرى في العهد القديم أن الله قاد شعبه بكلمته.

هل ترى الآن سبب كون كلمة الله مركزية باعتبارها أداة لخلق الإيمان؟ فهي تعرض أمامنا الله ووعوده لنا، بدءًا من جميع أنواع الوعود الفردية عبر كل العهد القديم والعهد الجديد، وصولًا إلى الوعد الأعظم، والرجاء الأعظم، وموضوع إيماننا الأعظم، المسيح نفسه. تُبَيِّن لنا كلمة الله ما الذي علينا أن نؤمن به.

بالنسبة للمؤمن، تُعد سرعة الصوت (أي الكلمة التي نسمعها) بشكل ما أعظم من سرعة الضوء (أي الأشياء التي يمكننا أن نراها بالفعل). فالأمر يبدو وكأننا، في هذا العالم الساقط، ندرك ونعرف المستقبل بآذاننا أولًا وليس بأعيننا.

في الرؤيا العظيمة التي رآها حزقيال في الأصحاح السابع والثلاثين، نرى بكل وضوح أن الحياة تأتي بكلمة الله:

> **«كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَني بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَني فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا، وَأَمَرَّني عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ**

الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»».

(عدد ١-٦)

هذه واحدة من ضمن الرؤى المشجعة! فإن كنتَ قد دُعيتَ يومًا لرعاية كنيسة تبدو كأنها أوشكت على أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، أو إن كنت تستطيع أن تتذكر مشاعرك حيال فقدان الأمل الروحي قبل أن تجد الخلاص، حينها يمكنك أن تدرك جيدًا لماذا يبعث هذا النص العظيم على الرجاء.

نرى في الأعداد ٧-١٠ ما يحدث حين يستجيب حزقيال في طاعة للرؤيا:

«فَتَنَبَّأْتُ كمَا أُمرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ عليْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا». فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَني، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا».

ثم يفسر الله لحزقيال هذه الرؤيا، ويقول أن هذه العظام هي بيت اسرائيل بكامله، الذين يقولون: «هَلَكَ رَجَاؤُنَا» (عدد ١١)، لكن إجابة الله لاسرائيل، كما كانت للعظام اليابسة، هي: «وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ» (عدد ١٤). وكيف سيفعل هذا؟ سيفعله بكلمته. ولكي نوضِّح الفكرة بجلاء، دعا الله حزقيال لكي يعظ إلى تلك الحزمة من العظام اليابسة، ومن خلال ذلك الوعظ بالكلمة، أحيا الله العظام. لقد جعل الله حزقيال يتحدث بكلمة الله لهم فيما كانوا أمواتًا، وبقيامه بهذا، دبَّت فيهم الحياة!

تعكس رؤيا العظام اليابسة الطريقة التي دعا الله بها حزقيال كي يتحدث إلى أمة لن تسمع له. وهي تعكس أيضًا الطريقة التي تحدث الله بها إلى الخلاء فخلق العالم بسلطان كلمته. ونتذكر على نحو مماثل ما حدث حين أتت كلمة الله إلى العالم في شخص المسيح: «كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ» (يوحنا ١: ١٠). ومع ذلك، ومن خلال تلك الكلمة، أي من خلال الرب يسوع، بدأ الله في خلق مجتمعه الجديد على الأرض.

أمر الله حزقيال أن يتكلم إلى العظام اليابسة، فدبَّت الحياة من خلال الروح (النَّفَس). فقد انتقل الروح عبر الكلمات، وكلمة الله هذه، أي أنفاسه، منحت الحياة. هل ترى الرابط الوثيق بين الحياة، والأنفاس، والروح، والكلام، والكلمة؟ يُذكِّرنا هذا بأوقات من زمن خدمة يسوع. على سبيل المثال، حين «جَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمَّ أَعْقَدَ... وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ. وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذْنَاهُ» (مرقس٧: ٣٢، ٣٤-٣٥). تكلَّمَ يسوع إلى رجل أصم، فانفتحت أذناه، أي عادت الحياة إلى أذنيه! ودعا يسوع شعبه لنفسه بالطريقة التي تنبأ بها حزقيال قائلًا: «وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ» (حزقيال ٣٦: ٢٦).

هذا هو الواقع المجيد الذي اختبرناه نحن المؤمنون. وكما قلت قبلًا لأحد العاملين من شهود يهوة، إننا نحن المؤمنون نَعْلَمُ أننا من أنفسنا وفي ذواتنا أموات روحيًا، وأننا نحتاج إلى الله ليبث حياته فينا. نحن نحتاج إليه كي يمد يده وينزع بقوة قلوبنا العتيقة الحجرية، ويضع فينا قلوبًا جديدة لحمية مملوءة بالمحبة من نحوه، قلوبًا لينة وطيِّعة لكلمته. وهذا هو بالتحديد ما يفعله يسوع المسيح من أجلنا. فهو يخلق نوعًا مختلفًا من البشر، أناسًا يُظهِرون حياة الله فيهم حين يسمعون كلمته، وحين يستجيبون لها بنعمته.

هذا يأتي بنا إلى الصورة الفائقة السمو لكلمة الله التي تأتي بالحياة:

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ... كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ» (يوحنا ١: ١، ٣-٤).

في المسيح أتتنا كلمة الله بصورة كاملة ونهائية، فيسوع قدَّمَ نموذجًا لتلك الحقيقة العظمى في خدمته. ذلك لأنه عند مستهل خدمته، حين أخبره تلاميذه أن الكثيرين كانوا يطلبونه لأنهم أرادوا منه أن يصنع معجزات ويشفيهم، أجاب يسوع: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضًا، لأَنِّي لِهذَا خَرَجْتُ» (مرقس ١: ٣٨). وإن تابعنا القراءة في إنجيل مرقس، نجد أن يسوع علِمَ أنه قد جاء في الأساس كي يبذل نفسه فدية عنَّا من أجل خطايانا (انظر ١٠: ٤٥)، لكن لكي يتم فهم هذا الحدث، كان لا بد له أن يُعَلِّمَ أولًا.

لقد كانت كلمة الله هي التي كرز بها بطرس يوم الخمسين في أعمال٢. وأتي الله بالحياة من خلال كلمته، حين سمع رجال ونساء الحق عن الله، وعن خطاياهم، وعن التدبير الذي أرسله الله في يسوع. وحين سمعوا الرسالة، نُخِسوا في قلوبهم، وصرخوا: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟» (أعمال٢: ٣٧). وهكذا خَلَقَت كلمة الله شعب الله، وتأسَّست الكنيسة بالكلمة.

لا أقصد هنا أن أعطي انطباعًا بأن المسيحية هي مجرد حفنة من الكلمات، بل بالحري أن للكلمات أهمية. إذ نرى الله في الكتاب المقدس يعمل، لكنه لا يتوقف عند هذا الحد، فهو بعد أن يعمل، يتكلم، ويفسِّر ما فعله حتى يمكننا أن نفهمه. الله لا يسمح لأفعاله بأن تتحدث عن نفسها، بل يتكلم، كي يفسر لنا أفعاله المَخَلِّصة العظيمة.

هذه الطبيعة «الشفهية» التي لله تتلاءم مع الطريقة التي خلقنا بها. لنتناول على سبيل المثال علاقاتنا الإنسانية: كيف نعرف بعضنا البعض؟ يمكننا أن ننجح في معرفة بعضنا البعض من خلال المراقبة فقط. أما الأزواج والزوجات فيمكنهم

أن يعرفوا بعضهم بعضًا من خلال الحميمية الجسدية. بيد أن هناك جانبًا عميقًا من معرفتنا بعضنا لبعض يمكن أن يأتي فقط من خلال نوع ما من التواصل المعرفي. إذًا الكلمات مهمة بالنسبة لعلاقاتنا.

ولأننا فصلنا أنفسنا عن الله بخطايانا، فلا بد لله، إن كنا نبغي أن نعرفه، أن يتكلم. ولهذا كان لمؤلَّف أحد أعضاء كنيستنا السابقين، كارل.ف.هـ. هنري، أهمية عظمى. ففي هذه الرائعة الأدبية الضخمة المؤلَّفة من ستة مجلدات بعنوان: God, Revelation and Authority (الله والإعلان والسلطان)، يوضِّح هذا الرجل هذه النقطة بالتحديد: أن الله لن يُعرَف إن لم يتكلم، وما كنا لنعرفه لو لم يكن قد تكلَّم بكلمة يمكننا الاعتماد عليها. لا بد أن يعلن الله عن نفسه. هذا هو القصد من الكتاب المقدس. وبسبب خطايانا، لم يكن في إمكاننا أن نعرف الله بوسيلة أخرى؛ فإما أن يتحدث أو نظل تائهين إلى الأبد في ظلمة تكهناتنا.

نرى هذا بوضوح في العهد الجديد كله، لنتناول مثلًا رومية١٠: ١٧ «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ (بسماع الرسالة)، وَالْخَبَرُ (يُسمَع) بِكَلِمَةِ اللهِ (كلمة المسيح)». إن «كلمة المسيح» هذه هي رسالة الإنجيل العظيمة، وهي أن الله خلقنا كي نعرفه، إلا أننا أخطأنا وانفصلنا عنه. ولذلك فإن الله في محبته الشديدة قد جاء في شخص يسوع المسيح، الذي عاش حياة بلا عيب، آخذًا جسدنا، وحاملًا أسقامنا وعيوبنا، إلى حد موته على الصليب، خصوصًا بصفته بديلًا عن كل من يلجأون إليه ويثقون فيه يومًا ما، وأن الله أقامه من بين الأموات شهادةً على قبوله لذبيحته، وهو الآن يدعونا لأن نتوب ونؤمن به، كما آمن ابراهيم بكلمة الله حين جاءته في أور الكلدانيين منذ قرون عديدة.

قبل هذا مباشرة كتب بولس في رومية١٠: ٩ «لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ (أن يسوع رب)، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ».

إن الإيمان والاعتماد على الحق الإلهي بأن الله أقام يسوع المسيح هو طريق الخلاص، وطريق الانضمام إلى شعب الله. وهكذا نرى مرة أخرى أن الله

لطالما خلق شعبه بأن تكلم بكلمته، وأعظم كلماته هي المسيح، كما قال كاتب رسالة العبرانيين في مستهل رسالته:

«اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ». (عبرانيين١: ١-٢)

نحن المؤمنون نعيش في زمن ما بعد السقوط وما قبل المدينة السماوية. نحن في زمن حيث الإيمان مركزي، وهكذا لا بد للكلمة أن تكون مركزية؛ لأن روح الله القدوس يخلق شعبه بكلمته! ربما يمكن أن نُكوِّن شعبًا بوسائل أخرى، وهذا هو الإغواء الأعظم الذي تتعرض له الكنائس. يمكننا أن نُكوِّن شعبًا متحدًا حول عرق ما، أو حول نشاط ترتيل متكامل. يمكننا أن نجد شعبًا يتحمس لمشروع بناء أو لهوية طائفية معينة. ويمكننا أن نخلق شعبًا يجتمع حول سلسلة من مجموعات الرعاية، حيث يشعر الجميع بأنهم محبوبون ويحظون بالاهتمام. أيضًا يمكننا أن نخلق شعبًا متحدًا حول مشروع خدمي مجتمعي، أو حول فرص اجتماعية متاحة للأمهات الصغيرات في السن، أو حول رحلات بحرية لجزر الكاريبي لغير المتزوجين، أو حول مجموعات للرجال. حتى أننا يمكننا أن نخلق شعبًا متحدا حول شخصية الواعظ. وبالطبع يمكن لله أن يستخدم هذه الأشياء جميعها. لكن في النهاية، لا يمكن لشعب الله، أو كنيسة الله، أن تُخلق إلا بكلمة الله.

حين سُئل مارتن لوثر عن إنجازاته كمصلح، أجاب: «كل ما فعلته هو أني علَّمت كلمة الله، ووعظت بها، وكتبتها، ولم أفعل شيئًا غير هذا... فالكلمة أتمت العمل كله»[٢]. إن كلمة الله تعطي حياة.

دور كلمة الله في الوعظ

تُعد أكبر معالجة وأوسعها في العهد الجديد لما لا بد للمجتمع المسيحي أن يكون عليه هي في الأصحاحات ١١-١٤ من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس. وقد

أوجز بولس اهتمامه الرئيسي في الرسالة في ١٤: ٢٦ «لْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِبنيان الكنيسة». وعلى مدى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، يُعَد هذا هو معيار بولس الذي به يقرر ما لا بد أن يتم في الكنيسة. وبالتالي لا بد من تطبيق معيار البنيان ذاته بشكل خاص على ذلك الشيء الذي قلنا إنه مركزي بالنسبة للجماعة المسيحية، أي الوعظ. ولكن، أي وعظ هو الذي سيبني الكنيسة بصورة أكبر؟ لابد وأن تكون الإجابة هي التعليم الذي يفسِّر ويشرح كلمة الله لشعب الله.

بالتأكيد ليس كل وعظ كتابيًا. فقد قال جون برودس ذات مرة في لهجة ساخرة: «إن أصيبت بعض العظات بمرض الجديري، فإن النص لن يلتقط هذه العدوى أبدًا»[٣]. هل يساورك شك في أن الوعظ التفسيري لا بد أن يكون هو الغذاء الوعظي الرئيسي في كنيستك؟ حين أعطى الله لموسى التوجيهات التي تخص الملوك الذي كانوا عتيدين أن يملكوا على إسرائيل، هل تتذكر ما طالبهم الله به؟ في تثنية ١٧: ١٨-٢٠ نقرأ: «وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ، فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا، لِئَلاَّ يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، وَلِئَلاَّ يَحِيدَ عَنِ الْوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً». وما الذي كان يميز الرجل البار في مزمور ١؟ «فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا» (العدد ٢). هذا التلذذ يُرجع صداه مقطعًا بعد الآخر من المزمور المئة والتاسع عشر: «سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ» (العدد ١٦٤)، «حَفِظَتْ نَفْسِي شَهَادَاتِكَ، وَأُحِبُّهَا جِدًّا» (العدد ١٦٧)، «شَرِيعَتُكَ هِيَ لَذَّتِي» (العدد ١٧٤). وبرؤيتنا لهذه المسرة وهذا التلذذ بكلمة الله، نُسلِّم بأن كلمة الله لا بد أن تكون هي الواجب الرائع الملقى على عاتق الوعظ المسيحي.

علاوة على ذلك، نحن نعيش في عالم مثقف متعلم، حيث صارت الكلمة المطبوعة مألوفة لنا جميعًا، وحيث تم تقسيم كلمة الله إلى أصحاحات وأعداد، وتم ترجمتها، وجعلها متاحة بسهولة. لمَ لا نستفيد من ذلك في وعظنا؟ ففي عصور

قديمة، حين لم يكن لدى الواعظين سوى القليل من تلك المزايا، وعظ يوحنا ذهبي الفم، وأغسطينوس، وآخرون سلاسل متتالية من العظات عبر أجزاء من كلمة الله. فقد قال يوحنا ذهبي الفم، في عظته الثالثة باسم «الغني ولعازر (Third Sermon: Lazarus and the Rich Man) : «لقد اعتدت أن أخبركم بموضوع العظة التي سأقدمها قبل عدة أيام، حتى يتسنى لكم أن تنشغلوا بالسِّفر في الأيام التي تسبق العظة، وأن تمروا على النص بأكمله، وأن تتعلموا ما قيل عنه، وما لم يتحدث عنه النص، وهكذا تعدوا أذهانكم بشكل أكبر للتعلم حين تسمعون ما سأقوله بعد هذا»(٤).

وفي التزام ذهبي الفم بأن يقدم لشعبه كلمة الله، كان يحذو حذو موسى، الذي كلفه يثرون بمسئولية تعليم الشعب الناموس والشريعة (انظر خروج ١٨: ١٩ـ٢٠)، وكان موسى أيضًا يحذو حذو يوشيا الذي «قَرَأَ فِي آذَانِهِمْ (أي الشعب) كُلَّ كَلاَمِ سِفْرِ الْعَهْدِ الَّذِي وُجِدَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ» (٢أخبار الأيام ٣٤: ٣٠). وكان يوشيا أيضًا يحذو حذو عزرا واللاويين العائدين من السبي الذين«قَرَأُوا فِي السِّفْرِ، فِي شَرِيعَةِ اللهِ، بِبَيَانٍ، وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى، وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ» (نحميا ٨: ٨).

هذا النمط الخاص بكون تعليم كلمة الله أمرًا مركزيًا بالنسبة لاجتماع شعب الله استمر أيضًا في زمن المسيح، فقد كانت المجامع في أيام يسوع تقرأ كلمة الله في دورات قراءة لمدة عام أو عامين، وكان قارئو الكلمة يفسرون النص، كما فعل يسوع في لوقا ٤. ومن المستحيل أن نحدد مدى تطابق نموذج الكنائس الأولى مع نماذج اجتماعات المجامع في ذلك الوقت بالتحديد، إلا أن مجموعة العظات الباقية حتى الآن من يوحنا الذهبي الفم وواعظين مسيحيين قدامى آخرين، تفترض أن النمط التتبعي التفسيري كان منتشرًا على نحو واسع. وفي العهد الجديد، يوجد عدد قليل من العظات (أو مُلخَّصات العظات)، وهذه العظات تبين وجود اهتمام بأن تكون وثيقة الصلة بالوضع الثقافي للمستمعين، لكن كان الاهتمام الأساسي الأكبر هو أن تكون متأصلة في كلمة الله. بالطبع لم يحظ المسيحيون الأوائل ببعض

الامتيازات التي حصلنا عليها نحن، مثل وجود نص كلمة الله متاحًا للفحص والاطلاع حتى في أثناء العظة، ولذلك فقد اعتمدت تقنيات الوعظ التفسيري على الأغلب على وسائل لتقوية الذاكرة مثل تكرار القراءة. لكن يبدو أن عظة بطرس في يوم الخمسين كانت في جوهرها عبارة عن تأمل، وتفسير، وتطبيق لأجزاء من يوئيل ٢، ومزمور ١٦، ومزمور ١١٠. أيضًا يصرف كاتب رسالة العبرانيين مقاطع مطولة للتعليم عن مزمور ٩٥ (أصحاح ٣-٤) ومزمور ١١٠ (أصحاح ٧).

في كل هذا، نرى أنه من الجيد أن نعظ بالحق، لكن من الأفضل أن نعظ بطريقة بها يتمكن الناس من معرفة المصدر الذي يمكنهم أن يحصلوا على الحق منه. وكما قال س.أ.ب.كرانفيلد، أستاذ اللاهوت السابق بجامعة درم: «لطالما آمنت أنه يمكن لممارسة الوعظ عبر أسفار كتابية مقطع بعد مقطع، بالترتيب، إن تم اتباعه بتعقل وبحس مرهف، أن يكون نافعًا بصورة ضخمة للكنيسة»[٥].

هذا القول صحيح سواء كانت النصوص من العهد القديم أو من العهد الجديد، وسواء كانت فرادى، أو نصوصًا طويلة.

أُحِبُّ كثيرًا ما قاله هوجز أولد عن جون ماك آرثر ووعظه التفسيري: «أمامنا واعظ لا يملك شيئًا من الشخصية الجذابة، أو المظهر الجيد، أو السحر الخاص. أمامنا واعظ لا يقدم لنا شيئًا من وسائل الجذب المتطورة في فن الخطابة، ولا أحد قد يفترض أنه من أعلام فن الخطابة. لكن ما يبدو أنه يمتلكه هو شهادة عن السلطان الحقيقي، فهو يقر بكون الكتاب المقدس هو كلمة الله، وحين يعظ، فإن الناس يسمعون بالفعل كلمة الله. ليس الأمر هو أن كلمات جون ماك آرثر لافتة للانتباه بشدة بقدر ما أن كلمة الله هي المثيرة بشكل فائق، ولهذا يستمع الناس إليه»[٦].

دور كلمة الله في التقديس

علينا أن نتناول أيضًا دور كلمة الله في تقديسنا؛ فلا بد لكلمة الله أن تكون مركزية في حياتنا كأفراد وككنيسة، لأن روح الله يستخدم الكلمة لكي يخلق الإيمان في داخلنا ويسبب نمونا. لن نتبحر في هذه النقطة بتأني كما فعلنا في النقطة السابقة، لكنها واضحة تمامًا في كلمة الله. وكما كان رد يسوع على إبليس، مقتبسًا من سفر التثنية، حين قال: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (متى ٤: ٤، مقتبَسة من تثنية ٨: ٣). أيضًا نعلم تلك الكلمات الشهيرة الي قالها كاتب المزمور: «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (مزمور ١١٩: ١٠٥).

حين ننظر إلى تاريخ إسرائيل ويهوذا في العهد القديم، نرى مرارًا وتكرارًا قوة كلمة الله في التقديس. ففي أثناء حكم الملك يوشيا، في أيام انحدار يهوذا (٢أخبار الأيام ٣٤)، تم اكتشاف سفر الشريعة - أي كلمة الله المكتوبة- وقرئت هذه الشريعة على مسامع يوشيا الملك، وكان رد فعله هو أن مزق ثيابه في توبة، ثم بعد هذا قرأ كلمة الله على مسامع الشعب. وحين خرجت كلمة الله للعلن، جرت صحوة قومية، فإن الله يستخدم كلمته لتقديس شعبه ولكي يجعلهم أكثر تشبهًا به.

هذا هو أيضًا ما علمه الرب يسوع، في صلاته التي صلاها كرئيس للكهنة، قائلًا: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ». (يوحنا١٧: ١٧). أيضًا كتب بولس أن «المسيح أحب الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ» (أفسس ٥: ٢٥، ٢٦).

نحن بحاجة لكلمة الله كي نخلص، لكننا نحتاجها أيضًا أن تستمر في تحدينا وتشكيلنا. فإن كلمته لا تمنحنا الحياة فحسب، بل أيضًا الإرشاد فيما تستمر في تشكيلنا على صورة الله الذي يتحدث إلينا.

في زمن الإصلاح، كان لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عبارة لاتينية صارت بمثابة شعار معروف وهي: semper idem، والتي تعني «دائمًا كما نحن».

حسنًا أيضًا الكنائس المصلحة لديها شعار يحوي كلمة «دائمًا» وهو: ecclesia reformata, semper reformanda secundum verbum Dei"، والذي يعني: «الكنيسة المصلحة، التي هي دائمًا مصلحة بحسب كلمة الله». فإن الكنيسة الصحيحة هي تلك الكنيسة التي تستمع لكلمة الله، وتستمر في هذا، ودائمًا تتشكل وتتشكل من جديد من خلال هذه الكلمة، وباستمرار تغتسل في الكلمة وتتقدس بالحق الإلهي.

ولأجل أن نكون صحيحين فرديًا كمؤمنين، وجماعيًا ككنيسة، لا بد أن نستمر في أن نتشكل بطرق جديدة وأعمق، وذلك من خلال أجندة الله في حياتنا، وليس من خلال أجنداتنا الخاصة، فإن الله يجعلنا أكثر مشابهة له من خلال كلمته، غاسلًا، ومنعشًا، ومشكلًا إيانا من جديد.

هذا يأتي بنا إلى نقطة رابعة هامة.

دور الواعظ بكلمة الله

إن كنت تبحث عن كنيسة جيدة، فإن الدور الأهم الذي ينبغي وضعه في الاعتبار هو دور الواعظ بكلمة الله. لا يهمني إلى أي حد تظن أن أعضاء الكنيسة ودودون، ولا يهمني ما تظنه بشأن جودة الموسيقى، فإن تلك الأشياء يمكن أن تتغير، لكن أهم شيء على الإطلاق يمكن أن تبحث عنه في كنيسة ما هو التزام جماعة الكنيسة تجاه مركزية الكلمة الآتية من المقدمة، أي من الواعظ، ذلك الشخص الذي أعطي موهبة بشكل خاص من الله ودُعي لتلك الخدمة.

استشهد أوس جينس في كتابه "Dining with the Devil" (عشاء مع الشيطان)، بمقال من مجلة نيويوركر يرثي حال الكثير من الوعظ في هذه الأيام الذي هو على غرار «ما يطلبه المستمعون»، فيقول:

«بدلًا من أن يلتفت الواعظ إلى العالم، يلتفت إلى آراء شعبه، محاولًا اكتشاف ما يبغي الجمهور سماعه، ثم يبذل أقصى ما في وسعه لنسخ ذلك، مقدمًا

المنتج النهائي إلى السوق الذي فيه يحاول آخرون فعل الشيء نفسه. أما الجمهور، الذي يتوجه إلى ثقافتنا الكنسية ليعرف عن العالم، فيكتشف أنها لا تحوي سوى انعكاسًا لهذا العالم»[٧].

ليس هذا ما يفترض أن يكون عليه الأمر، فإن الواعظين ليسوا مدعوين كي يعظوا بما له شعبية وانتشار بحسب آراء الناس، فإن الناس بالفعل يعلمون كل هذا. أي حياة يأتي بها هذا؟ لسنا مدعوين كي نكرز ونعظ فقط ببعض الوصايا والتشجيعات الأدبية، أو ببعض الدروس التاريخية، أو التعليقات والتفسيرات الاجتماعية (على الرغم من أن كل تلك الأشياء قد تكون جزءًا من عظة جيدة)، بل كي نعظ بكلمة الله لكنيسة الله، ولكل شخص من خليقته، وهذه هي الكيفية التي بها يعطي الله الحياة. كل شخص يقرأ هذا الكتاب – علاوة على الكاتب نفسه – قد تنجس ولديه أخطاء، وقد أخطأ في حق الله. والأمر المخيف بخصوص طبائعنا الساقطة هي أننا نلهث ونطمع في وسائل نبرر بها خطايانا التي ارتكبناها في حق الله. وكل شخص فينا بصورة فردية يريد أن يعرف كيف يمكنه أن يدافع عن نفسه أمام اتهامات الله. ولذلك نحن في حاجة ماسة لأن نسمع كلمة الله تقدم لنا بأمانة، حتى لا نسمع ما نريده فحسب، بل ما قاله الله بالفعل.

تذكر أن كل هذا له أهمية لأن روح الله القدوس يخلق ويكون شعبه من خلال كلمته.

ولهذا السبب أخبر بولس تيموثاوس أن «يُشَكِّل لجنة». هل هذا صحيح؟ بالطبع لا! بل أخبره أن يجري «استطلاع رأي»؟ لا، فإن بولس لم يوصِ أحدًا قط بأن يجري استطلاع رأي. هل أخبره أن «ينهك نفسه في الزيارات»؟ أو أن «يقرأ كتابًا ما»؟ لا! فإن بولس لم يخبر تيموثاوس الشاب قط بأن يفعل أي شيء من ذلك.

لقد أخبر بولس تيموثاوس، بشكل مباشر وواضح، أن «يكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ» (٢تيموثاوس ٤: ٢)، هذه هي الوصية الإلزامية العظمى. ولهذا السبب أيضًا عزم الرسل في القديم أن يجدوا آخرين لحل مشاكل مختصة بالتوزيع المتساوي للمعونات المالية في كنيسة أورشليم، لكي يتسنى لهم هم أن «يواظبوا عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ». (أعمال ٦: ٣-٤٩). لمَ هذه الأولوية المعطاة لخدمة الكلمة؟ لأن هذه الكلمة هي «كلمة الحياة» (فيلبي ٢: ١٦). فإن المهمة العظمى للواعظ هي أن «يقدم كلمة الحياة» لأناس هم بحاجة إليها لنفوسهم.

بعض الانتقادات اليوم تقترح أننا بحاجة إلى وسائل لتوصيل الحق الإلهي تكون أقل عقلانية ومنطقية، وأكثر إبداعًا، وأقل سلطوية ومخاطَبة للنخبة، وأكثر شعبية ومشاركة، أفضل من تلك الوسيلة العتيقة التي تنطوي على وقوف شخص واحد في الطليعة وتحَدُّثِه إلى الآخرين في مونولوج (حديث فردي). فهم يقولون إننا في حاجة لمقاطع فيديو وحوارات متبادلة ورقص ليتورجي. ومع ذلك فهناك ما هو صائب وجيد بخصوص هذه الوسيلة العتيقة يجعلها ملائمة، بل وربما ملائمة بشكل خاص، لثقافتنا اليوم. إذ في هذه الثقافة الذاتية الإنعزالية التي فيها كل شخص صار منشغلًا بحاله، وفي هذه الثقافة المعادية للسلطة التي فيها صار كل شخص مرتبكًا بل ويربك من حوله، من الملائم لنا أن نجتمع معًا ونصغي إلى شخص يقف في مكان الله، معطيًا إيانا كلمته، في حين لا نساهم نحن بشيء سوى باستماعنا إليها والانتباه لها. وفي هذه العملية، أي في ذاتها ومنها، يوجد رمز هام.

بالتأكيد سيأتي يوم حين يفسح الإيمان مجالًا للعيان، وحين تنتهي العظات. ودعني أخبرك أنه لا أحد يتلهف ويتوق لهذا اليوم أكثر مني ومن غالبية الواعظين من إخوتي، ذلك اليوم حين لا نعود بحاجة إلى الإيمان لأننا يمكننا أن نرى الرب - وهذه هي ذروة الكتاب المقدس، «وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ» (رؤيا ٢٢: ٤)، حينئذ يمكن طرح عصا الإيمان القديمة تلك، فيما نركض لنراه بأعيننا.

لكننا لم نصل إلى ذلك بعد، فنحن لا زلنا نعمل ونجتهد تحت نتائج خطايا أبوينا الأولين وخطايانا الشخصية. ففي ذلك اليوم، سيفسح الإيمان المجال للعيان، لكن بالنسبة للوقت الحالي فنحن في زمن مختلف – لكن بنعمة الله ليس هذا زمن يأس كامل، فإن الله يعطينا كلمته ويعطينا أيضًا إيمانًا، فإننا في عصر الإيمان. وهكذا، مثلنا مثل آبائنا الأوائل الذين سبقونا، مثل نوح وإبراهيم، وشعب إسرائيل، والرسل القدامي، نحن نستند على كلمة الله.

ما الذي يعنيه كل هذا لكنائسنا؟ هذا يعني أن الوعظ بالكلمة لا بد أن يكون مركزيًا بصورة مطلقة. فإن الوعظ الصحيح والتفسيري هو في الغالب نبع ومصدر النمو لأية كنيسة. دع خدمة تفسيرية جيدة تتأسس، وشاهد ما سيحدث. دعك مما يقوله الخبراء، وشاهد التحول الذي سيجري في حياة الجوعى، فيما يتحدث إليهم الإله الحي من خلال سلطان وقوة كلمته. وكما كان الأمر في اختبار مارتن لوثر، فإن مثل هذا الانتباه والاهتمام الجيد بكلمة الله هو الوسيلة للخلاص، وهو في الغالب ما يكون بداية الإصلاح. وكما قال بولس: «لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ». (١كورنثوس ١: ٢١).

هذا لا يعني أن مثل هذه الخدمة ستحظى دائمًا بصيت جيد، وستبارَك بازدياد عدد السامعين إليها وبمن سيعتمدون. لكن المقصود من هذا هو أن هذه الخدمة دائمًا ما ستكون على صواب وملائمة، وأنها ستمد أولاد الله بالطعام الذي يحتاجونه، فإنه «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ». (تثنية ٨: ٣).

هل تعمل في وظيفة حيث تتلقى الكثير من المكالمات الهاتفية؟ إذًا أنت تعلم أن بعض هذه المكالمات لا تستدعي منك أبدًا معاودة الاتصال، وأن البعض الآخر يستدعي منك معاودة الاتصال، لكن في وقت ما في الأسبوع أو الشهر المقبل. لكن

بعض تلك المكالمات لها طبيعة تستدعي أن تستمع إلى الرسالة فتعلم أنك تحتاج أن تتلقاها في الحال. وماذا إن هاتفك الرب نفسه؟ أظن أنك ستركض بشدة لتلقى هذه المكالمة. نحن نقول إننا نؤمن بأن الكتاب المقدس هو حقًّا كلمة الله، أي إن الله يتكلم إلينا، ومع ذلك ففي كثير من الأحيان نتجاهلها وننحيها جانبًا ونرفض أن نصرف وقتًا للتفكير فيها، وفي المقابل تُبتلَع حياتنا بأشياء أخرى مثل الخروج لتناول العشاء مع صديق، أو مشاهدة التلفاز، أو قراءة كتب أخرى غير الكتاب المقدس. لا شيء من هذا سيء في حد ذاته، لكن ما الذي يعنيه حين نقول إن الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ هذا يعني أننا لا بد أن نسمعها وننتبه إليها.

الكثير جدًا من الناس في هذه الأيام الغريبة، بل وحتى أولئك الذي يقولون إن الكتاب المقدس هو كلمة الله، لا ينوون أن يتبعوها. إذًا ليس بالأمر المفاجئ أن نسمع أن ٣٥٪ من المسيحيين المدعوين مولودين ثانية يقولون إنهم لا زالوا يبحثون عن معنى للحياة – وهذه هي النسبة المئوية نفسها الموجودة بين غير المسيحيين. أي منفعة لك أن تظن أن لديك كلمة الله، إن لم تلتفت إليها، وإن لم تقرأها وتصلي بها وتخضع حياتك لها؟

على الوعظ أن يكون به بعض المحتوى، وبعض الشفافية في الصورة. فإن من يستمعون للوعظ لا بد أن يعلموا أنهم يسمعون وعظًا بكلمة الله، وعلى أعضاء الكنيسة أن يشجعوا الواعظين، ويصلوا لأجلهم، وينقبوا عن مثل هذا النوع من الوعظ، ويشكروا الله لأجله حين يأتيهم. من الجيد أن نعظ بالحق، وأن نعظ به بحيث يرى الناس مصدر الحق الذي يسمعونه. ذلك هو ما يحتاجه المؤمنون أكثر من أي شيء آخر.

إذًا ما الذي يجعل من كنيسة ما كنيسة صحيحة بالفعل؟

يحتاج الناس إلى ما هو أكثر من موقف للسيارات، أو مقاعد، أو ترحيب، أو برامج، أو رعاية للأطفال، أو موسيقى، بالإضافة إلى كل ما سألتكم عنه في بداية

هذا الفصل، بل ويحتاجون إلى ما هو أكثر من الواعظ نفسه، فهم يحتاجون إلى ما يوعَظ به – أي كلمة الله. هذا لأنه «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». (متى ٤: ٤).

مصادر أخرى

- ## للدراسة في مجموعات:

Hearing God's Word: Expositional Preaching, a six week inductive Bible study from 9Marks

- ## للدراسة بتعمق:

Preach: Theology Meets Practice, by Mark Dever and Greg Gilbert

- ## للمزيد من التأمل:

Reverberation: How God's Word Gives Light, Freedom, and Action to His People, by Jonathan Leeman

العلامة الثانية

اللاهوت الكتابي

إله الكتاب المقدس إله خالق

إله الكتاب المقدس إله قدوس

إله الكتاب المقدس إله أمين

إله الكتاب المقدس إله محب

إله الكتاب المقدس إله صاحب سيادة

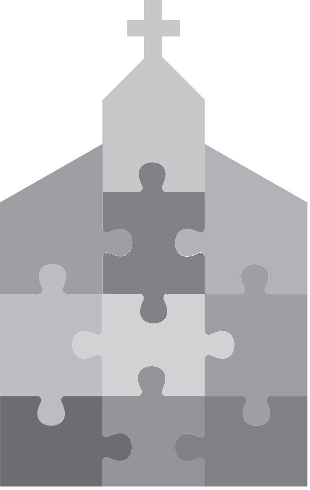

العلامة الثانية

اللاهوت الكتابي

أتذكر أني كنت ذات يوم جالسًا في حلقة دراسية تعليمية حين قمت بإبداء ملاحظة عن الله كما هو في الكتاب المقدس. وهنا أجابني بيل، وهو طالب آخر بالصف، في أدب ولباقة ممتزجين في الوقت ذاته بصرامة، أنه يحب أن يفكِّر في الله على نحو مختلف. إنه يود أن يرى الله شخصًا حكيمًا، لكن لا يتدخل فيما لا يعنيه؛ ورؤوفًا، لكن لا يسيطر البتة؛ وأنه دائمًا ما يكون واسع الحيلة، لكنه لا يُقاطع أو يعترض البتة. ثم أضاف بيل: «هذا هو الله كما أحب أن أفكر فيه».

ربما كانت ردة فعلي آنذاك أكثر حدة إلى حد ما مما كان ينبغي، فقد قلت: «أشكرك يا بيل لإخبارنا بالكثير عن نفسك، لكن اهتمامنا الأكبر هو أن نعرف من هو الله حقًا، وليس أن نعرف رغباتنا الشخصية».

وللحظة التزم الجالسون في الصف الصمت، فيما كانوا يستوعبون خرقي لحدود الأدب، وفيما كانوا يستوعبون أيضًا ما كنت أقصده. ثم بعد هذا قمت بإبداء بعض عبارات التقدير من نحو بيل، ثم استطردنا في نقاشنا حول طبيعة الله وشخصيته كما هما معلنتان في الكتاب المقدس.

كيف يبدو الله في اعتقادك؟ ولا أسألك هنا كيف ترغب أن يبدو الله، لكن كيف تنجح في الجمع بين إله الكريسماس وإله الدينونة العظيمة في اليوم الأخير؟ ربما يبدو هذا النقاش برمته كلامًا فارغًا بالنسبة للبعض؛ فما جدوى أن أنفِق أية طاقة وأنا أحاول معرفة ما يعتقده مختلف البشر عن كائن غير منظور؟

يمكنني أن أتفهم جيدًا الفكر المتشكك* حيال أهمية طبيعة الله، إذ تبدو المعتقدات الدينية بالفعل عديمة الصلة بعالمنا بطرق عديدة. فإننا نشاهد على شاشات التلفاز أتباع الكنيسة الكاثوليكية في روما يتملقون البابا، في حين يتجاهلون تعاليمه حول منع الحمل والإجهاض. أما المعمدانيون الجنوبيون، الذين كانوا يُعرَفون قبلًا بشجبهم لممارسة الجنس بطريقة غير شرعية، ولتعاطي المخدرات، ولموسيقى الروك آند رول – خشية أن تقود إلى الرقص، أو شرب الخمر، أو المقامرة – صاروا الآن يصوَّرون على أنهم معارضون لاستمرار الالتزام بالناموس الأدبي، وعلى أنهم تصالحوا في هذه الأيام مع المبدإ الأخلاقي: «كل الأشياء تحِلُّ لي».

يلائم عدم الاكتراث بالمعتقد الإيماني ضيق صدر مجتمعنا الحالي بالتفاصيل. ففي المجتمع اليوم، تم استئناس المعتقدات الإيمانية وتكييفها بحيث لم نعد نتجادل حولها، حتى أن الكثيرين لم يعودوا يكترثون لها. وفي النهاية، وحسبما نعتقد، صارت الكثير من المعتقدات مجرد موضات عابرة، أو تعبيرات وقتية عن رغبات فردية. وصار الأمريكيون مبتدعين لديانات مفصَّلة على هواهم، ولعقائد إيمانية متنوعة الأصناف تشبه «البوفيه المفتوح»: «سآخذ القليل من هذا الشكل من الهندوسية، والقليل من هذا الشكل من المسيحية، والقليل من هذا من جدتي»، حتى يصنع كل واحد دياناته الخاصة. واليوم يؤمن الناس بأن ما هو حق هو ببساطة ما يرغبون أن يكون حقًا.

كذلك أعيد تشكيل معتقدات مسيحية لطالما تم تبنيها والإيمان بها بخصوص كل شيء، بدءًا من طبيعة الله ووصولًا إلى المبادئ الأخلاقية. وفقدت هذه المعتقدات أهميتها لدى الكثيرين؛ فقد تم نبذها والتخلي عنها تحت ذريعة جعل المسيحية

---

* مذهب الميل إلى التشكيك في المعتقدات. وهو يعني أن معرفة أمور معينة معرفة حقيقية هي أمر غير مؤكَّد. [المترجم].

مستساغة وأكثر مواءمة، وأكثر قبولًا عند مستمعي هذا الزمان.

إلى أي مدى يُعتبر ما تؤمن به من معتقدات وثيق الصلة بحياتك اليومية؟ وحين جلستَ آخر مرة في الكنيسة، إلى أي مدى استرعت انتباهك كلمات الصلوات التي سمعتها؟ إلى أي حد انشغل فكرك بكلمات الترنيمات التي رنمتها؟ وماذا عن الكلمات التي سمعتها من كلمة الله؟ هل يهمك حقًا إن كان ما قلته أو رنَّمْته في الكنيسة حقيقيًا؟

ما مقدار أهمية الحق على أية حال؟ إن كنتُ أذهب بالفعل إلى الكنيسة، وإن كنت ودودًا واجتماعيًا، وأشعر بالتشجيع، وإن كنت أعطي من وقتي أو حتى من أموالي للتواجد هناك، فما قدر أهمية ذلك حقًا إن كنت في أعماقي لا أصدق ما يقوله الناس من حولي، أو ربما حتى ما أقوله أنا؟

على قدر علمي، كان الشخص الوحيد الذائع الصيت الذي يمت لي بصلة قرابة هو صمويل ف. ب. مورس، مخترع شفرة التلغراف التي تحمل اسمه**. وبحسب ما قيل لي، فهو كان قريبًا لأحد أجداد والدتي القدامى (ولا تقل لي إن أبويه لم يكن لهما إخوة أو أخوات!) وفي فبراير من عام ١٩٩٩م، وبعد مضي أكثر من تسعين عامًا على استخدام شفرة مورس، انحصر استخدامها في أن تكون الوسيلة الرسمية للتواصل الملاحي بين السفن، مستبدلين إياها بنظام على متن السفينة يتصل بالأقمار الصناعية. بالتأكيد يلزم أن يكون لدينا نوعٌ ما من إطار العمل تبحر السفن بموجبه، سواء كان النجم القطبي (نجم الشمال) أو نظام تحديد المواقع عبر الأقمار الصناعية (GPS).

تتصل أهمية مثل هذه الأُطُر، ليس بالسفن فحسب بل أيضًا بالأفراد والكنائس. نحن في حاجة إلى أن نمتلك ما تطلق عليه الكتابات الأدبية الرواية الأشمل

** أي شفرة مورس [المترجم]

metanarrative، أي معنى أو إطار عام. ولكننا في هذه الأيام نواجه تجاهلًا بل وعداءً تجاه مثل هذه المعاني والأطر الشاملة. هذا العداء ليس بالشيء الجديد الذي ظهر مع حلول عصر ما بعد الحداثة، بل كان يحوم حولنا منذ فترة طويلة. فمنذ ما يزيد عن خمسين عامًا، كتب كارل بوبر مؤلَّفه العظيم "The Open Society and Its Enemies" (أي المجتمع المنفتح وأعداؤه)[١]، وقد خصَّص الفصل الأخير لهذا الكتاب لإنكار فكرة وجود أي معنى للتاريخ على الإطلاق. وقد كان بوبر على قناعة بخطورة التأكيد على وجود أي معنى أو قصد للتاريخ، وهذا لأنه كان يهوديًا من النمسا، كان قد هرب من الاحتلال النازي لفيينا. وقد برَّرَ النازيون في ذلك الحين، مثلهم مثل الماركسيين، أفعالهم بمفردات ما رأوه من معنى وقصد في التاريخ.

وفيما أفكر مليًا في كتاب بوبر وفي موضوع اللاهوت الكتابي – أي لاهوت الكتاب بكامله – أرى سُخرية شيطانية في ادعاء ما بعد الحداثة بكون المعاني الشاملة شيئًا قمعيًا. فإن معتنقي هذا الفكر يعتقدون أن المعاني والأطر الكبرى «إجمالية»، أي أنها تقمعنا بأن تجعلنا نرى كل شيء من وجهة نظرها. والكثيرون اليوم يطلقون على جميع هذه «المعاني الأشمل (metanarratives)» لفظة قمعية. إلا أن تلك «المعاني الأشمل» الإلهية لا تَقْمَع، بل تُحرر!

لقد تحدثنا في الفصل السابق عن أهمية الوعظ التفسيري، لكن اهتمامنا الأساسي لا ينبغي أن يقتصر على الكيفية التي نتلقى بها التعليم، بل ينصب أيضًا على محتوى ما نتعلمه على وجه الخصوص. ينبغي أن نرغب في رعاة يعظون من كلمة الله، لكننا ينبغي أيضًا أن نستمع جيدًا إلى ما يقوله هؤلاء الرعاة، ونُحدِّد إن كان ما يقولونه متوافقًا مع كلمة الله أم لا. لا يلزمنا واعظون يدَّعون فحسب أنهم يعظون من الكلمة، بل يلزمنا رعاة تتماشى عظاتهم بصورة واضحة مع ما تعلمه حقًا كلمة الله. وهذا يشكل أهمية خاصة حين يتعلق الأمر بما يتم تعليمه عن طبيعة الله نفسه وشخصيته. فإن أحد العلامات الرئيسية التي تميز الكنيسة الصحيحة هي فهمها

الكتابي الصحيح عن الله من حيث شخصيته وطرقه في التعامل معنا.

لذلك، سنسعى في هذا الفصل إلى اكتشاف الخطوط الرئيسية لقصة الكتاب المقدس العظيمة – أي إطارها الأشمل، إن جاز القول. فإن فَهِمنا هذه الخطوط الرئيسية بصورة أوضح، حينئذ سنفهم إله الكتاب المقدس بصورة أوضح. ولدينا خمس كلمات توجز لنا ما يعلِّمه الكتاب المقدس عن الله: هو إله خالق، وقدوس، وأمين، ومحب، وصاحب سيادة.

تأمل كل واحدة من هذه الحقائق فيما نستكشف معًا كيفية عرض الكتاب المقدس لها، ثم حاول أن تتخيل الفارق الذي قد يشكله إن كان أي منها غير حقيقي في حياتك.

إله الكتاب المقدس إله خالق

من بداية الكتاب المقدس نرى أن الله إله خالق، فإننا نعرف أنه خلق العالم، وخلق شعبًا خاصًا لنفسه في هذا العالم.

أحيانًا يتم تصوير الكتاب المقدس على أنه مجموعة من المشاعر السامية الأخلاقية. لكن إن كنت قد قرأت الكتاب المقدس حقًا، فستعلم أنه مليء بالتاريخ. فإن قدرًا كبيرًا منه عبارة عن قصة طويلة تدور حول ما يجري من أحداث مع الله ومع العالم الذي خلقه. أعلم أن البعض يديرون رؤوسهم بعيدًا في اللحظة التي يسمعون فيها كلمة «تاريخ»، لكن تاريخ الكتاب المقدس قصة رائعة ومدهشة. فهي تبدأ من العدم، ثم يصير هذا العدم شيئًا. وهذا هو أروع شيء يمكن تصوره على الإطلاق. ثم بعد أن صار العدم شيئًا، خلق الله الخليقة الجامدة، ثم بعدها الخليقة الحية. ثم في النهاية خلق الله الرجل والمرأة على صورته.

أعطانا الله قصة جنة عدن، ثم قصة السقوط. ومن هذا السقوط استمر الحال في الانحدار، من قايين وحتى نوح. ثم بعد هذا نقرأ عن الطوفان. وبعد نوح يبدأ

الانحدار مرة أخرى، حتى نصل إلى زمن برج بابل.

ثم يدعو الله إبراهيم. وهنا تبدأ تلك القصة المميَّزة جدًا عن خلق الله لشعب خاص لنفسه. ويختبر هذا الشعب فترة وجيزة من الرخاء والازدهار، لكن بعد هذا يسقط إسرائيل في عبودية استمرت لقرون. ولكن يأتي موسى ليقود رحلة الخروج، حيث ينقذ الله شعبه من العبودية، ثم لاحقًا يعطيهم الناموس. وأخيرًا، يدخل الشعب أرض الموعد.

هكذا نرى أن العهد القديم لا يقدم لنا مجرد لاهوت روحي نظري عن الله، ولا مجرد قائمة من الأفكار الفلسفية فحسب، لكن إعلانًا أرضيًا محددًا للغاية عن من هو الله وما هي خصائصه المميزة.

لدينا في العهد الجديد أيضًا قصة تحوي جميع هذه الأفكار الرئيسية، لكن مع بعض الوقفات الهامة. ففي العهد الجديد نجد شعبًا اختير بالكامل بنعمة الله، ويعتمد بصورة مطلقة على وعوده.

حين يعلن أرباب عمل ما عن توفر فرصة عمل جديدة، تتوافد السير الذاتية بكثرة من المتقدمين لشغل هذه الوظيفة. ويعلم أرباب العمل جيدًا أن قراءة سيرة ذاتية مكتوبة شيء، والعمل الفعلي مع الشخص شيء آخر. ولهذا السبب يطلبون شهادات خبرة، فهم يريدون أن يعلموا كيف يكون التفاعل الحقيقي مع شخص معين. هكذا أيضًا في العهد القديم، لم يقدم لنا الله مجرد سيرة ذاتية عن بعض الحقائق النظرية عن نفسه، بل أمدنا بقصة تدور حول كيف تبدو الحياة الفعلية، والتفاعل الحقيقي مع الله، ومعرفته. وحين نقرأ هذا التاريخ، نتعلم ما الذي يعنيه أن نكون شعب الله، ونرى الكثير عن شخصية الله وصفاته المميزة.

لهذا نحن في حاجة إلى فهم الحق الذي يقدمه الكتاب المقدس عن الله وعن أنفسنا. وبالتالي، لا بد للتعليم الصحيح في كنائسنا أن يتضمن التزامًا واضحًا بتعاليم

الكتاب المقدس، حتى إن كانت الكثير من الكنائس تتجاهل تلك التعاليم. فإن لزم أن نعرف التعليم الصحيح الذي يقدمه الكتاب المقدس، لا بد من أن ندرس حتى تلك العقائد التي قد تكون صعبة الفهم أو التي من المحتمل أن تُسبِّب الخلاف، لكنها أساسية لكي نفهم الله. إن علم اللاهوت ليس مجرد مسألة غامضة، أو نظرية، أو أكاديمية، لكن اللاهوت الكتابي علامة من علامات الكنيسة الصحيحة.

يتضح لنا من دراستنا الموجزة للكتاب المقدس عن الله الخالق أنه خلق أمة معينة من البشر واختارها لتكون خاصته. يقول البعض إن الله بهذا الاختيار كان بشكل ما غير عادل. لكن هذا التعبير لا ينبغي استخدامه لوصف الله. وحتى إن أمكن هذا، فلسنا نحن من ينبغي علينا استخدامه! نحن الذين نهتم بمصالحنا الشخصية أكثر من اللازم، وحملنا تكبُّرُنا إلى أن نحكم متى يكون الله، خالق الكون، عادلًا أو ظالمًا.

يبين لنا التاريخ المسجَّل في الكتاب المقدس بكل وضوح وصراحة أن الله إله خالق، وإله يَختار. ويُعلِّم الكتاب المقدس من دون شك أن خلاصنا هو بالكامل من الله وليس من أنفسنا، وهذا على الرغم من عدم قدرتنا في الوقت الحالي على استيعاب جميع ما يتضمنه هذا الحق.

لا بد أن نقر بأن الله هو البادئ العظيم، والواهب العظيم، وخالق العالم، وخالق شعبه، ورئيس (مُبدئ) إيماننا. هكذا هو الله، هو إله خالق.

إله الكتاب المقدس إله قدوس

إن أردنا أن نفهم قصة الكتاب المقدس بكاملها، ليس علينا أن نفهم أن الله خالق فحسب، بل لا بد أن نفهم أيضًا أنه ليس إلهًا غير مبالٍ أخلاقيًا، وكأنه صنع ساعة، وقام بتشغيلها، ثم تنحى عن المشهد وتركها تعمل. فإن الله ليس متجاهل لخليقته. وحين نَقرأ صفحات الكتاب المقدس، نرى إلهًا شغوفًا بالقداسة.

حين تُقيم كنيستنا فريضة العشاء الرباني، نستمع إلى الكلمات التي قالها يسوع: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي». (لوقا ٢٢: ٢٠). إن لغة العهد هذه شبيهة بلغة العهد القديم بكل معنى الكلمة. أحيانًا يرى اللاهوتيون أن هذه اللغة تبدو باردة أو جافة، إلا أن فكرة العهد ليست كذلك على الإطلاق، فهي لا تقتصر على كونها علاقة قانونية، لكننا في العهد القديم نجد أن لغة العهد هي لغة العلاقة الشخصية. ولنأخذ حياتك الشخصية مثالًا. تُعد الالتزامات التي تنص عليها العهود التي قطعتها من أهم وأعمق العلاقات في حياتك وأكثرها حساسية. وعلاقة الزواج بالأخص هي علاقة عهد تدخلها أمام الله، متعهدًا بأن تحب وتعتني وتعطي. وحين نقرأ في الكتاب المقدس عن شغف الله بالقداسة واهتمامه الشديد بها، فإننا نجد هذا الشغف في سياق عهده معنا.

إلا أن شغف الله بالقداسة يسبب مشكلة في سعيه لإنشاء علاقة معنا. فإننا نحن البشر نخطئ بدلًا من أن نكون قديسين، مع أننا مدعوون لعلاقة مع الله القدوس. توجد في اللغة الإنجليزية كلمة "atonement" (أي كفارة)، والتي تعني حرفيًا "at-one-ment" (ومن معانيها التوفيق بين اثنين). وهكذا نحن في حاجة إلى الكفارة لأننا نحتاج للتصالح مع – أي التناغم والتوافق (at one with) – هذا الإله القدوس. نحن الخطاة قد فصلنا أنفسنا عن الله، وهكذا نحتاج إلى التصالح معه. وكل شخص منا يحتاج أن يسأل نفسه هذا السؤال: كيف لي أن أقيم علاقة مع هذا الإله القدوس؟

نحن نحتاج إلى المصالحة لأن الخطية تفصلنا عن الله (أمثال ١٥: ٢٩؛ إشعياء ٥٩: ٢؛ حبقوق ١: ١٣؛ كولوسي ١: ٢١؛ عبرانيين ١٠: ٢٧). إن جميع البشر خطاة، وفقًا لما يقوله الكتاب المقدس (١ ملوك ٨: ٤٦؛ مزمور ١٤: ٣؛ أمثال ٢٠: ٩؛ جامعة ٧: ٢٩؛ مرقس ١٠: ١٨؛ رومية ٣: ٢٣)، وعاجزون عن التصدي للخطية بأنفسهم (رومية ٣: ٢٠؛ غلاطية ٢: ١٦). وهكذا الخطية، باعتبارها كسرًا للوصايا الإلهية، تتطلب الإصلاح.

ترتبط فكرة الكفارة في العهد القديم بفكرة الذبيحة باعتبارها الوسيلة التي دبَّرها الله لإجراء هذا الإصلاح، وإصلاح علاقتنا به. هذه الفكرة لا تتمثل في محاولة مثيرة للشفقة لاسترضاء بركان ما، مثل ما يحدث في رواية في كتاب أو فيلم. إن تعليم العهد القديم عن الذبيحة لا يحوي بذل جهود بشرية لنيل رضا الله، بل بالحري، هو إعلان الله لشعبه عن الوسيلة التي يمكنهم بها أن يعرفوه، أو الوسيلة التي يمكنهم بها أن يجدوا الطريق الصحيح للذهاب إليه بالرغم من خطاياهم. فقد تكلم الإله الحي، وقدَّم لنا بنفسه وسيلة المصالحة.

تبدو فكرة الذبيحة هذه فكرة متأصلة في الكتاب المقدس. قدَّم قايين وهابيل ذبائح. كما كان ينبغي أن يُذبَح خروف الفصح (خروج ١٢)، الذي كان لا بد أن يكون بلا عيب، ويُقدَّم ذبيحة، ثم يوضع دمه علامة على البيوت التي كان الله سينقذها من الموت؛ فقد كان الله سينهي حياة الابن البكر (الذي كان يمثل العائلة بكاملها). قال الله: «فَأَرَى الدَّمَ...» (خروج ١٢: ١٣). لقد كان الغرض الواضح من هذه الذبيحة هو إرضاء الله.

ثم نجد موضوع الذبيحة يتكرر كثيرًا في سفر اللاويين، بغرض تعليم الشعب أن الخطية تنجس الإنسان، وتُكلِّفه حياته، وتفصله عن الله. إن إلهًا قدوسًا لا بد أن ينفصل عن شعب خاطئ. وقد بيَّنت هذه الذبائح لشعب الله أن القداسة ضرورية، ولأنهم لم يكونوا قديسين، فهم في حاجة إلى كفارة، أي طريقة ما للتصالح مع الله. وأشارت تلك الذبائح إلى استرداد علاقة الشعب مع الله. وكان ينبغي أن تكون جميع الذبائح والتقدمات إرادية، ومكلِّفة، ومملوكة لمقدم الذبيحة، ومصحوبة باعترافه بخطاياه، بحسب ما أمر به الله.

لقد كان هناك فارق هام بين الذبائح الكتابية والذبائح القديمة الأخرى. فبحسب الفكر الكتابي، لم يكن على المتن أن يقدِّم الذبائح بل المذنِب. ولم يكن يُقدِّمُها الجاهل بل العارف بالأمر. كانت حياة الذبيحة الحيوانية، التي يرمز إليها

الدم، تؤخذ بديلًا عن حياة الإنسان المذنب العابد لله. وبهذا أظهرت هذه الذبائح خطورة الخطية وأنها تُكلِّف الإنسان حياة. كان لا بد أن تقدَّم جميع التقدمات بحرية الاختيار وأن تكون مكلفة لمن يقدمها، أي مما يملكه هو. وربما كان الله بهذا يغرس في أذهان الشعب بصورة رمزية فكرة تقديم البريء بديلًا عن المذنب. وقد علَّمت هذه الذبائح الشعب أن الخطية تنجس الإنسان. ولهذا السبب صُمِّمَ الهيكل بحيث يكون الدخول إلى قدس الأقداس مقصورًا على رئيس الكهنة، مبيِّنًا كيف تعيق الخطية الاقتراب إلى الإله القدوس. كما أظهرت هذه الذبائح ضرورة التطهير، وكون الخطية أمرًا خطيرًا لدرجة أن الموت لازم للتكفير عنها. إن الخلاص والغفران مكلفان.

تتجلى تكلفة الغفران بشكل خاص في يوم الكفارة، أي يوم الصوم الذي أمر به الله جميع شعب إسرائيل. وقد تركَّز يوم الكفارة على تقديم ذبيحة خطية خاصة عن كل الأمة، والغرض منه هو أن يُذكِّر الشعب بأن جميع التقدمات والذبائح الأخرى الاعتيادية التي كانت تُقدَّم بانتظام لم تُكفِّر عن الخطية بشكل كامل (انظر لاويين ١٦). فقد كان رئيس الكهنة، باعتباره ممثلًا عن الشعب، يدخل إلى قدس الأقداس يومًا واحدًا في السنة للوقوف أمام الله، لأن هذه الكفارة كان لا بد أن تُعمَل داخل محضر الله نفسه. وكان رئيس الكهنة يحمل دم التيس، أي ذبيحة الخطية (قارن عبرانيين ٩: ٧١)، ويكفر عن نفسه أولًا – إذ كان يلزم أن يكون هو نفسه طاهرًا – ثم يُكفِّر عن الشعب. وحين يأتي بذلك الدم إلى داخل قدس الأقداس، من كان يراه؟ الله وحده. وهكذا كان الغرض من هذه الذبيحة، أي الغرض من الكفارة، أن يتصالح الله مع شعبه.

من المثير للاهتمام بشكل خاص أن ذبيحة الكفارة هذه كانت تتكرر سنويًا، على خلاف الأمم الأخرى التي كانت تصيبهم نوبات أو هيستيريا الذبائح كلما رأوا أن أمورهم لا تسير على ما يرام. لكن شعب إسرائيل قد تعلَّم من البداية أنه بغض

النظر عن ظروفهم، جيدة كانت أم سيئة، لا بد لهم أن يقدموا هذه الذبيحة سنويًا، كأن الله كان يُذكِّرهم بأنهم كانوا باستمرار في حالة الخطية، وأن الخطية تفصل البشر عن الله، وأنه ليس بإمكانهم البتة أن يقدِّموا ذبيحة كاملة، وأن الله نفسه هو من يُؤَمِّن طريقة الدخول إليه لغفران الخطايا.

ما الذي يعنيه لنا كل هذا؟ أظن أن هذا يثير أسئلة عملية للغاية، مثل: أي نوع من البشر نحن؟ هل نحن أشرار بقدر شعب العهد القديم لدرجة أن يتطلب الأمر مثل هذا النظام المعقد من الذبائح؟ هل البشر صالحون في الأساس أم أشرار؟ سوف تحدد إجاباتنا عن هذه الأسئلة ما نعتقده بشأن ما ينبغي أن تعمله الكنيسة . لو كان البشر صالحون في الأساس، إذًا يلزم أن تكون الكنيسة مكانًا يجد الناس فيه تشجيعًا، أو ربما تعزيزًا لتقديرهم لأنفسهم. وعندئذ، يحتاج البشر أن يأخذوا ذلك الصلاح الذي فيهم ويبنوا عليه. ولكن، إن كان هناك شيء ما فينا نحن البشر ليس على ما يرام في الأساس، وإن كنا أمواتًا روحيًا، ومذنبين أمام الله، ومنفصلين عنه، إذًا يلزم أن تقوم الكنائس بشيء مختلف، وهو أن تقدم الإنجيل بوضوح، وأن تخبر البشر كيفية الحصول على غفران خطاياهم، وكيفية الحصول على حياة جديدة.

إن كيفية «قيامنا بأعمال الكنيسة» يعتمد على ما نفهمه عن الله وعن أنفسنا. وكي نكون كتابيين، علينا أن نعرف أن الله إله قدوس، وأننا، بالطبيعة، أموات في ذنوبنا وخطايانا، وأننا جميعًا نستحق بعدلٍ قصاص الله العادل.

إله الكتاب المقدس إله أمين

إن الله إله خالق وقدوس، وهو أيضًا إله أمين. وهذا يأتي بنا إلى أحجية العهد القديم: ففي خروج ٣٤: ٦-٧، يقول الرب لموسى أروع ما يمكن أن يقال على الإطلاق، وخاصة إن وضعنا في الاعتبار أن من يقول هذا هو الخالق العظيم الذي خلق العالم، وأن خطايانا قد سببت تمزقًا في خليقته. فكر في شغف الله

بالقداسة، وكيف يتوافق هذا مع النص التالي حيث يُعلنُ الربُّ عن نفسه وعن صفاته المميزة:

> **«الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبرِيءَ إِبْرَاءً».**

كيف يمكن لجزئَي هذا النص السابق أن يتوافقا معًا؟ الرب «كَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ»، ومع ذلك فهو «لَنْ يُبرِيءَ إِبْرَاءً»***.

وليتسنى لنا أن نفهم إله الكتاب المقدس، علينا أن نفهم جيدًا هذا النص، الذي هو وعد الرجاء بفداء شعب الله. فإن الصورة الكتابية عن الرب ليست هي صورة إله غير مكترث، يدين ويقتص بتجهم وشراسة. فإن الله ليس قدوس وعادل فحسب في التزامه الراسخ بمقاومة الخطية ومعاقبتها، لكنه أيضًا أمين تجاه وعوده. فعلى مر التاريخ، خطَّط الله ووعد بأن يعلن مجده لشعبه، وقد كان. لكن كيف للرب أن «يغفر الإثم» ومع ذلك «لا يبريء إبراءً»؟

لم يوجد حل هذا اللغز في أولئك الإسرائيليين، بل في الله، وفي وعده، وبخاصة في شخصه الموعود به. ففي العهد القديم، تطلب تحقيق هذا الرجاء ذبيحة كفارية، أي استرضاء لتسكين غضب الله البار. وتطلَّب الرجاء أيضًا تألم وموت بديل بريء تنفيذًا للعقوبة المستحَقة على المذنب. وقد يبدو أيضًا أن تحقيق هذا الرجاء تطلب وجود علاقة ما بين مقدِّم الذبيحة والذبيحة نفسها.

في زمن المسيح، لم يكن الشعب يتساءل إن كان مسيا سيأتي أم لا، فقد كان أمرًا مسلمًا به. وتُظهر الأصحاحات الأولى من كل إنجيل من الأناجيل أن الشعب

*** [أي لن يترك المذنب دون عقاب].

كانوا يبحثون عن مسيا، عن الممسوح الذي وعد الربُّ بمجيئه. فقد قال الربُّ على فم موسى إنه سيقيم نبيًا (انظر تثنية ١٨: ١٥-١٩). لكن حين أتى هذا النبي، أخذ الجميع على حين غرة، لأنه - أي يسوع - لم يتمم النبوات المَسِيَّانِيَّة الملكية فحسب (والتي كان غالبية الشعب يقبلون بها)، بل تمم أيضًا النبوات عن المسيا المتألم، الذي سيكون مرفوضًا وسيتألم بديلًا عن شعبه.

في الواقع، يُعلمنا العهد القديم والعهد الجديد على حد سواء أن هذا المسيا الملك والمتألم هو رجاؤنا الوحيد. وبهذا يحل يسوع أحجية خروج ٣٤، فهو يُظهر لنا كيف يمكن لله أن يغفر إثمنا، بينما في الوقت نفسه يعاقب المذنب.

يُعتَبَر فهمنا لما جاء يسوع المسيح ليعمله جوهريًا لفهمنا لشخص يسوع المسيح وهويته. فهو جاء بصفته الشخص الذي من خلاله يمكننا أنا وأنت استرداد علاقتنا بالله. ولهذا فهو ذلك الشخص الذي لطالما انتظره شعب الله. فبينما أخفق آدم، وأخفق شعب إسرائيل، وسقطوا جميعهم في الخيانة، خرج المسيح من التجارب دون خطية. فها هو النبي الذي وعد به الله على فم موسى، الملك الذي كان داود صورة له، و«ابن الإنسان» الإلهي في دانيآل ٧. جميع هذه الألقاب اجتمعت في يسوع الناصري، فهو كلمة الله الذي صار جسدًا، وهو بديلنا الذي تُنُبِّئ عنه قديمًا، وهو حمل الله، المذبوح عن خطايا شعبه.

إن يسوع المسيح هو التتميم الدقيق لوعود الله، فإن إلهنا الخالق القدوس هو أيضًا إله أمين يفي بوعوده بصورة مدهشة.

إله الكتاب المقدس إله محب

الحقيقة المقترنة بأمانة الله هي حقيقة كون الله إله محبة، ويُكن لشعب عهده محبة خاصة. لقد خلقنا الله كي نعكس صورته، وكي نكون في عهد معه. إذن، كيف للرب أن «يغفر الإثم» ومع ذلك «لا يُبريء إبراءً»؟ الإجابة، كما رأينا

سابقًا، توجد في يسوع. فهو الشخص الذي، مع كونه هو نفسه غير مذنب، حَمَلَ ذنبنا وعوقب عليه. وهذا هو ما علَّمه يسوع لتلاميذه في لوقا ٢٤:

«ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ... حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ»» (الأعداد ٢٧، ٤٥-٤٧).

«هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ»، أي هذا هو ما تنبأ به الرب، أنه سيُظهر محبته لشعبه بهذه الطريقة الخاصة. تذكَّر النبوات الشهيرة الموجودة في إشعياء ٥٣:

«لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ [التأديب الذي جلب لنا السلام وقع عليه]، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء ٥٣: ٤-٦).

هذا هو ما فعله المسيح في محبته! كما علَّم تلاميذه قائلًا: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٠: ٤٥).

بولس أيضًا وَصَفَ المسيحَ بالوصف التالي:

«الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ [الترجمة الإنجليزية: لم يحسب كونه معادلًا لله شيئًا ينبغي عليه اختلاسه وأخذه]. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ». (فيلبي ٢: ٦- ٨)

في اليوم الثالث، قام المسيح من بين الأموات، وبدأ تلاميذه ممتلئين من الروح القدس يكرزون. وفي العظة المسيحية الأولى، قال بطرس:

«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (أعمال ٢: ٢٢-٢٤).

بالتالي، نرى في العهد الجديد أن الله يحفظ جميع وعوده بفضل محبته تجاه شعبه الذي أقام معه عهدًا. وإن كنا اليوم مؤمنين، فذلك لأن الله لا يزال يحفظ تلك الوعود.

ما الذي يعنيه أن نصير جزءًا من شعب عهد الله، أو أن نكون مؤمنين؟ وماذا يحدث حين يصير شخص ما مؤمنًا؟ هل هي ببساطة مسألة اتخاذ قرار؟ أو تلاوة صلاة معينة؟ هل يلزمنا أن نتوب؟ هل يلزمنا أن نؤمن؟ وإن تُبنا وآمنا بالفعل، فمن أين لنا القدرة على فعل ذلك إن كنا فاسدين إلى هذه الدرجة التي تَصِفُها كلمة الله؟ وإن كنا أمواتًا في ذنوبنا وخطايانا، كيف لنا أن نتوب ونُؤمن هكذا على نحو فجائي؟

وفي جوهر الأمر، توبتنا وإيماننا يتعلقان بالله أكثر مما يتعلقان بنا. فإن حقيقة خلاصنا لا بد أن تُبيِّن لنا شيئًا هامًا للغاية عن الله، كما كتب يوحنا: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. . . نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١يوحنا ٤: ١٠، ١٩).

إن إله الكتاب المقدس هو إله المحبة المذهلة!

إله الكتاب المقدس إله صاحب سيادة

أخيرًا، نجد أن الله إله صاحب سيادة، وأنه، في سيادته، يشمل الخليقة بكاملها في محبته المُجَدِّدة.

تضرب الصلاة التي علَّمها يسوع لتلاميذه بجذور إيمانهم عميقًا وتُثبِّته داخل حُكم الله ومُلكه، الذي لا بد أن تتم مشيئته. «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ» (متى ٦: ١٠). هل تساءلت قبلًا ما الذي يعنيه هذا؟

بعض الناس يعقدون الآمال عن عمد على اليوم فحسب، على ما يستطيعون أن يَعِدوا به وينفِّذوه بقدرتهم الشخصية، أي ما يمكنهم أن يكونوا متيقنين منه. فهم لا يرغبون في أن يلقوا رجاءهم على أي شيء آخر. لقد تأذَّوا مرات عديدة قبلًا، وبالتالي لن يضعوا ثقتهم في أي وعد لا يضمنون تحقيقه.

إلا أن المسيحية لم تكن يومًا هكذا، فلطالما كان لدى المؤمنين رجاء يتخطى حدودهم ويتعدى ما يمكنهم أن يفعلوه يومًا بقوَّتهم. كتب بطرس: «وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ». (٢بطرس ٣: ١٣). يشير هذا إلى تتميم ذلك الرجاء الأخير والأول في الكتاب المقدس؛ وهو رجاء إصلاح العالم وتجديده، إذ تمتد خطة الله السيادية من المسيح إلى شعب العهد الذي أقامه الله، إلى الخليقة ذاتها.

نجد هذا الرجاء في ختام الكتاب المقدس، إذ يستأنف سفر الرؤيا التراث النبوي للعهد القديم، لكن مع بعض التغييرات. يُعرض سفر الرؤيا باعتباره اكتمالًا لخطط الله بأن يكون له شعب في علاقة سليمة معه. وحين تصير الكنيسة المجاهدة هي الكنيسة المنتصرة، حينئذ يخلق الله السموات والأرض من جديد (انظر رؤيا ٢١: ١-٤؛ ٢١: ٢٢ - ٢٢: ٥). وفي هذا السفر نرى ذروة تتميم جميع وعود الله لشعبه. وأخيرًا يصير شعب الله مقدسًا بالحقيقة ويسكن مع الله، وتتجدد جنة عدن، ويكون الله مرة أخرى حاضرًا مع شعبه. والمدينة المقدسة (٢١: ٢) على شكل مكعب، مثل قدس الأقداس في العهد القديم حيث حضور الله؛ لكنه الآن صار يشمل كل شعب الله، من كل زمان ومكان. فإن العالم كله يصير قدس الأقداس.

هذه هي الأخبار السارة التي يجب أن ينادِيَ بها المؤمنون، هذه هي رؤيتنا للمستقبل، لا لأننا ابتدعناها، ولا لأن لجنة ما كتبتها، ولا لأنها ردة فعل لما نتمنى أن يكون هو الحال (مثل صديقي بيل)، لكن لأن هذا هو ما أعلنه الله.

وفي زمن الانتظار هذا الذي نعيش فيه، من الجيد أن يُختم العهد الجديد بهذا السفر. فإن كاتب سفر الرؤيا لم يكن رجلًا جالسًا فوق قمة العالم، فاستطاع أن يرى ملكوت الله آتيًا لأن سفينة هذا الملكوت كانت قد دخلت الميناء بالفعل، ولذلك كان على يقين بأن ثروات وأنصبة الجميع هي في الطريق إليهم. بل كان كاتب سفر الرؤيا شيخًا أوشكت حياته على الانتهاء. كان هذا الرجل في المنفى بائسًا تمامًا ويُعال من آخرين. ومع ذلك كان ممتلئًا بالرجاء في الإله صاحب السيادة لأنه عَلِمَ أن الجالس على عرش روما أيًا كان لم يكن هو صاحب القرار الأخير فيما يحدث في العالم. فقد كان يعلم أنه يوجد إله جالس في السموات وأنه سيتمم جميع وعوده. استطاع يوحنا أن يجلس في جزيرة بطمس ممتلئًا بالرجاء لأنه كان يعلم جيدًا كيف هو هذا الإله.

هذا النوع من اللاهوت الكتابي هو لاهوت عملي، لأنه يشكل فارقًا. إن وعد الله بأن يملأ الأرض بمعرفة خالقها سيتحقق في خليقته الجديدة. هذا وإن إله الكتاب المقدس يقطع وعودًا، وإله الكتاب المقدس يحققها بسيادته.

هل أنت مدرك لأهمية هذا؟ نحن المؤمنين نحتاج إلى أن نعرف أن الله سيستمر في الاعتناء بنا، وأن اعتناءه المستمر بنا ليس مؤسسًا على أمانتنا نحن بل على أمانته هو. قد يكون من المثير لبعض الوقت أن نركض هنا وهناك مدَّعين أن العالم عبارة عن معركة روحية كبرى بأسلحة الليزر بين قوات الظلمة وقوات النور. بالتأكيد توجد قوات شر حقيقية نجابهها نحن المؤمنين في العالم وفي قلوبنا، إلا أن نتيجة هذه المعركة ليست شيئًا لم يُحسَم بعد. إن إلهنا صاحب السيادة. لقد كان لدى يوحنا الرائي رجاء، لا لأنه كان يعرف ما سيفعله هو، بل لأنه كان يعرف ما سيفعله الله.

هذه القضايا ليست أمورًا تهم اللاهوتيين النهمين لقراءة الكتب، أو طلبة اللاهوت الجدد فحسب، بل هي هامة لكل واحد منا نحن المؤمنين. إن ما نعتقده عن الله يؤثر على الطريقة التي نحيا بها، وعلى شكل كنائسنا في المستقبل. ولهذا يجب أن يكون لدينا فهم كتابي عن الله.

نحن الرعاة بشكل خاص نحتاج أن نعرف هذه الأشياء. فإن غيرنا اعتقادنا بشأن أي صفة من صفات الله، حينئذ سنغير الطريقة التي بها نقوم بوظيفتنا، لأننا حينئذ سنرعى كنائسنا بشكل مختلف. ولن نفهم أي شيء عن الكتاب المقدس إن لم نفهم الإله موضوع هذا الكتاب.

يُعد فهمنا لما يعلّمه الكتاب المقدس عن الله أمرًا محوريًا. فقد رأينا أن الله في الكتاب المقدس هو إله خالق، وقدوس، وأمين، ومحب، وصاحب السيادة. ولسبب ما، كثيرًا ما يتم تجاهل هذه الصفة الأخيرة، حتى داخل الكنيسة نفسها. لكن علينا أن نحترس جيدًا؛ لأن هناك من يدَّعون أنهم مؤمنون ولكنهم يقاومون فكرة سيادة الله في الخلق أو في الخلاص. ومقاومتهم هذه هي أشبه بمن يقذف بنفسه بقوة في أحضان الوثنية المتظاهرة بالتقوى. الكثير من المؤمنين لديهم تساؤلات صادقة وحقيقية بخصوص سيادة الله، إلا أن الإنكار المستمر والعنيد لهذه السيادة لا بد أن يثير داخلنا القلق. أن تُعَمِّد شخصًا معارضًا لسيادة الله، ربما يكون كأنك تُعمد شخصًا لا يزال في قلبه غير مستعد حقًا للإيمان بالله.. وفي النهاية هذه هي القضية الرئيسية حين يتعلق الأمر بسيادة الله. هل نحن مستعدون للإيمان به؟ هل نحن مستعدون للإقرار على نحو حاسم بأننا لسنا الله؟ وأننا لسنا الحكم أو القاضي؟ ولسنا نحن من نقول ما هو العدل وما هو الظلم؟ هل نحن مستعدون لأن نضع حياتنا بالكامل بين يدي الله، وأن نثق فيه حقًا؟ هذا هو لب الحديث عن سيادة الله.

بقدر خطورة مقاومة سيادة الله على الحياة الروحية لأي مؤمن، إلا أن الخطورة الأكبر تكمن في مقاومة قائد جماعة من المؤمنين لهذه السيادة. فإن تعيين

قائد متشكك في سيادة الله أو يسيء فهم تعليم الكتاب المقدس عنها بشكل خطير، هو بمثابة تقديم نموذج للناس غير مستعد في قلبه أن يثق بالله. مثل هذه القيادة سينتهي بها الأمر أن تعيق الكنيسة في سعيها الجماعي للوثوق بالرب.

يجب أن نفهم الله من خلال إعلانه عن نفسه، لا من خلال تخميناتنا، أو أمنياتنا، أو ما نحب أن نعتقده بشأن الله. فاليوم نحن نتحدث كثيرًا جدًا وكأن الكرازة هي نوع ما من الدعاية، ونفسِّر عمل الروح القدس بمفردات التسويق. حتى إن البعض يتحدثون عن الله وكأنه مخلوق على صورة الإنسان، وليس العكس.

إن أردنا كنائس تنعم بالصحة في هذه الأزمنة، لا بد أن نحرص بشدة على أن نصلي لأجل القادة في الكنيسة كي يمتلكوا فهمًا كتابيًا وثقة اختبارية في سيادة الله. هذا لأن ما يميز الكنيسة الصحيحة هو العقيدة السليمة في مجدها الكتابي الكامل.

الإحباطات وخيبات الأمل لها هدف. فالكتاب المقدس مليء بقصص عن خطط باءت بالفشل، كثيرًا ما كانت هي نفسها وسائل لاكتشاف الإله الحقيقي والخير الذي عنده من أجلنا. دفعت آمال شعب إسرائيل في المسيا مرة تلو الأخرى إلى الوصول إلى مرحلة الحاجة إلى الثقة التامة في الله. كما دفعت «شوكة الجسد» بولس إلى أن يُستخدَم من الله، وأن يثق فيه، ويستند عليه، ويجده جديرًا بالثقة بطريقة لم يكن ممكنًا لها أن تحدث دون تلك الشوكة.

إن كنا صادقين مع أنفسنا، سنعلم أن مثل هذه الثقة ليست ميلًا طبيعيًا فينا، فإننا نتمسك بكل قوتنا بما نملكه في هذا العالم، وكأنه سيدوم إلى الأبد. لكن لا شيء مادي نملكه في حياتنا الحاضرة سيدوم إلى الأبد في الحالة التي هو عليها الآن. وإن كنا أبناء الله، سنعلم أنه قد أعد لنا ما هو أفضل بكثير.

في الفقرة الأخيرة من الكتاب الأخير لسلسلة روايات نارنيا، كتب سي. إس. لويس:

> **«وفيما كان [أسلان] يتكلم، لم يعد يبدو أمامهم أسدًا بعد اليوم؛ لكن ما ابتدأ يحدث بعد ذلك كان عظيمًا ورائعًا للغاية حتى أنني أعجز عن كتابته. وبالنسبة لنا تُعد هذه هي النهاية السعيدة لجميع القصص، ويمكننا أن نقول بكل صدق إنهم عاشوا بعد هذا في سعادة وهناء. لكن بالنسبة لهم، كانت هذه مجرد بداية لقصتهم الحقيقية. إن حياتهم بأكملها في هذا العالم وجميع مغامراتهم في نارنيا كانت مجرد غلاف وصفحة عنوان للرواية؛ والآن، أخيرًا بدأوا الفصل الأول من القصة العظمى، التي لم يقرأها أحد على الأرض من قبل، والتي لا تنتهي إلى الأبد، حيث يُعد كل فصل فيها أفضل من سابقه»**[٢].

إن كنت ابنًا لله، فإن الخاتمة التي في فكره لأجلك خاتمة رائعة أكثر مما تتخيل. كما كتب يوحنا: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ». (١يوحنا ٣: ٢). وحين راح الرسول بولس يتفكَّر في هذه الأشياء عينها، انطلق في أغنية حمد قائلًا: «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣).

هذا هو إله الكتاب المقدس: الخالق، والقدوس، والأمين، والمحب، وصاحب السيادة. وفي الواقع، يدور موضوع الكتاب المقدس بكامله حول هذا الإله، أي عن وعود قطعها الله ووعود أوفى بها. ويدعونا الله في الكتاب المقدس إلى الاستجابة له بالوثوق فيه وفي كلمته.

إنه يدعونا إلى الاستجابة له بأن نثق فيه، ليس كما فعل آدم وحواء في جنة عدن، بل كما فعل يسوع طيلة حياته، وخاصة في بستان جثسيماني. وحين نصغي

إلى كلمة الله ونُصدِّقها، نختبر تلك العلاقة التي خلقنا لأجلها. إن إله الكتاب المقدس هو إله جدير بالثقة، ولن يُخلِف رجاءنا.

قصة الكتاب المقدس هي قصة واحدة. فمع كثرة شخصياته، وأحداثه، وكتبته، يبقى الموضوع الذي يوحده هو ذلك الإله الواحد الحقيقي الذي صنع لنفسه شعبًا واحدًا، وحرَّره من العبودية، ثم أنقذه، وحفظه، وكل هذا لأجل مجده. هذا هو اللاهوت الكتابي.

مصادر أخرى

- لدراسة الكتاب المقدس في مجموعات:

The Whole Truth About God: Biblical Theology

- دراسة استقرائية في الكتاب المقدس لمدة ستة أسابيع من خلال "9Marks"

- للتأمل الأعمق:

How a Church Grows in the Love and Holiness of God, by Bobby Jamieson

Biblical Theology in the Life of the Church, by Michael Lawrence.

العلامة الثالثة

الإنجيــل

الخبر السار ليس مجرَّد أننا بخير

الخبر السار ليس مجرَّد أن الله محبة

الخبر السار ليس مجرَّد أن يسوع يرغب في أن يكون صديقًا لنا

الخبر السار ليس مجرَّد تجديد الله للخليقة

الخبر السار وتجاوبنا معه

التوبـة والإيمـان

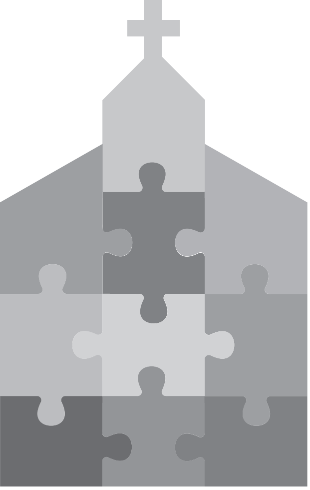

العلامة الثالثة

الإنجيــل

يُمثِّل مجال الأخبار تجارة ضخمة اليوم. لقد أطلق علماء الاجتماع على النخبة الناشئة صاحبة النفوذ في أمريكا اسم «الطبقة المعلوماتية»، لأن المعلومات هي على ما يبدو السلعة ذات القيمة الأكبر بالنسبة لهم. وقد انتشرت هذه السلعة اليوم أكثر من أي وقت مضى. صارت الأخبار تُنقَل في أمريكا عبر مواقع إليكترونية معدة خصيصًا لنقل الخبر، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، إذ أن الكثيرين تصلهم عناوين الأخبار على مدار اليوم من خلال موقع تويتر. كما لا تزال لدينا أيضًا وسائل الإعلام التقليدية، مثل القنوات التليفزيونية، سواء من خلال البث الهوائي المجاني أو من خلال الاشتراك، على مدى أربع وعشرين ساعة يوميًا، وعشرات المجلات الدورية المطبوعة المخصصة لنقل الأخبار، بالإضافة إلى الآلاف من الصحف.

تبدو الأخبار ضرورية ليس لمن يكسبون معيشتهم منها فحسب، بل أيضًا لنا نحن من نقضي حياتنا في استهلاكها. فمن المفترَض أننا من خلال الأخبار نعرف عن كل شيء، مثل: الانتخابات الرئاسية، وإغلاق المصانع، والكوارث التي وقعت مؤخرًا، والاتجاهات والميول الهامة الشائعة. والبعض يدمنون الأخبار لدرجة تدعو إلى التساؤل إن كانوا يستطيعون العيش دونها.

كثيرًا ما نشعر بالرغبة في التعرف باستمرار بأحدث الأخبار. فقد جلستُ ذات يوم على متن طائرة خلف شخص يظهر في نشرات الأخبار كثيرًا. وقد كان يلتهم

بعينيه خبرًا في صحيفة يتعلق به هو نفسه! هكذا أيضًا تزدهر أعمال أو تنحدر وفقًا لسرعة الحصول على المعلومات ونشرها. وبالنسبة للبعض، قد تبدو متابعة الأخبار ضرورية لحياتهم كتناول الطعام، وهكذا فهم يلتهمون صحيفة البوست والتايمز وربما حتى يقرأون صحيفة التايمز الأخرى، وصحيفة جورنال، جنبًا إلى جنب مع أي صحف محلية أخرى قد يكونون مهتمين بها. إنهم يرون أن وجودهم مقترن بالمعرفة. كما أبدى أوس جينيس ملاحظته قائلًا: «لقد صار السعي الحثيث خلف مواكبة الأحداث مصدرًا رئيسيًا للسطحية، والقلق، والإحباط والإنهاك الشديد. (فقد قيل: «سيكون الجحيم مليئًا بالصحف، مع صدور طبعة جديدة كل ثلاثين ثانية، حتى لا يشعر أحد يومًا بأن شيئًا أدركه فجأة»)»(١).

لكن ماذا يمكنك أن تفعل حين يزداد حجم وتكرار جميع «الأخبار الصالحة للنشر»؟* (قول عتيق الطراز حقًا إن لم يكن خياليًا!).

دقة الخبر هي بالطبع الصفة الوحيدة التي تفوق سرعة الخبر في الأهمية. ولهذا لا بد أن هلعًا صريحًا قد انتاب محرر تلك الجريدة الإنجليزية منذ أكثر من مئة عام، حين فتح صحيفته التي تم طباعتها وتوزيعها بالفعل ليجد فيها، وهو في قمة الحرج، تقريرًا منتجًا من خلط مطبعي غير متعمد بين تقريرين خبريَّيْن: الأول عن اختراع آلة ذبح الخنازير وصنع النقانق، والآخر عن رجل دين محلي، اسمه الدكتور القس مادج، الذي أبرزت الصحيفة صورته وهو يمسك بعصاه ذات الرأس الذهبية. وفيما يلي جزء من القصة المشوَّهة التي ذاع صِيتُها:

> **«قام العديد من أصدقاء الدكتور القس مادج بزيارته الليلة البارحة. وبعد إجراء حوار معه، تم الإمساك بالخنزير غير المرتاب من قائمته الخلفية، ودفعه عبر ممر حتى وصل إلى قدر الماء الساخن. . . وعند ذلك تقدم إلى الأمام وقال إنه في أوقات كانت مشاعره تتغلب عليه، ولأجل هذا فهو لن**

* [المترجم: هذا تفسير للشعار الذي يظهر أعلى صحيفة نيويورك تايمز News that’s fit to print]

يحاول فعل شيء سوى أن يشكر أولئك المحيطين به لأن الطريقة التي قُطعوا بها ذلك الحيوان الضخم إلى أجزاء صغيرة كانت مذهلة. ثم ختم الدكتور ملاحظاته حين أمسكت به الآلة، وفي وقت وجيز، قُطِّع الخنزير إلى أجزاء صغيرة، وتم تحويله إلى نقانق لذيذة الطعم. وسيظل أصدقاء القس يذكرون هذا الحدث في المستقبل باعتباره واحدًا من أبهج الأحداث في حياتهم. ويمكن شراء أفضل قطع النقانق بسعر عشر بنسات للرطل، ونحن على يقين من أن أولئك الذين كانوا تحت رعايته كقس لفترة طويلة سيفرحون من تلقيه مثل هذه المعاملة الراقية».

ربما تظن أنك حين تذهب إلى الكنيسة في صباح الأحد بدلًا من بقائك بالمنزل لمشاهدة البرامج الحوارية التليفزيونية، فأنت بهذا قد اتخذت قرارك أن تُفضِّل الدِّين على الأخبار؛ لكن المسيحية تتعلق بكاملها بالأخبار. ذلك لأن المسيحية هي الخبر السار، وأفضل خبر سمعه العالم على الإطلاق. ومع ذلك، فإن ذلك الخبر، الذي يفوق قصتَي القس مادج، وآلة تقطيع لحم الخنزير أهمية، كثيرًا ما يتم تشويهه وخلطه تمامًا مثلما حدث لهاتين القصتين. ففي أحيان كثيرة جدًا يصير الخبر قشرة خارجية رقيقة لتغطي قيم مجتمعنا، فيتشكل ويتكون الخبر بحسب قوالب مجتمعنا وليس بحسب حق الله.

فكرة أن رسالة الله للخلاص هي «الخبر السار» ليست عرضًا مسيحيًا حديثًا للمسيحية، فإن يسوع نفسه قد تحدث عن الخبر السار، مستشهدًا بكلمات إشعياء التي قيلت قبل ذلك بمئات السنين (إشعياء ٥٢: ٧؛ ٦١: ١). وحين يتحدث العهد الجديد عن رسالة يسوع للخلاص، يستخدم الكلمة اليونانية «إيفانجيل» [evangel أي الإنجيل]، والتي تعني حرفيًا «الخبر السار».

ما هو هذا «الخبر السار» بالضبط؟ إن كنت تنوي الاتفاق مع فصل واحد من فصول هذا الكتاب، فربما هذا هو الفصل الذي يصلح لهذا؛ فهو يتحدث عن الخبر السار الذي يقدمه الكتاب المقدس. وإن ألقيت نظرة على صفحة المحتويات، سترى

أن هذا الفصل والفصلين التاليين هي فصول تتعلق جميعها بموضوع الخلاص، إلا أن كل فصل يتناول الموضوع من زاوية مختلفة قليلًا. في الفصل التالي سندرس معًا لحظة الخلاص نفسها، أي لحظة الاهتداء. وفي الفصل الخامس سنتحدث عن كيف نخبر الآخرين بهذه الرسالة العظيمة التي غيَّرتنا. أما في هذا الفصل فنريد أن نتناول ماهية الرسالة نفسها. ما هي رسالة المسيح؟ وما هو الخبر السار الذي ينادي به المسيحيون المؤمنون؟

ما هو الخبر السار؟ هل هو «أنا بخير»؟ أم أن الله محبة؟ أم أن يسوع هو صديقي؟ أم أني يجب أن أقوِّم حياتي وأبدأ في العيش بالاستقامة؟ ما هو الخبر السار عن يسوع المسيح؟

الخبر السار ليس مجرَّد أننا بخير

منذ حوالي خمسين عامًا، صدر كتاب من أكثر الكتب مبيعًا، يحمل هذا العنوان الذي لا يمكن أن يُنسى: "I'm Ok – You're OK"، أي أنا بخير – أنت بخير. البعض يعتقدون أن المسيحية في الأساس هي جلسة علاج دينية، حيث نجلس معًا في دائرة نحاول أن نساعد بعضُنا بعضًا ليشعر شعورًا أفضل حيال نفسه. كما يعتقدون أن مقاعد الكنيسة هي الأرائك التي يجلس عليها «المرضى» في عيادات المعالجين النفسيين، حيث يقوم الواعظ بطرح أسئلة، ويصير النص الكتابي الواجب تفسيره هو ذاتهم الداخلية. لكن لماذا في أحيان كثيرة بعد أن ننتهي من فحص أعماقنا نظل نشعر بالفراغ؟ أو حتى بالاتساخ؟ هل هناك شيء ما في أنفسنا أو في حياتنا غير مكتمل أو خطأ؟

أتذكر أني سمعت ذات مرة لوريتا لين تقول وهي تبكي في لقاء لها على قناة CNN، بعد وفاة صديقتها المقربة تامي وينيت مباشرة: «لِمَ يموت جميع من أحبهم؟»[٢].

نعم، لِمَ يحدث هذا؟ هذا سؤال جيد. يرفض الكتاب المقدس رفضًا باتًا فكرة كوننا على ما يرام، وكون الوضع البشري في حال جيدة، وأن كل شخص عليه فقط أن يقبل وضعه الحالي، ومحدوديته، وقصوره، ونقائصه، أو أنه يحتاج ببساطة أن ينظر إلى الجانب المشرق والإيجابي من كل شيء.

يُعلمنا الكتاب المقدس أننا جميعنا قد تعرضنا للغواية، في أبوينا الأولين آدم وحواء، لعصيان الله، وبالتالي فإننا لسنا أبرارًا أمام الله ولسنا على وفاق معه. بل في واقع الأمر، ووفقًا لما قاله يسوع، إن خطيتنا خطيرة جدًا لدرجة أننا في حاجة إلى حياة جديدة تمامًا (يوحنا ٣). ووفقًا لما قاله بولس، نحتاج أن نُخلقَ من جديد (١كورنثوس ١٥)، لأننا أموات بالذنوب والخطايا [أموات بالذنوب والتعديات] (أفسس ٢). وكلمة «تعدِّيات» هي كلمة أخرى لوصف الخطية، ولكنها تصفها باعتبارها تجاوزًا لحدود معينة. وفي أيامنا هذه وعصرنا هذا، سيرغب «ميشيل فوكوه» [فيلسوف فرنسي] أن يحيا، مثل ماركيز دي ساد [فيلسوف وأرستقراطي فرنسي] الذي سبقه، فقط كي يتجاوز الحدود. البعض قد ادَّعوا أن فوكوه، إذ أصيب بفيروس نقص المناعة (الإيدز)، سعى عمدًا إلى نقله للآخرين، فصارت حمامات سان فرانسيسكو العامة هي الموضع الذي فيه تجاوز فوكوه جميع الحدود، ليس حدود احترام الممارسة الجنسية فحسب، بل أيضًا حدود احترام الحياة ذاتها[٣].

قد لا تبدو تعدياتنا الفردية صارخة أو بغيضة هكذا، لكنها بالتأكيد ليست أقل تدميرًا لعلاقتنا بالله من غيرها. فإن يعقوب يذكرنا بالآتي:

> **«لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. لأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لاَ تَزْنِ»، قَالَ أَيْضًا: «لاَ تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ». (يعقوب ٢: ١٠، ١١).**

ويقول بولس إن «أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ». (رومية ٦: ٢٣)، وتمدُّنا رسالة يعقوب الأصحاح الثاني بفهم أفضل قليلًا لسبب كون الوضع هكذا. يُظهر لنا النص المزيد من خطورة كل خطية بحد ذاتها، غرضه هو أن يقول إن شرائع الله ليست مجرد شرائع خارجية، أصدرها ومرَّرها مجلس ما في السماء، بل بالأحرى يعكس ناموس الله صفات الله وشخصيته، فهو تعبير عن الله نفسه. وهكذا فإن كسر أي قانون من قوانين الله هو بمثابة الحياة في عداء مع الله نفسه، أي العيش ضده.

دعوني أفسر هذا بمثال عن الزواج: لنفترض أن زوجتي طلبت مني الذهاب إلى المتجر لشراء بعض الأشياء، لكنني عمدًا قمت بشراء أشياء أخرى. لم يكن هذا على سبيل الخطإ، بل قد أخفقت عمدًا في جلب الكمية المطلوبة من شيء ما كما كان ينبغي، وجلبت نوعًا آخر غير النوع الذي طلبته زوجتي، وحذفت بعض الأشياء من قائمتها تمامًا. ماذا يمكن أن تكون المشكلة الحقيقية؟ هل تتعلق بشرائي أو عدم شرائي لبعض الأشياء؟ بل أفترض أن تصرفاتي هذه ربما تنم عن مشاكل أعمق وأخطر في علاقتي بزوجتي.

هكذا الأمر أيضًا بيننا وبين الله، فلا يمكننا أن نكتفي بأن نقول: «حسنًا، كل ما كسرته هو سبع عشرة وصية من ناموس الله في هذا الأسبوع؛ الأمر لا بأس به». لا، بل القضية الحقيقية هي: ما الذي يكشفه تجاهُلنا الوقح لناموس الله عن علاقتنا بالله نفسه؟ ما الذي يجري بيننا وبين الله؟

الكتاب المقدس يُصوِّر الله لا على أنه خالقنا السلبي، بل على أنه حبيبنا الغيور. فهو يرغب في امتلاك كل جزء فينا. وإن ظننا أننا نستطيع تجاهله أحيانًا هو كأننا نطرحه جانبًا، هو وطرقه، كلما يحلو لنا، وهذا يعني أننا لم نفهم جيدًا طبيعة علاقتنا بالله. لا يمكننا ادعاء أننا مؤمنين وفي الوقت نفسه نكسر ناموس الله عمدًا، وعلى نحو متكرر، وبسرور.

لكن في الواقع هذه هي حالتنا، فقد تجاوزنا الحدود التي وضعها الله بعدلٍ لحياتنا، وناقضنا كلًا من حرف ناموسه وروحه. ولسنا نشعر بالذنب فحسب، بل إننا بالفعل مذنبون أمامه. ولسنا نشعر بصراع في أعماقنا فقط، بل نحن في الواقع في صراع مع الله. إننا نكسر ناموس الله مرارًا وتَكرارًا لأننا، كما يُذكِّرنا بولس، أموات بذنوبنا وخطايانا (تعدياتنا) (أفسس ٢). تبدأ رسالة رومية بفرضية تخص هذه المعضلة. ففي الأصحاح الأول، يُوضِّح بولس كيف أن الأمم قد أخطأوا، فيقول إن جميع شعوب الأمم قد أخطأوا وكسروا وصايا الله. لكن لئلا يبدأ قُراؤه من اليهود بالتباهي ببرِّهم الذاتي، يوضح في الأصحاح الثاني أن اليهود أيضًا قد أخطأوا، بل في واقع الأمر، يذكر بولس بوضوح أن كل من يدَّعي قدرته على التمييز بين الصواب والخطإ من المفترض أن يعرف نفسه جيدًا، ويدرك أنه قد أخطأ. وبالتالي، يستخلص بولس في الأصحاح الثالث هذا الاستنتاج الواضح:

«فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلاَ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:

أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ.

حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. لَيْسَ خَوْفُ اللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ». (رومية ٣: ٩-٢٠).

قد يبدو كل هذا الكلام مكدِّرًا بصورة زائدة عن الحد، حتى أنه من المستحيل أن يمت بصلة بما يُدعى «الخبر السار». لكن لا شك أن فهمًا دقيقًا لموقفنا الحالي

ضروري للغاية كي نصل إلى وجهتنا المطلوبة. فإن إحدى المراحل الأولى للإيمان تتضمن بداية إدراكي بأن مشاكلي لا تنحصر في كوني قد أفسدت حياتي، أو أخفقت في إدراك إمكانياتي الحقيقية؛ بل مشكلتي الحقيقية هي أني قد أخطأت، ليس في حق نفسي في الأساس، أو حتى في حق شخص آخر، بل في حق الله نفسه. حينئذ فقط تشرق الحقيقة أمام عيني، فأدرك أني أنا نفسي موضوع غضب الله العادل، وموضوع دينونته، وأني أستحق الموت، والجحيم، والانفصال عن الله، والاغتراب الروحي عنه، بل وأستحق أن تُنفَّذ فيَّ عقوبته الآن وإلى الأبد.

هذا ما يطلق عليه اللاهوتيون الفساد، أو الموت الروحي. إنه الموت الذي يستحق الموت. ولكن أتستطيع أن تدرك الآن لماذا تُعد خطايانا مأساوية بهذا الشكل؟ لأنها قد اقتُرفت في حق إله كامل، وقدوس، ومحب. فهي خطايا اقترفتها المخلوقات التي خُلقت على صورة الله.

تنظُرُ المسيحية الحقيقية نظرة واقعية إلى الجانب المظلم من عالمنا، وحياتنا، وطبيعتنا، وقلوبنا. غير أن المسيحية الحقيقية ليست في جوهرها متشائمة أو غير مبالية أدبيًا، ولا تشجعنا على التكيف مع الوضع والرضا بحقيقية حالتنا الساقطة. لا، فإن الخبر الذي لا بد أن ينادي به المسيحيون لا يقتصر على كون فسادنا مستشريًا للغاية، بل هو أن أفكار (خطط) الله من نحونا هي في غاية الروعة، لأنه يعلم الغرض الذي خلقنا لأجله.

حين تبدأ في إدراك ذلك، يتملكك الشعور بالامتنان لأن المسيحية لا تهدف إلى تخديرك كي تتحمل ألم الحياة، ولا لإفاقتك لتدرك هذا الألم ثم تتعلم كيفية التكيف معه، بل تدور رسالة يسوع المسيح حول تعليمنا كيفية التعايش مع شوق مغيِّر، وإيمان نامٍ، ورجاء يقيني وأكيد فيما هو عتيد أن يأتي. الإنجيل ليس مجرد أننا بخير.

الخبر السار ليس مجرد أن اللّه محبة

كثيرًا ما نسمع الإنجيل يقدَّم في صورة رسالة تقول: «الله محبة». هذا يشبه إلى حد كبير عناوين الأخبار التي تُكتَب في صحيفة نيوزبرس التي تصدر بمدينة ستيلووتر بولاية أوكلاهوما، والتي هي من قبيل: «يتسبب المُناخ البارد في انخفاض درجات الحرارة». حسنًا، قد يُعد هذا خبرًا في أوكلاهوما، لكن لدى قراءتنا لمثل هذا التصريح، قد نتساءل إن كان هناك شيء قم تم إغفاله. فإن الكتاب المقدس يقول بالفعل إن «الله محبة» (١يوحنا ٤: ٨)، لكن هل هذه هي القصة بكاملها؟

إن كنتَ أبًا، فربما قد أخبرت أبناءك ألا يفعلوا شيئًا ما، لتتلقى منهم هذا الرد: «إن كنت تحبني، لسمحت لي بأن أفعله». بالطبع نحن البالغون نعلم جيدًا أن المحبة لا تعني الإذعان دائمًا، بل تعني المنع أحيانًا، وفي أحيان أخرى التأديب. إذًا، حين نقول إن «الله محبة»، ما هو في اعتقادنا شكل هذه المحبة الإلهية؟

علاوة على ذلك، هل المحبة هي كل ما يذكره الكتاب المقدس عن صفات الله؟ ألا يقول الكتاب المقدس أيضًا إن الله روح؟ وكيف يُحبُّ الروح؟ وألا يقول الكتاب المقدس إن الله قدوس؟ وكيف يحب الروح القدوس؟ وألا يقول أيضًا إن الله متفرد وليس مثله؟ كيف إذًا تكون محبة الروح القدوس الذي وحده له الكمال؟ وكيف لنا أن نعرف الإجابة عن مثل هذه الأسئلة ما لم يخبرنا الله نفسه؟

رأينا في الفصل السابق كيف أن الله يقدِّم نفسه في الكتاب المقدس إلهًا مُحبًا، لكن أيضًا إلهًا خالقًا، وقدوسًا، وأمينًا، وصاحب سيادة. لنتأمل معًا النص التالي من إقرار الإيمان الويستمنستري، الذي يصف التعليم الكتابي عن الله، وعن الثالوث القدوس:

> **لا يوجد إلا إله واحد، حي وحقيقي، وهو غير محدود في كينونته وكماله، روح تام النقاء، غير منظور، دون جسد، أو أعضاء جسدية، ودون هوى. وهو ثابت لا يتغير، وواسع، وسرمدي، وغير مدرَك؛ كلي القدرة،**

والأعظم في حكمته، وقداسته، وحرية إرادته؛ مطلَق في كل شيء، يعمل كل شيء بحسب مسرة مشيئته غير القابلة للتغيير، والبارة تمامًا، لأجل مجده. وهو أيضًا الأعظم في محبته، وإنعامه، ورحمته، وطول أناته؛ كثير الصلاح والحق، غافر الإثم، والتعدي، والخطية، يجازي مَن يطلبونه بإخلاص. وهو أيضًا الأعظم في عدله، والأرهب في دينوناته، يُبغض كل خطية، ولا يبرئ إبراءً البتة.

الله فيه كل الحياة، والمجد، والصلاح، والبركة، فهي فيه ومنه. وهو وحده ومن ذاته مكتفٍ ذاتيًا، لا يحتاج إلى أي من المخلوقات التي خلقها، ولا يستمد منها أي مجد. لكنه يعلن مجده فحسب، فيها ومن خلالها، ولها وعليها؛ فهو الينبوع الوحيد لكل وجود، الذي منه وبه وله كل الأشياء، وهو صاحب السلطان والسيادة التامة عليها، ليفعل بها، أو لأجلها، أو فيها، ما يشاء. وأمام عينيه كل شيء مكشوف وظاهر. فإن معرفته غير محدودة، ومعصومة، ومستقلة عن أي مخلوق، حتى إنه لا يوجد أي شيء خاضع للصدفة بالنسبة له، أو غير مؤكَد. فهو تام القداسة في جميع مشوراته ومقاصده، وفي جميع أعماله، ووصاياه؛ وله تتوجب كل عبادة، أو خدمة، أو طاعة، من الملائكة والناس، ومن جميع المخلوقات الأخرى، قد يأمرهم بها بحسب مسرته.

في وِحدانية اللاهوت يوجد ثلاثة أقانيم أو شخوص، من جوهر واحد، وقوة واحدة، وسرمدية واحدة: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس. الآب ذاتي الوجود، لم ينبثق أو يولد من أحد، الابن مولود أزليًا من الآب، والروح القدس منبثق أزليًا من الآب والابن»[٤].

هذا هو الإله الذي يعلن عن نفسه في الكتاب المقدس. إن إقرار الإيمان هذا يتناول عدة أشياء أخرى غير محبته، فهو يخبرنا على سبيل المثال أن الله يأمر جميع من سيدخلون في علاقة محبة معه بالقداسة. كما يقول الكتاب المقدس: «الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عبرانيين ١٢: ١٤).

فقط في سياق فهمنا لبعض الأشياء عن شخصية الله، وبره، وكماله، نبدأ إدراك عمق ما تعنيه عبارة «الله محبة». وفقط حين نتأمل عظمة الله بهذا الشكل، نبدأ إدراك أن محبته لها عمق، ونسيج، وكمال، وجمال لا يسعنا في حالتنا الحاضرة إلا أن نتعجب منه.

الإنجيل ليس مجرد أن الله محبة

الخبر السار ليس مجرَّد أن يسوع يرغب في أن يكون صديقًا لنا

أحيانًا يقدّم البعض الإنجيل بهذه البساطة: «يسوع يرغب في أن يكون صديقًا لنا»، أو يرغب في أن يكون قدوة لنا.

إلا أن الإنجيل المسيحي ليس مجرد تأسيس علاقة أو اتِّباع قدوة؛ فإننا جميعًا لدينا ماض حقيقي نحتاج للتعامل معه وإيجاد حل له، أي خطايا حقيقية ارتكبناها، وذنب حقيقي جلبناه على أنفسنا. ما الحل إذًا؟ وماذا سيفعل إلهنا القدوس؟ فإن كان يريدنا أن نعرفه، كيف يمكنه أن يدع هذا يحدث دون التنازل عن قداسته؟

هل سيكتفي بأن يدعنا نعرف أن خطيتنا التي ارتكبناها في حقه ليست بهذا القدر من الأهمية؟ وأنه سيغفرها وينساها؟ من اللافت للانتباه أن نكتشف في أثناء دراستنا للأناجيل أن يسوع كان يُعلِّم أنه جاء إلى الأرض خصيصًا كي يموت. كم يبدو هذا غير اعتيادي، ومع ذلك هذا هو ما قدمه يسوع باعتباره مركز خدمته وجوهرها، وليس التعليم ولا أن يصير مثالًا وقدوة، بل أن «ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ». (مرقس ١٠: ٤٥). وقد قال يسوع إن الخيار الذي اتخذه بأن يمجد الآب من خلال موته على الصليب كان أمرًا مركزيًا ومحوريًا في خدمته. وبالتالي، ليس بالأمر المفاجئ أن يكون الصليب هو مركز الأناجيل الأربعة جميعها.

كيف يمكن لشيء مروِّع كهذا أن يكون مركزًا لشيء ما يُدعى «الخبر السار»؟ هذا لأن الصليب هو الوسيلة التي عيَّنها الله ليَرُدَّنا إليه.

وقد بدأ يسوع في تفسير هذا الحدث قبل وقوعه. ففي مرقس ٨: ٢٧-٣٨، ينسج يسوع خيطين من نبوات العهد القديم معًا، وبحسب علمي، لم يجتمعا معًا من قبل: فهو يقدم نفسه باعتباره ابن الإنسان المذكور في دانيآل ٧، وأيضًا باعتباره العبد المتألم المذكور في إشعياء ٥٣:

«ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلامِيذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ. وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلامِيذَهُ قِائِلًا لَهُمْ: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟».

فَأَجَابُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ».

فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!».

فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ.

وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ.

فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلًا: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ».»

كثيرًا ما قدَّم الكتاب المقدس فكرة موت يسوع باعتباره ذبيحة تتطلب سفك دمه: «وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ». (أفسس ٢: ١٣؛ انظر أيضًا رومية ٥: ٩؛ كولوسي ١: ١٩–٢٠). واختار يسوع أن يموت في الفصح، ليعلن أنه كان يموت كذبيحة كفارية.

ما علاقة كل هذا بعبوديتنا للخطية؟ لكي نجيب عن هذا علينا أن ندرس اللغة الاقتصادية المستخدمة للتعبير عن موت المسيح. حين قال الكتاب المقدس إننا قد افتدينا، كان هذا يعني أننا قد اشتُرِينا من العبودية. فكما اشترى الله شعب إسرائيل وأخرجهم من عبوديتهم للمصريين، هكذا نحن المؤمنين أيضًا قد اشتُرينا وأُخرجنا من عبوديتنا للخطية. إن موت المسيح كان هو الثمن الذي دُفع مقابل تحريرنا من الخطية، وهو يُعبِّر عن كيف افتدانا الله من عبودية الخطية. كان هذا هو ما تدور حوله غالبية رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية.

إلى جانب مثل هذه المصطلحات الاقتصادية، يستخدم الكتاب المقدس أيضًا لغة علائقية لوصف موت المسيح. فمن خلال موت المسيح، صالحنا الله لنفسه. صالَحَنا الله، نحن مخلوقاته المتمردة التي خلقها على صورته لكنها قد أفسدت هذه العلاقة. ومن خلال موت المسيح، تم رد شركتنا مع الله لأن الخطية – أصل العداوة بين الله والخطاة – قد تم التعامل معها.

كما يستخدم العهد الجديد أيضًا لغة قانونية فيما يختص بموت المسيح، مُظهرًا كيف أن هذا الموت يتعامل مع واقع معصيتنا أمام الله ومع العقوبة التي نستحقها. فهو يستخدم مصطلحات مثل «تبرير» – أي النطق بحكم «غير مذنب» – لوصف أحداث موت المسيح من جهة انتقال عقوبتنا إليه.

كما توجد أيضًا لغة عسكرية للحديث عن موت المسيح، في سياق رؤيتنا للعالم على أنه ساحة معركة روحية. فيخبرنا الكتاب عن موت المسيح على الصليب أن المسيح «جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ». (كولوسي ٢: ١٥؛ انظر أيضًا مرقس ٣:

٢٢-٢٧؛ يوحنا ١٦: ٣٣؛ ١٩: ٣٠؛ رومية ٨: ٣٩؛ ١كورنثوس ١٥: ٥٤-٥٧؛ رؤيا ٥: ٥؛ انظر أيضًا جميع قصص الأناجيل عن التحرير من أرواح شريرة).

وهكذا، يوصَف عمل المسيح بأنه فداء، أي أنه عملية شراء تم من خلالها تأمين حرية بعض البشر المقهورين والمستعبَدين. وهذا العمل يوصف أيضًا بأنه مصالحة - حيث أُزيلت العداوة بين طرفين. وبأنه استرضاء - أي تسكين غضب الله العادل ضد الناس على خطاياهم. وقد تم تسكين هذا الغضب حتى يتسنى لهذا الإله أن يتعامل مع الخطاة من منطلق محبته وليس من منطلق غضبه.

لا شيء من هذه المفردات الموجودة في العهد الجديد يشير إلى شيء محتمل أو اختياري، بل بالأحرى تشير اللغة إلى تتميم الله الفعلي لغرضه وقصده من خلال موت المسيح. كما لم تصر الفائدة متاحة لنا فحسب، بل مضمونة بموت المسيح على الصليب وقيامته للحياة.

لا يوجد مفر إذن من الإقرار بأن مركز خدمة المسيح كان موته فوق الصليب، وأن في قلب هذا الموت يكمن يقين الله بأنه كان يوفي في كفاءة وفاعلية كلًا من مطالب محبته ومطالب عدله. هل أدركت الآن أن المسيح ليس مجرد صديق لنا، وأن نُلقِّبه بهذا كأسمى ألقابه هو مثل تقديم «مدح واهن» له. إن المسيح هو بالفعل صديقنا، لكنه يفوق ذلك بكثير، فمن خلال موته على الصليب، صار المسيح الحمل المذبوح عنا، وفادينا، وصانع السلام بيننا وبين الله، وواضع إثمنا عليه، والغالب لألد أعدائنا، والذي سكَّنَ غضب الله الذي كنا نستحقه عن عدل.

لنتأمل معًا روعة رؤيا يوحنا الأخيرة التي رآها في جزيرة بطمس:

«فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ: «لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ».
وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ... فَأَتَى وَأَخَذَ السِّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ.

وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا أَمَامَ الْخَرُوفِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ:

«مُسْتَحِقٌ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ
وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ،
لأَنَّكَ ذُبِحْتَ
وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ
مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ».»

(رؤيا ٥: ٥-٩)

إن الإنجيل ليس مجرد كون المسيح صديقًا لنا.

الخبر السار ليس مجرَّد أن اللّه سيجدد الخليقة

يوجد خطأ شائع وهو الاعتقاد بأن «الخبر السار» للكتاب المقدس هو أن الله يعيد خلق العالم، ويستعيد شالوم (السلام، والخير)، وأننا لا بد أن ننضم إليه في ذلك العمل. هذا الكلام صحيح بشكل ما، لكنه أيضًا أخفق في ذكر عدة أجزاء محورية.

يحتوي الكتاب المقدس بالتأكيد على وعود رائعة بشأن خطط الله لعالمه وشعبه (إشعياء ٦١؛ رؤيا ٢١-٢٢). وحتى في هذه الأيام يختبر المؤمنون هذا التجديد. نحن موضوع عمل الله، نحن المولودون ثانية بروحه القدوس (يوحنا ٣)، ونحيا حياة جديدة (رومية ٦)، ونُجعَل جديرين بالملكوت (١تسالونيكي ٢: ١٢)، ونضيء كأنوار (فيلبي ٢: ١٥). بل ويقال عنا أيضًا إننا عاملون مع الله (١كورنثوس ٣: ٩).

لكن توجد بعض الأمور التي نبغي تصحيحها، والتي نحتاج للتأكد من كونها مشمولة داخل هذه القصة حين تُروى في أحيان كثيرة. أولًا، وبكل تأكيد، نحن لا نصنع الإنجيل، بل ننادي به. هذا الإنجيل هو الخبر الذي ننادي به، والذي لا

يدور حول ما نفعله، بل ما فعله الله، ولا يزال يفعله، وسيفعله!

في الوقت ذاته، نحن لسنا مدعوين لمجرد التمتع بمشاهدة العرض، مثل طفل يلصق أنفه بنافذة متجر الحلوى. فكي يكون هذا خبرًا سارًا بالنسبة لنا، نحتاج أن يخبرنا أحدهم بكيفية الاشتراك فيه!

إن أي تقديم أمين وصادق للإنجيل لا يمكن أن يتركنا سلبيين، فلا يمكن للإنجيل أن يصير مجرد سرد لقصة عمل الله، متجاهلًا كيفية دخولنا نحن من خلال صليب المسيح وقيامته في أحداث تلك القصة. ذلك لأن الإشارات التي أعطاها المسيح عن إنجيله لم تكن أفعالًا سلبية مثل مشاهدة تدفق المياه أو نمو القمح، لكنه أخبر تابعيه بأن يدخلوا إلى هذا الماء بالمعمودية، وأن يأكلوا الخبز ويشربوا من الكأس في عشاء الرب. لقد دعانا لنحيا حياة جديدة، ونثمر بالتوبة المستمرة (متى ٣)، ونعترف بيسوع أمام الناس (متى ١٠: ٣٢). بل في واقع الأمر، نحن قد أُمِرنا بطاعة كل ما علَّم به يسوع (متى ٢٨: ٢٠)! وبالتأكيد، يطالبنا إنجيل المسيح بأن نستجيب.

الخبر السار وتجاوبنا معه

إذن، ما هو الإنجيل؟ الخبر السار هو أن الله الواحد والوحيد، والقدوس، قد خلقنا على صورته كي نعرفه. لكننا سقطنا في الخطية وفصلنا أنفسنا عنه. لكن الله في محبته الشديدة لنا صار إنسانًا في يسوع، وعاش حياة كاملة، ومات فوق الصليب، متممًا بهذا الناموس بنفسه، وآخذًا على عاتقه عقوبة خطايا جميع من سيلتفتون إليه يومًا ويؤمنون به. ثم قام المسيح من بين الأموات، مبرهنًا على قبول الله لذبيحته، وعلى أن غضب الله علينا قد أُفرِغ كُليًّا. ثم صَعِدَ إلى السماء وقَدَّم عملَه المكتمل إلى أبيه السماوي، وهو الآن يُرسِلُ روحَه القدوس ليدعونا من خلال هذه الرسالة إلى التوبة عن خطايانا والإيمان بالمسيح وحده لغفران خطايانا. فإن تُبنا عن خطايانا وآمنا بالمسيح، نولد ثانية إلى حياة جديدة، حياة أبدية مع الله.

في قلب هذا الإنجيل تقف المبادلة العظيمة التي جرت بين بر المسيح وخطايانا، فإن موته البديلي عنا فوق الصليب هو مركز الرسالة. ويظل حديثنا عن قبولنا للمسيح بلا أي معنى إن لم نصدق هذه الرسالة ونتكل على المسيح وحده وبالكامل لأجل خلاصنا.

اكتشف بيل سايكس، بائع فواكه فقير بلندن وغير متدين في القرن التاسع عشر، هذه الحقيقة في الأيام الأخيرة من حياته. فقد بدأ رجل مؤمن في التردد عليه وتقديم رسالة الإنجيل له. في البداية، لم يُبد بيل اهتمامًا كبيرًا بهذا، إلى أن تحدث معه هذا الزائر من إشعياء ٤٣: ٢٥ «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا»، وفسَّر له هذه المبادلة العظيمة، فقال بيل: «لقد فهمت الآن، فهو في ذلك الحين تألم عني». فكتب هذا الخادم المسيحي: «من تلك اللحظة فصاعدًا، لم أتردد في قول إن بيل سايكس قد دخل إلى السلام»[٥].

ثم لاحقًا تقابل هذا الخادم مع ابن بيل بجوار سرير بيل وهو مريض، وعلى الرغم من أن صحة بيل كانت تتداعى، إلا أنه قال لذلك الخادم في حماس: «أعطه من ذلك الشيء»، «أي شيء؟» «ذلك الشيء بخصوص المسيح الذي أخذ مكاني، وكيف أنه تلقى العقوبة عني، ذلك هو الشيء»[٦].

يستلزم إنجيل يسوع المسيح استجابة جذرية، فهو ليس مجرد «مكمِّل غذائي» يمكنه أن يجعل حياتنا الجيدة أفضل، بل هو رسالة تحمل خبرًا سارًّا ورائعًا لمن يَعلمون ويدركون جيدًا حالتهم اليائسة أمام الله.

إذن ما هي الاستجابة التي يدعو الإنجيل إليها؟ ماذا ينبغي أن نفعل حين نشعر باحتياجنا، وندرك من هو الله ومن هو يسوع وماذا فعل؟ وحين تبدأ جميع هذه الخيوط تُنسَج معًا، ماذا ينبغي أن تكون استجابتنا؟ هل أن نتقدم إلى الأمام في الكنيسة معلنين إيماننا؟ أم أن نملأ بطاقة ما أو نرفع أيدينا؟ أم أن نحدد موعدًا مع كارز ما، أو نتخذ قرارًا بأن نتعمَّد وننضم للكنيسة؟ في حين قد يشتمل الأمر على

أي من هذه الأشياء، إلا أن وجود أي منها ليس ضروريًا. فوفقًا للكتاب المقدس، ينبغي أن تكون استجابتنا هي التوبة والإيمان، فإن الله يدعونا للتوبة عن خطايانا والاتكال على المسيح وحده.

التوبة والإيمان

كثيرًا ما يذكر العهد الجديد كلمتي التوبة والإيمان مقترنتين؛ فحين تقابل بولس مع شيوخ كنيسة أفسس، أوجز الرسالة التي كان يكرز بها على هذا النحو: «شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أعمال ٢٠: ٢١). ما إن نسمع الحق عن خطايانا وقداسة الله، وعن محبته في إرساله للمسيح، وموت المسيح وقيامته لأجل تبريرنا، لا بد أن نتوب.

إن يسوع يوصي بهذا: «تُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ!» (مرقس ١: ١٥). ما هي التوبة؟ هي ببساطة التحول عن خطايانا. أن تتوب هو أن تُقر بأنك خاطئ وأن تترك خطيتك.

وإلى جانب التوبة يوجد الإيمان. أولًا، لا بد أن نؤمن بصحة رسالة الإنجيل، ويجب أن نؤمن بها بهذا المعنى. إلا أن هذا الإيمان هو أكثر من ذلك بكثير. على سبيل المثال، يمكننا أن نؤمن بأن شلالات آنجل بفنزويلا أعلى ارتفاعًا عشرين مرة من شلالات نياجرا، أو أن خيوط العنكبوت تساعد على تجلط الدم في حالة إصابتنا بجرح غائر، أو أن معدل قراءة سكان آيسلندا للكتب للشخص الواحد سنويًا يزيد عن معدل أية دولة أخرى، أو أن سير كريستوفر رين قد تلقى ستة أشهر فقط من التدريب كمهندس معماري. لكن هذا ليس نوع الإيمان الذي يطالب به الإنجيل.

إن الإيمان الذي يأمر به يسوع ليس مجرد القبول العقلي، بل هو تصديق الخبر السار عن الخلاص والثقة به بالكامل. لا بد أن نقبل كوننا عاجزين عن

إرضاء مطالب الله منا بغض النظر عن سلوكنا الأخلاقي. فليس علينا أن نثق قليلًا في أنفسنا، ونثق قليلًا في الله، بل لا بد أن نرتمي على الله تمامًا، ونثق بالمسيح وحده لأجل خلاصنا.

لا تتطلب الديانة الحقيقية إيمانًا فحسب بل توبة أيضًا، فهي تتطلب تغييرًا فعليًا لحياتنا. إن التوبة والإيمان حقًا هما وجهان لعملة واحدة. ليس كما لو كان بامكاننا اختيار النموذج الأساسي (الإيمان)، ثم إن أردنا لاحقًا أن نكون قديسين، يمكننا البدء في إضافة بعض التوبة. بل فعل التوبة هو ما نفعله حين نبدأ في التفكير بشكل صحيح عن الله وعن أنفسنا. والإيمان دون هذا النوع من التغيير هو إيمان زائف. وقد أوضح جي. سي. رايل هذا جيدًا حين قال: «يوجد نوع أرضي شائع من المسيحية في هذه الأيام، يعتنقه الكثيرون، ويعتقدون أنهم مكتفون به. وهي مسيحية رخيصة لا تُغضبُ أحدًا، ولا تتطلب أية تضحية، ولا تكلف شيئًا ولا تساوي شيئًا»[٧].

إن التوبة التي يدعو يسوع إليها هنا مرتبطة بالتأكيد بالإيمان بهذا الخبر، لأنه إن كان هذا الخبر رسالة جديدة، فإن تغييرك لذهنك حين تسمعها ليس بالأمر المستغرب. الكلمة اليونانية لكلمة «توبة» هي "metanoia" والتي تعني حرفيًا «أن تُغيِّر ذهنك». إذ يتغير ذهنك تتغير حياتك أيضًا.

لم تكن المسيحية الحقيقية قط مجرد إضافة لشيء، أو تنمية شيء لطالما كان موجودًا في حياتنا، بل هي بالأحرى تغيير كامل وجذري، أي تغيير اتجاه. جميع المؤمنين يختبرون هذا التغيير الكامل حين يصلون إلى الاتكال على عمل المسيح المكتمل فوق الصليب. أن تقول إنك تؤمن دون أن تحيا بمقتضى هذا، فذلك ليس إيمانًا كتابيًا. فإننا نغير طريقة سلوكنا وأفعالنا، لكن هذا لأننا نغير ما نؤمن به. مثل هذا التغيير هو عمل روح الله. وسوف نستطلع هذا معًا في الفصل التالي.

الخاتمـة

للمسيحية محتوى معرفي خاص. إنها ليست حماسة دينية، وليست حدسًا شخصيًا داخليًا، بل هي خبر، خبر يقول شيئًا ما عن أنفسنا، وعن الله، وعن يسوع. هذا الخبر إما أنه صحيح أو خطأ. فنحن إما خطاة (كما يدَّعي الكتاب المقدس) أو لا، والله إما موجود أو لا، وإما أنه كما يقول عنه الكتاب المقدس أو لا. وإما أن يسوع مات فوق الصليب وقام من بين الأموات أو لا.

في كنيستنا المحلية، دائمًا ما أسأل الذي يطلبون الانضمام إلى عضوية الكنيسة أن يخبروني بالإنجيل في دقيقة واحدة أو أقل (خلافًا لما فعلته في هذا الفصل!). وأنا أفعل هذا لأني أريد التأكد من معرفة الناس لرسالة الإنجيل. هل توقفت مؤخرًا وفكرت فيما تقول إنك تؤمن به؟ وَصَفَ بي. بي. وارفيلد الأمر على هذا النحو:

> **«اثنا عشر شخصا من القرويين الجاهلين ينادون بيهودي مصلوب مؤسِّسًا لإيمان جديد، حاملين كرمز عبادتهم أداة كانت علامة على العار، والعبودية، والإجرام، ومبشِّرين بما لا بد وأنه قد بدا تعليمًا سخيفًا ومنافيًا للعقل عن الاتضاع، والتألم في صبر، ومحبة الأعداء، وغيرها من الفضائل لم يتخيلها أحد قبلًا؛ ومطالِبين بما لا بد أنه بدا عبادة سخيفة لشخص مات كعبد وكفاعل شر، وقاطعين ما لا بد أنه بدا وعدًا سخيفًا بالحياة الأبدية من خلال شخص هو نفسه قد مات، وكان هذا الموت بين لِصَّيْن»**[٨].

بقدر غرابة هذه الرسالة إلا أنها صحيحة، فقد وقع الأمر حقًا على هذا النحو. أما الرسائل الأخرى مثل: «أنا بخير – أنت بخير»؛ «إن الله هو كل ما يجول في فكرك عن الحب»؛ «يسوع صديقك»؛ «لا بد أن تحيا باستقامة»، فهي ليست خبر المسيحية السار، بل هي في أفضل الأحوال أنصاف حقائق، وهي كاذبة بشكل خطير في حالة الاستناد عليها واعتبارها الإنجيل المسيحي. إلا أن هذا الخبر السار عن موت المسيح فوق الصليب ذبيحة كفارية عن خطايا جميع من سيحولون

اتجاههم يومًا ويؤمنون به، هذا الخبر السار ليس شيئًا خياليًا منافيًا للحقيقة. بل هو حقيقة!

على مدى أعوام كثيرة، استشهدتُ بالعديد من ردات الفعل المتشككة في ما تدَّعيه المسيحية، بل وفي أي ادعاءات عن الحق.

فقد قال الممثل الإنجليزي هيو جرانت: «أنا لا أومن بالحق، بل أومن بالأسلوب»[٩].

وأكد ماركيز دي ساد: «كل شيء موجود هو صحيح».

يجب ألا نتخيل أن هذا النوع من ردات الفعل هو امتناع عن إبداء أية ردة فعل، أو أن ردة فعل كهذه ليست لها عواقب. فكما قال دوستوفيسكي: «إن لم يكن الله موجودًا، فإن كل شيء يصير ممكنًا»[١٠].

أعملَ جون ويسلي فكره ذات مرة في العظمة الأرضية، فقال:

> **«كنت مرتديًا لبس البيت أسير بمحاذاة مبنى مجلس اللوردات، حين وضع الملك معِطفه. وكان جبينه مجعدًا من الشيب، ومُغطى بالهموم. أهذا كل ما يستطيع العالم أن يمنحه حتى لملك؟ أهذه كل الفخامة التي يمكنه أن يوفرها؟ مجرد معطف من الفرو حول كتفيه، ثقيل وضخم حتى أنه بالكاد كان يستطيع التحرك من تحته! وكومة ضخمة من الشعر المستعار، مع بضعة صفائح من الذهب والأحجار الكريمة فوق رأسه! يا للأسف، يا لبخس عظَمَة الإنسان! وحتى هذه العَظَمة لن تدوم»**[١١].

كما يقول رجل فقير: «من يمتلك الكثير أيضًا يموت». من الذي يموت إذن؟ الغني والفقير على حد سواء، الملك وجون ويسلي، ماركيز دي ساد ودوستوفيسكي، المهندس والممثل، أنت وأنا. ففي هذا، لا يبدي معدل الوفيات أية إشارة إلى الانخفاض: فإن واحدًا من أصل واحد يموت مهما حدث.

هل سمعنا الإنجيل؟ وهل صدقناه بكل ما فينا من قوة أم لا زلنا منهمكين في لعبة الدِّين؟ هل نرتاد الكنيسة من وقت لآخر حين يزداد فضولنا أو يستيقظ شعورنا بالذنب، بينما نحن في المقام الأول نخدم أنفسنا بانتظام وباكتفاء شديد؟

أن تسمع الإنجيل حقًا هو أن يهتز كيانك بالكامل من الداخل به، أن تسمع الإنجيل حقًا هو أن تتغير. هل سمعت الإنجيل، وليس كلمة مخدِّرة عن صلاحك، أو قبول الله، أو رغبة يسوع غير المزعجة في أن يكون صديقًا لكل من هب ودب، أو حتى بعض الكلمات المُبكِّتة حول التخلص من بعض الخطايا في حياتك؟ هل سمعت برسالة الكتاب المقدس العظيمة عن الله؟ هل يبدو وقعها وكأنها أفضل خبر سمعته يومًا على الإطلاق؟ غفران خطاياك الماضية! بداية حياة جديدة! علاقة شخصية بإلهك، وخالقك، الآن وإلى الأبد!

أي خبر أفضل من هذا يمكن أن تسمعه؟

مصادر أخرى

- لدراسة الكتاب المقدس في مجموعات:

God’s Good News: The Gospel, a seven-week inductive Bible study from 9Marks

- لتقديمه للمؤمنين ولغير المؤمنين:

What Is the Gospel?, by Greg Gilbert

العلامة الرابعة

فهم كتابي للاهتداء (الإيمان بالمسيح)

هل توجد حاجة للتغيير؟

هل التغيير ممكن حقًا؟

ما هو التغيير الذي نحتاجه؟

علامَ ينطوي هذا التغيير؟

قبول ذهني؟

قرار أخلاقي؟

اتكال على المسيح وحده

كيف يحدث هذا التغيير الأعظم؟

ألا نعمل شيئًا؟

هل نعمل كل شيء؟

الله يجري هذا الإيمان الخلاصي فينا

خاتمـة

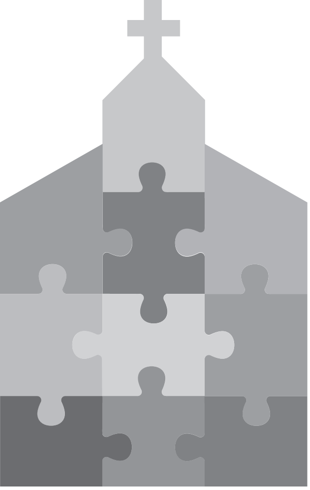

العلامة الرابعة

فهم كتابي للاهتداء (الإيمان بالمسيح)

««لم أَعُد ذلك الرجل الذي تعوَّدت أن أكونه. هل يمكنك يومًا أن تغفري لي؟»».

هذه هي الكلمات التي وجهها رجل لامرأة بعد مرور ثلاثة عشر عامًا على إدانته باغتصابها. لو كنت عَرفْتَ هذا الرجل، أو سمعت عن الحكم الصادر ضده، هل كنت ستصدق ادِّعاءه بأنه قد تغيَّرَ؟ أظن أن الغالبية سيساورهم الشك إلى حد ما، ليس فقط تجاه ذلك الرجل التائب، بل تجاه أي شخص يدَّعي بأنه قد تغير على أي نحو جذري أو دائم. فاليوم، يتشكك الناس في إمكانية حدوث أي تغيير حقيقي. ذلك لأن السياسيين، والمحامين، والوعاظ، والأساتذة، والمراسلين، ومسئولي التسويق، جميعهم لديهم نقائصهم المحتومة، أليس كذلك؟

كثيرون اليوم يعتبرون أن الحكمة هي أن تتعلم قبول ظروفك الداخلية، والتكيف معها، وليس أن تحاول تغييرها من أساسها. فالقُرعة قد ألقيت، والأنصبة قد قُضي بها، والمصائر قد تحددت، وشخصياتنا قد تعيَّنت. والافتراض البديهي هو أن النمر لا يغير رُقَطَهُ، والقَلِق لا يغير شخصيته، والفاقد للشعور بالأمان لا يغير حالته النفسية، إلا في حالة بعض الصدمات العنيفة، و«يبقى الحال كما هو عليه!» أما النضوج فهو أن تقبل هذه الحقيقة عن نفسك وتستسلم لها.

وأي افتراض لقدرتك على أن تتغير تغييرًا عميقًا يتم التعامل معه بريبة حقيقية. مثل هذا الافتراض يُنظَر إليه على أنه أداة تلاعب مُريبة في أيدي من يريدون إكراهك على مشابهة معاييرهم، بأن يغرسوا فيك بغضة لذاتك أو اشمئزازًا من صفات معينة فيك، سواء كانت رغباتك الجنسية، أو طموحاتك المهنية، أو معاييرك الأخلاقية، أو معتقداتك الدينية. فإننا نحن كما نحن، وعلينا أن نفخر بذلك!

لكن مع كل هذه الحيرة والارتياب لدى البشر، إلا أن لديهم شوق عميق للتغيير. فهناك قلق شديد من ضربات القدر الغاشمة، وفي حقيقة الأمر، بقدر عمق تأصل عدم الرضا عن النفس، فهو أيضًا منتشر على نطاق واسع. إننا إذ لسنا قانعين ولا راضين، نعيد ترتيب الأثاث، أو نطلي الرواق، أو نشتري ثيابًا جديدة. وإن ساءت الأحوال أكثر، نفكر في تغيير مكان سكننا، ونطلب ساعات عمل مرنة في وظيفتنا، أو حتى نغير الوظيفة. بل وأحيانًا نشتاق حتى إلى تغيير شريك الحياة. واليوم، حتى حدود الحياة الجنسية وحدود الحياة ذاتها المعروفة منذ القديم يتم تجاوزها، في محاولة باطلة غير مجدية لإيجاد الرضا والشبع. ومع ذلك، وبالرغم من أن ظروف العمل والوظائف، والزيجات والعائلات، وحتى الجنس (من حيث الذكورة والأنوثة) والموت قد صارت خاضعة لخياراتنا الشخصية، لكن يبدو أننا مع ذلك نجد أنفسنا مغلوبين، وواقعين في شَرَكٍ، وفاقدين لأي أمل.

إذن، هل الفلاسفة على حق؟ وهل هناك استحالة لحدوث أي تغيير حقيقي؟

ماذا يقول الكتاب المقدس عن التغيير العميق، الحقيقي، والشخصي؟ طبعًا نحن نتحدث في سياق هذا الكتاب عن التغيير الأعظم والأكبر الذي يتم في الاهتداء. ويُعد الفهم الكتابي للاهتداء من مميزات الكنيسة الصحيحة. وفيما نتناول ماهية الاهتداء – أي فيما نسعى نحو فهم كتابي للاهتداء– سنطرح خمسة أسئلة.

هل هناك حاجة للتغيير؟

أولًا، لا بد أن نسأل، هل هناك حاجة للتغيير؟

كثيرون سيجيبون بالنفي على الفور. كثيرون يختارون أن يقنعوا بحالتهم البشرية. وحين تواجههم فكرة أنهم ربما يحتاجون إلى تغيير كبير في حياتهم، يقولون: «ولِمَ نتغير؟ لا ينبغي أن تفرض أفكارك على الآخرين. بالإضافة إلى ذلك، أنت قطعًا لا تفترض بهذا أن أسلوب حياتك الخاص، والطريقة التي تنظر بها أنت للعالم، أفضل بأي صورة من الصور من أسلوب حياتي والطريقة التي أنظر بها إلى العالم، أليس كذلك؟ إن كنت تفترض هذا، فلا بد أنك مرائي تفتخر ببرك الذاتي! سوف أطلب منك أن تتفضل وتعالج مشاكلك الخاصة وتتركني لأعالج مشاكلي الخاصة بنفسي!».

لكن الكتاب المقدس يُعلِّم بوضوح عن وجود حاجة حقيقية للتغيير، وأننا لسنا «بخير»، بل في حقيقة الأمر، هو يعلم أننا في مأزق.

منذ بضع أعوام، وجَّه مراسلٌ سؤالًا لسام بركينز (الذي كان في ذلك الوقت ضمن فريق سياتل سوبرسونيكس)، قائلًا: «كيف ستتمكن من تعويض خسارتك لخمس وثلاثين نقطة؟».

أجابه بيركنز: «كل ما علينا فعله هو أن نحافظ على تنظيمنا وتناغمنا معًا».

بالتأكيد لن يفيد التنظيم والتناغم بشيء في الخسارة.

لقد تناولنا في الفصل السابق مدى بؤس حالتنا أدبيًا أمام الله، فقد قال يسوع: «النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ». (يوحنا ٣: ١٩، ٢٠).

كما ذكَّر بولس مؤمني أفسس بأنهم، قبل أن يهتدوا إلى الإيمان، كانوا أمواتًا في ذنوبهم وخطاياهم (أفسس ٢: ١)، وقال بوضوح إن هذا الموت الروحي يعم كل البشرية. ويمكننا أن نتذكر من الفصل السابق كيف اقتبس بولس من العهد القديم في استنكار شديد اللهجة لأي ادعاء يمكن أن نقدمه بأننا أبرار في ذواتنا ومن ذواتنا:

> **«فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلاَ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا [المترجم: أي قدمنا الادعاء] أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ.**
>
> **الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. لَيْسَ خَوْفُ اللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ». (رومية ٣: ٩–٢٠).**

الآن انتبه جيدًا إلى هاتين الحقيقتين التوأمتين: أولًا، نحن في حاجة ماسة إلى نعمة الله، وثانيًا، لا يدين الله بهذه النعمة لأحد. هذه هي طبيعة النعمة، فهي ليست شيئًا مستحَقًا، فكل ما يدين الله به لنا هو العدل والقصاص على خطايانا.

وحين يبدأ روح الله يدعونا بقوة إلى أن نرجع عن خطايانا، حينئذ نختبر شعورًا عميقًا بالتبكيت، ونبدأ في أن نعي خطورة الخطية.

لكن تبكيت الروح القدس لا يتسبب في أن ينتابنا نوع من الهوس الروحي، أو نتخيل أننا قد ارتكبنا خطايا تفوق تلك التي أدركناها من قبل (مع أننا بطريقة ما نبدأ في فعل هذا). لكن، حين يبدأ روح الله في تبكيتنا، فهو يلفت انتباهنا إلى خطية

معينة، وهذه الخطية المعينة تبدو لنا أخطر مما كانت قبلًا، وحينئذ نبدأ في إدراك خطورة الخطية، وخاصة خطورة طبيعتها المميتة باعتبارها فعل تمرد وثورة ضد الله نفسه. حينها نبدأ في اختبار شعور كاتب المزمور الذي صلى قائلًا: «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ». (مزمور ٥١: ٤)

وتعد الصور والأمثلة التي يقدمها الله في الكتاب المقدس عن طبيعتنا البشرية صورًا جذرية وقاطعة للغاية، مثل كوننا مديونين، ومستعبَدين، ومفلسين، بل وأموات. هذا هو ما يعرضه لنا الكتاب المقدس بشأن وضعنا. إنه وضع كارثي، وحري بنا أن نخرج منه. وهكذا، يتضح أننا في حاجة إلى التغيير.

هل التغيير ممكن حقًا؟

لكن بعد هذا يأتي السؤال الثاني: هل التغيير ممكن حقًا؟

يتشكك كثيرون في هذا أيضًا. إننا نظل كما نحن، ويكمن النضج في تقبلنا لهذه الفكرة. فإن الناس يقولون إننا ربما نحتاج إلى بذل بعض الجهد لإعادة لم شتات أنفسنا، لكن من الواضح أنه من غير المجدي أن نرجو حدوث أي تغيير عميق من أي نوع. إن الفكر العالمي اللاديني يقول إنه من الخداع أن نقول إننا يمكننا أن نتغير جذريًا، فإن مواردنا محدودة بالنطاق الضيق لهذا العالم، ولهذا ففي هذا العالم وبقوتنا الذاتية لا نجد أي برهان على أن التغيير الذاتي ممكن. أما إن قلت إنك تبحث عن مساعدة من خارج هذا العالم، سيتساءل الناس إن كنت تتحدث عن نوع ما من الكائنات الفضائية، وستجد نوعًا من القبول المُتعجّب المُرتَبِك مثل ذاك الذي يحدث حين تقدِّم صديقك الخيالي «بيرت» للناس في حفل عشاء.

هل التغيير الجذري العميق مجرد خيال؟ هذا ليس ما يقوله الكتاب المقدس. يقول الكتاب المقدس إننا لسنا فحسب في حاجة إلى التغيير، بل إن هذا التغيير ممكن أيضًا. فإن الله قد خلقنا جميعًا، كل فرد فينا، واهبًا إيانا القدرة على معرفته،

ومحبته، وعبادته. ويُعلم الكتاب المقدس أيضًا أننا لا بد أن نقر بأننا نسير في طريق بعيد عن الله، وأننا يجب أن نغير اتجاهنا كي نرجع إليه. وهذا، كما نتعلم، ممكن حقًا.

يستطيع الإنجيل أن يمنحنا بداية جديدة. ويستطيع الله حقًا أن يمنحنا حياة جديدة. هذا ما نجده في العهد الجديد، هذا هو الخبر الأعظم. وبقدر ما يبدو ما وصفه المسيح لنيقوديموس في يوحنا ٣ عجيبًا ومذهلًا، إلا أن بولس قد اختبره بالفعل في أعمال ٩. وفي كل العهد الجديد، تُعرض هذه الحقيقة الأصيلة والجذرية وتفسيرها، بداية من رومية ٦ ، ومرورًا بأفسس ٢، ووصولًا إلى ١بطرس ١.

ووفقًا للكتاب المقدس، يُعد هذا جزءًا محوريًا من الخبر السار: أن التغيير ممكن.

ما هو التغيير الذي نحتاجه؟

السؤال الثالث، والأكثر تحديدًا، هو: ما هو التغيير الذي نحتاجه؟

الكثيرون ممن يُقِرون بحقيقة حاجتهم إلى التغيير يقولون إنهم في حاجة إلى أن يكونوا أكثر حرية ودون قيود في خدمة أنفسهم، ربما كي يتعلموا بشكل أفضل كيفية حشد مواردهم لتحقيق أهدافهم. وقد قال غاندي إن الحاجة الصارخة في زماننا هذا هي إلى تغيير يقود إلى تنقية النفس وتحقيق الذات. الكثيرون يقولون إن مشكلاتنا لا تنبع سوى من حيرتنا وعجزنا عن فعل ما نبغي فعله، وإن أي تغيير أو اهتداء لا بد أن يكون من النوع الذي يساعدنا على تحقيق ذواتنا، ولا يفعل شيئًا سوى أن يقوينا، لا أن يغيرنا جذريًا أو يبكتنا على خطإ.

علَّق روبرت جينسون على التعصب العجيب في مجتمعنا الغربي المتسامح تجاه الاهتداء المسيحي قائلًا:

«تخيل نفسك في حفل عشاء في مانهاتن أو في مدينة جامعية في ولاية مينيسوتا، تروي للحاضرين حالتي اهتداء، الواحدة إلى المسيحية، والأخرى بعيدًا عن المسيحية، وانظر ما سيحدث. الحالة الأولى سيتم استقبالها على أنها حكاية خيالية تنم عن ضيق أفق بغيض، والحالة الأخرى على أنها مثال على الخيارات والإمكانيات الرائعة التي يتيحها مجتمع منفتح»[١].

لكن الكتاب المقدس يقول إن التغيير الذي نحتاجه ليس مجرد «اكتشاف» أنفسنا، بل تغيير الاتجاه. فإن الكلمة المرادفة حرفيًا لكلمة «توبة» في العهد القديم والعهد الجديد هي كلمة «تغيير الاتجاه». وهي تعني التحول بعيدًا عن خطايانا في اتجاه الإله الواحد الحقيقي. ينبغي أن نتخلى عن ادعائنا بكوننا قضاة وحكام حياتنا، ونُقّر بأن هذا الدور من حق الله وحده. إن خطايانا السالفة تحتاج إلى غفران، وحياتنا الحاضرة تحتاج إلى إعادة توجيه، ومصيرنا المستقبلي يحتاج إلى أن يتغير من جحيم دينونة الله العادلة إلى سماء غفران الله الكريم في المسيح.

هذا هو التغيير الأعظم الذي نحتاجه، فهو ليس مجرد إصلاح لحياتنا كي تلائم ذواتنا ورغباتنا، بل هو أن نصلح حياتنا كي تلائم الله وطرقه وتعاملاته معنا. هذا التغيير هو الإقرار بحقوق الله علينا. وكما قال أحدهم: إن الخطوة الأولى نحو الإله الواحد الحقيقي هي أن نقر بأننا لسنا ذلك الإله.

إن في هذا التغيير الأعظم خلاصنا. فإننا ندرك جيدًا أن حالتنا بعيدًا عن هذا التغيير أليمة وبشعة، ولذلك نطلق عليه اسم الاهتداء، أو الخلاص، كما نطلق عليه الولادة الثانية.

وهكذا، فإن التغيير الحقيقي الذي نحتاجه هو ذلك الاهتداء أي التحول عن عبادتنا لأنفسنا إلى عبادتنا لله، وعن كوننا مذنبين في أنفسنا أمام الله إلى تمتعنا بالغفران في المسيح.

علام ينطوي هذا التغيير؟

هذا يأتي بنا إلى السؤال الرابع بشأن الاهتداء: علام ينطوي هذا التغيير؟

قبول ذهني؟

يقول الكثيرون إن الاهتداء هو مجرد قبول ذهني، أي أن كل ما نحتاج إليه هو أن نتخذ قرارًا، ونتقدم إلى الأمام في الكنيسة، ونملأ بطاقة، ونتلو صلاة. التغيير، بحسب فكرهم، يمكن أن يكون طفيفًا إلى حد ما، فهو قد يتضمن البدء في اختبار بعض المشاعر الأخلاقية، والانضمام إلى الكنيسة، والاشتراك في برامج ونشاطات، بالإضافة إلى التطوع لمساعدة المحتاجين. فهو يعد إذن نسخة موسعة من القرار الذي يُتَّخذ قبيل بداية العام الجديد.

لكن الكتاب المقدس يقول إن التغيير الأكبر الذي نحتاجه ينطوي على ما يفوق هذا بكثير: فهو يشمل التحول بعيدًا عن خطايانا نحو الله، والتوبة عن خطايانا، واتباع الله. يشمل الاهتداء كلًّا من تغيير القلب من نحو الله الذي هو التوبة، والإيمان والثقة بالمسيح وبكلمته الذي هو الإيمان. وكراعي كنيسة، أجد الكثيرين اليوم يَضلون ويُخطئون بإحدى هاتين الطريقتين:

أولًا، هناك من لا يعتقدون أنهم قد اهتدوا بالفعل بينما هم في الحقيقة كذلك، وهذه مشكلة. إنهم يَعلمون جيدًا أن كلمة الله تعلِّم بأن المؤمنين لا يُسلَّمون للخطية. ومع ذلك، كلما أخطأوا، يشعرون بشكاية الشيطان، ويميلون إلى موافقته في أنهم ربما ليسوا مؤمنين حقيقيين. لكن، يا صديقي المسكين المتشكك، إن كان هذا الشخص هو أنت، وإن كنت تسرع إلى قبول اتهامات الشيطان كلما أخطأت، دعني أحثك على ألا تنسى صلاح الله من نحوك، والعمل الصالح الذي أجراه في قلبك، ذلك العمل الذي ربما عاينه أصدقاؤك أنفسهم ورأوا الله يجريه بداخلك. انظر إلى رد جان دارك حين سألها بعض القضاة سؤالًا شائكًا ومخادعًا: حين

سُئلت إن كانت تعلم هل هي في نعمة الله أم لا، أجابت: «لو لم أكن في نعمة الله، فليضعني الله هناك، وإن كنت فيها، فليحفظني الله فيها»[٢].

قد تكون هذه صلاة جيدة لكل شخص فينا. فإن القلب الذي تغير حقًا، واهتدى، أي القلب المؤمن الحقيقي، يمكنه أن يقول مع جون نيوتن: «لست ذلك الشخص الذي كان ينبغي أن أكونه، ولست ذلك الشخص الذي أتمنى أن أكونه، ولست ذلك الشخص الذي أرجو أن أكونه. ومع ذلك يمكنني أن أقول في صدق: لست ذلك الشخص الذي كنته فيما سبق. فإني بنعمة الله أنا ما أنا».

المشكلة الثانية، والتي لا بد أن أقر أنها تؤرقني بشكل أكبر هي: أن البعض يظنون أنهم مهتدون بينما هم ليسوا كذلك. كل راعي كنيسة يَعلم هذه المشكلة جيدًا. قد تكون سمعت بالقصة التي رواها تشارلز سبرجن، ذلك الراعي العظيم بلندن في القرن التاسع عشر، في كتابه الكلاسيكي: "The Soul Winner" (رابح النفوس): «يومًا ما، أتى رجل سكير إلى رولاند هيل وقال له: 'يا سيد هيل أنا أحد أتباعك'. فأجابه ذلك الكارز حاد الذكاء: 'أستطيع أن أقول إنك كذلك، لكنك بالتأكيد لست من أتباع الرب، وإلا لن تكون سكيرًا'». ويختم سبرجن ويقول: «وإلى هذا الاختبار العملي ينبغي أن نُخضع كل أعمالنا[٣].

إن سبرجن، باعتباره راعيًا، كان واعيًا لهذه المشكلة جيدًا، وخاصة حين تُوجد بين أناس قد ذهبوا إلى الكنيسة لفترة كافية حتى أنهم تعلموا التحدث بلغة مختلفة؛ أي بلغة الكتاب المقدس ولغة المسيحية. إلا أن قلوبهم لم تتغير كي يعيشوا حياة مختلفة. وقد وصف سبرجن في عظة له هؤلاء الذين كانوا واثقين من اهتدائهم وسعداء بالتحدث عنه، على الرغم من أن حياتهم لم تكن تعكس ذلك، قائلًا:

> **«يقولون إنهم مخلَّصون، ويُصرون على هذا، ويظنون أنه من الإثم أن يشكك أحد في ذلك؛ ومع ذلك ليس لديهم أي سبب يدعمون به يقينهم هذا. فهناك من هم على استعداد أن يختبروا اليقين الكامل، ولكن هناك آخرون**

ممن يزعجهم بشدة مجرد الحديث عن هذا الأمر. يوجد اختلاف كبير بين الافتراض واليقين الكامل. اليقين الكامل أمر منطقي، إذ هو مؤسَّسٌ على أرض صُلبة. أما الافتراض فهو يأخذ الأمر مسلمًا به، و ينطق متبجحًا بامتلاكه لما لا حق له فيه. أتوسل إليكم أن تَحْذروا من أن تفترضوا أنكم قد خلصتم. إن كنت تؤمن بيسوع بقلبك، حينئذ تكون قد خلصت، لكن إن قلت بشفتيك فحسب: 'أنا أومن بيسوع'، فإن هذا لا يُخلِّصك. إن كان قلبك قد تجدَّد، وإن صرت تُبغضُ الأشياءَ التي كنت قبلًا تحبها، وصرت تحب الأشياء التي كنت قبلًا تبغضها، وإن كنت قد تُبتَ حقًا، وحدث تغيير تام لذهنك، وإن كنت قد وُلدت ثانية، حينئذ يكون لديك سبب وجيه كي تبتهج. لكن إن لم يكن هناك تغيير حيوي، ولا تقوى داخلية، ولا محبة لله، ولا صلاة، أو عمل للروح القدس، فإن قولك: 'أنا مخلَّص'، لا يعدو كونه تأكيدًا اختلقته أنت، وقد يضللك، لكنه لن يخلصك. إن صلاتنا ينبغي أن تكون: 'ليتك تباركني' بإيمان حقيقي، وخلاص حقيقي، وثقة بيسوع، التي هي أساس الإيمان، وليس بالوهم الذي يولِّد سذاجة. ليحفظنا الله من البركات الوهمية والخيالية!»[٤].

ينبغي لنا أن ندرك أننا من الممكن أن نكون أعضاء فعالين في كنيسة محلية، ومع ذلك لسنا أعضاء حقيقيين في شعب الله.

قرار أخلاقي؟

البعض يظنون أن الاهتداء هو مجرد أن تحيا حياة صالحة، وتكون أفضل خُلقًا، بعبارة أخرى، استجماع وترتيب القرارات الأدبية. فهو يتعلق بتحملي لمسئولية تشكيلي لأخلاقي، وصلاحي، وبرِّي. فإن الاهتداء يعني أن عليَّ أن أبدأ في حل معضلاتي ومشكلاتي الأخلاقية، وتنقية تصرفاتي، وجعل نفسي أكثر قبولًا في نظر الله. فهو يعني التوقف عن العبث.

اتكال علـى المسـيح وحـده

وفقًا للكتاب المقدس، يقتضي التغيير الحقيقي للاهتداء المسيحي أن نتكل على المسيح وحده. فإننا لا نستطيع أن نبرر أنفسنا أمام الله، ولا أن نُجريَ بعض التحسينات على حياتنا، هنا وهناك، ظانين أن مثل هذه التغييرات ستخفي بشكل ما خطايانا عن الله، أو تجعل قلوبنا تبدو بارة أمامه. لكننا في الاهتداء الحقيقي، نختبر الراحة في المسيح، إذ نثق فيه وفي استحقاقاته أمام الله. هذا التغيير الحقيقي يدور بكامله حول إدراكنا أننا لا يمكن أن نذهب إلى الكنيسة، أو نعلِّم في مدرسة الأحد، أو نعطي قدرًا من الأموال، أو نكون لطفاء أو رائعين، أو سعداء وقانعين بحياتنا الدينية، بما يكفي ليجعلنا نستحق استحسان الله لنا.

لا بد لنا أن ندرك أننا، بسبب خطايانا، يائِسين وفاقدين لكل أمل أمام الله. وبغض النظر عن وضعنا الخارجي المزدهر، نحن حقًا أشقياء أمام الله، ورجاؤنا الوحيد يكمن في فهم أن الله في المسيح أخذ جسدًا، وأن المسيح عاش حياة بلا عيب، ومات على الصليب عن جميع من سيرجعون إليه يومًا ويتكلون عليه، وأنه قام منتصرًا على خطايانا، والآن هو يعرض علينا أن يسكب روحه القدوس في قلوبنا. إن بداية امتلاك هذا الاتكال، وهذه الثقة في الله وحده، هي طبيعة التغيير الأعظم الذي يتم في عملية الاهتداء.

وهكذا، لا بد أن نتوب عن خطايانا ونثق بالمسيح.

كيف يحدث هذا التغيير العظيم؟

نأتي الآن إلى السؤال الأخير: كيف يحدث هذا التغيير العظيم الذي يتم في الاهتداء؟

أَلا نفعل شيئًا؟

يقول البعض إننا كي نختبر الاهتداء، لا يلزمنا أن نفعل أي شيء. فهم يظنون أننا ما دمنا لا نخلص أنفسنا، فالحق البسيط الطبيعي هو أن الله قد خلصنا بالفعل. وتحكي القصة أنه حين تقابل اللاهوتي الشهير كارل بارث مع بيلي جراهام في أثناء سلسلة من الاجتماعات الكرازية في سويسرا، أخبر بارث جراهام بأن رسالته الخلاصية كانت تعجبه باستثناء شيء واحد، وحث بارث جراهام على أن ألا يخبر الناس بأنهم يجب أن يَخلصوا، بل بأنهم قد خلصوا بالفعل في المسيح!

لكن كما رأينا، يعلّم الكتاب المقدس أننا في عملية الاهتداء لا بد أن نفعل شيئًا. فإن يسوع لم يحرض تابعيه على أن يتوقفوا عن الجهاد، ويدركوا أنهم في علاقة سليمة وصحيحة مع الله بالفعل بنعمته. كما أنه لم يخبر تابعيه أن يبدأوا عملية فحص ذاتي ليروا إن كان بمقدورهم تمييز أية علامة على وجود نعمة الله في حياتهم. لكن أخبر يسوع الجميع أنهم لا بد أن يرجعوا عن خطاياهم إلى الله. فمنذ بداية خدمة يسوع، أخبر الجميع أن الاهتداء الأعظم الذي يحتاجونه هو أن يتحولوا عن خطاياهم إلى الله.

إذًا، هل الاهتداء هو مجرد مسألة ممارسة لإرادتنا؟

هل نفعل كل شيء؟

هل كل ما نحتاجه هو أن نتخذ قرارًا؟ إن كان الأمر هكذا، فهل لدينا القدرة على اتخاذ هذا القرار؟ وفقًا للكتاب المقدس، من الواضح أننا يجب أن نتخذ هذا القرار بأنفسنا، وأننا يجب أن نحث أيضًا جميع من نعرفهم على اتخاذه بأنفسهم. إذًن ألا ينبغي أن نقنعهم ونحثهم على اتخاذ هذا القرار؟ ولكي نوضح ما نقصده نقول: ألا ينبغي أن نؤثر عليهم؟ فإن كنا نستطيع بالفعل أن نجعل الناس يتخذون قرارًا سيغير من مصيرهم الأبدي، إذًا ألا ينبغي أن نفعل هذا؟ فإن كان باستطاعتنا التأثير عليهم كي يتركوا خطاياهم ويقبلوا الله ويضعوا ثقتهم فيه، ألا ينبغي إذًا أن نفعل هذا؟

مما يدعو للسخرية، أننا نحن الكارزون أنفسنا كثيرًا ما نتخيل أن التغيير الأعظم الذي يتم في الاهتداء هو نوع من المساعدة الذاتية الدينية. لكن إن قرأنا كتبنا المقدسة، سنعلم أن المسيحية لا تكرز بالخلاص الذاتي.

الله يجري هذا الإيمان المخلِّص فينا

ربما كل ديانة أخرى على هذا الكوكب تكرز بالخلاص الذاتي، لكن المسيحية ليست هكذا. وإليكم المعضلة العظمى بالنسبة للكثيرين: يقول الكتاب المقدس إن هذا التغيير هو تغيير في شخصياتنا وفي قلوبنا. هذا هو التغيير الذي يجب أن يحدث. لكنه يُعلم أيضًا أننا لن نشرع في اتخاذ هذه القرارات الصحيحة بالتغيير إن لم يغير الله قلوبنا أولًا. فقد خُلقنا قادرين على أن نحب الله ونطيعه، كجزء من كوننا مخلوقين على صورته. لكن منذ السقوط، استنزفت إمكانياتنا فيما ليس له فائدة وتشوهت، لكنها لم تبطل، بل فقط انحرفت. ولذلك نحتاج أن يعطينا الله قلوبًا جديدة.

يخبرنا الكتاب المقدس أن هذا هو بالتحديد ما وعد الله بأن يفعله: «وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ» (حزقيال ١١: ١٩). إن عملية زرع القلب هذه هي عمل يخص الله، وهو لا بد أن يجري ويحدث هذا التغيير فينا كي نقبل حقائق الكتاب المقدس الروحية (انظر ١كورنثوس ٢: ١٤). وهذا وفقًا لما قاله يسوع: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». (يوحنا ٦: ٤٤).

أحيانًا يتحدث المؤمنون عن كونهم «مولودين ثانية»، وهذه اللغة نكتسبها من لغة يسوع نفسه، فهي لم تكن حيلة دعائية من مجمع المعمدانيين الجنوبيين في السبعينيات، بل مصدرها هو يسوع مباشرة، في إنجيل يوحنا الأصحاح الثالث. نقرأ في هذا الأصحاح عن قائد ديني يُدعى نيقوديموس جاء إلى يسوع ليتحدث

معه. فقد أراد نيقوديموس أن يعرف ماذا ينبغي أن يفعل ليرى ملكوت الله. لم يقل له يسوع إنه لا بد أن يستمر في الاجتهاد، وفي أن يحيا حياة أخلاقية متدينة، أو يستمر في التعليم، بل قال له إنه في حاجة إلى حياة جديدة تمامًا. ولما سأل نيقوديموس يسوع كيف يمكن أن يحصل أحد على هذه الحياة الجديدة، قال له يسوع إن الله وحده هو من يمكنه أن يعطيها، وهكذا كان على نيقوديموس أن يؤمن بيسوع ويحيا بالحق.

قال يسوع إننا يجب أن نعمل شيئًا وأن نتفاعل، لكنه علَّم أيضًا أننا يمكننا أن نعمل فقط إن كانت أعمال الله تدعم أعمالنا. وفي تعليم يسوع بهذا، كان يلقي بالضوء على العهد القديم. لنتناول على سبيل المثال سفر يوئيل. كان يوئيل نبيًا تنبأ الله من خلاله عن الدينونة العظيمة. إلا أن يوئيل قدم أيضًا كلمات تبعث على الرجاء: «وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو [يخلص]» (يوئيل ٢: ٣٢). ويقتبس بولس هذا العدد في رومية ١٠. وقد كان يوئيل يتنبأ قبل هذا العدد عن الدينونة العتيدة أن تأتي على شعب إسرائيل بسبب عدم إيمانهم. لكن ما الذي يجعل غير المؤمنين أولئك يدعون باسم الرب بهذه الطريقة الخلاصية؟ نجد الإجابة في بقية عدد ٣٢: «كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو. لأَنَّهُ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ تَكُونُ نَجَاةٌ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ. وَبَيْنَ الْبَاقِينَ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ». من هو إذن الذي يدعو باسم الرب؟ إنه ذلك الذي يدعوه الرب!

في ١كورنثوس ١: ١٨-٢٤، نجد مرة أخرى أن دعوة الله هي التي تصنع الفارق الحاسم والمصيري. يقول بولس إن غالبية اليهود والأمم يعتبرون الإنجيل جهالة، لكن «الْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ» يعتبرون الإنجيل «حِكْمَةِ الله» (عدد ٢٤).

منذ ما يزيد عن مئة عام، جماعة من الرجال والنساء الساكنين في كابيتول هيل بالعاصمة واشنطن اجتمعت للصلاة، وكرس الحاضرون أنفسهم لتأسيس الكنيسة التي أنا راعيها الآن. وفي ذلك الاجتماع، دونوا بوضوح ما آمنوا بأنه تعليم

الكتاب المقدس، بما في ذلك ما يؤمنون بأنه يعلمه عن ذلك التغيير الأعظم الذي عرفوه واختبروه في حياتهم، والذي أرادوا أن يروه يجرى في حياة المحيطين بهم. وقد عبَّروا عن معتقدهم هذا بشأن الاهتداء والتغيير في الكلمات المسجَّلة في إقرار إيمان نيو هامبشاير، الفقرة الثامنة:

«نؤمن أن التوبة والإيمان واجبين مقدَّسَيْن، وهما أيضًا نِعمتان غير قابلتان للانفصال عن بعضهما، يُجريهما في نفوسنا روح الله الذي يُجدّد. فمن خلال هذا الروح، وحين نصير مقتنعين داخليًا اقتناعًا تامًا بذنبنا، وبالخطر المحدق بنا، وبعجزنا، وبطريق الخلاص بالمسيح، نرجع إلى الله في ندم صادق، واعتراف، متوسلين الرحمة، وقابلين في الوقت ذاته من كل قلوبنا الرب يسوع المسيح باعتباره نبينا، وكاهننا، وملكنا، ونتكل عليه وحده باعتباره المخلص الوحيد الذي فيه كل الكفاية»[٥].

لاحظ ما يقوله هذا التصريح عن الاهتداء. نحن نرجع إلى الله لأننا صرنا «مقتنعين داخليًا اقتناعًا تامًا بذنبنا، وبالخطر المحدق بنا، وبعجزنا، وبطريق الخلاص بالمسيح». وكيف يحدث ذلك الرجوع؟ إنه «يُجرى في نفوسنا بروح الله الذي يُجدّد». ثم يقتبس التصريح بعد ذلك نصَّيْن كتابيَّيْن: أعمال ١١: ١٨، حيث كان الرسل يتأملون في اهتداء كرنيليوس الأممي: «فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ سَكَتُوا، وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ: إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!» بالإضافة إلى أفسس ٢: ٨ «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ».

يُعَد نص أفسس ٢ نصًا هامًا على نحو خاص عن الاهتداء. فبحسب الكتاب المقدس، تُعد التوبة عطية من الله، والإيمان أيضًا عطية من الله، يُمنحان ليس لأجل أي استحقاق فينا بل لأجل استحقاق المسيح. وإن نال أحد هبتي التوبة والإيمان، فهو لا بد أن يرجع عن خطاياه إلى الله في المسيح.

يقول الكتاب المقدس إن هذا التغيير الأعظم، أي هذا الاهتداء، يتم بشكل طبيعي عن طريق دراسة كلمة الله. تذكَّر ما قاله كاتب مزمور ١٩ العدد ٧:

> **«نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا».**

مرة تلو الأخرى نجد في الكتاب المقدس أن عمليات الاهتداء والتغيير تحدث من خلال الكرازة بكلمة الله والاستماع لها. فقد وعد الله أن الأمر سيكون هكذا:

> **«لأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلآكِلِ، هكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ». (إشعياء ٥٥: ١٠، ١١).**

انتبه جيدًا إلى هذا: فإن الله لن يُقدِم على الوعد بشيء كهذا إن لم يكن مسئولًا مسئولية كاملة عن إنبات ثمار اهتدائنا وثمار استجابتنا له أيضًا. ولهذا نقرأ في سفر الأعمال أنه كنتيجة للمناداة بالإنجيل في أنطاكية: «آمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا مُعَيَّنِينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ». (أعمال ١٣: ٤٨). فلا أحد له الفضل في هذا، سواء كان نحن الذين نهتدي، أو أولئك الذين قدموا لنا رسالة الإنجيل. فإن كان أحد قد عرف الله بفضل كرازتي بكلمة الله، فلا يمكنني أن أذهب وأسجل هذا في قائمة إنجازاتي، لأني أعلم جيدًا أن من يهدي ليس هو الكارز. فإن من يهدي ويغيِّر هو الله نفسه.

نحن مدعوون أن نخبر الناس بأن عليهم أن يرجعوا إلى الله، لكن لا بد أن نفهم أن الله يدعونا أن نتحدث إلى كومة من الجثث! فهكذا يصف الكتاب المقدس حالتنا منذ الولادة: أننا أموات روحيًا، كما رأينا في أفسس ٢. كيف إذًا لمن هم أموات روحيًا أن يرجعوا إلى الله بإيمان؟ يمكنهم هذا فقط إن أعطاهم الله حياة. وكيف يعطيهم الله حياة؟ نجد في العهد القديم والعهد الجديد على حد سواء أن الله

اختار أن يهب حياة للأموات روحيًا من خلال المناداة بكلمته وإعلانها. ونرى هذا بوجه خاص في حزقيال ٣٧، في رؤيا وادي العظام اليابسة. لقد أعطى الله حزقيال رؤيا أمره فيها بأن يذهب ليكرز إلى وادٍ مليء بالجثث. لكن بواسطة الكرازة بكلمة الله، يخرج روح الله ليعطي الحياة. فإن الإيمان المخلِّص والمغيِّر يأتي فقط من خلال «الْخَبَرِ [سماع الرسالة]، وَالْخَبَرُ [يسمع] بِكَلِمَةِ اللهِ» (رومية ١٠: ١٧). فإن الرسالة التي من المسيح وتتحدث عن المسيح هي الوسيلة الوحيدة التي يستخدمها الله لإحداث هذا التغيير الأعظم فينا.

واحد من أروع الأمثلة على هذا في العهد الجديد هو أعمال ١٠، حيث نرى الله يرغب في أن يجتذب قائد المئة الأممي كرنيليوس إلى نفسه. قد تظن أن هذا كان يمكن أن يكون عملًا مباشِرًا يعمله إله الكون ذو السيادة. فإن الله كان يمكنه أن يُغيِّر كرنيليوس في أقل من لمح البصر، لكنه لم يفعل ذلك، فقد قرر أن يعمل كما عمل في كل الكتاب المقدس. ولم يُرِد أن يهدي كرنيليوس إلى الإيمان دون أن يخبره شخص يعرف كلمة الله بالخبر السار. وهكذا رأى كرنيليوس رؤيا من الله، يأمره فيها أن يرسل بعض رجاله إلى مدينة أخرى ليجدوا بطرس. ثم رأى بطرس رؤيا أخرى من الله، يقنعه فيها أنه لا مانع من حديثه إلى أممي عن يسوع. ثم بعد هذا جعل بطرس يرافق الرجال الذين أرسلهم كرنيليوس ليأتوا به إليه.

هنا يمكن أن نقول إن فعل هذا كان مثل اتخاذ الطريق الأطول! ولا أعلم لماذا تصرف الله بهذه الطريقة، لكننا نجد مرارًا وتكرارًا مواقف مشابهة في الكتاب المقدس. حين يعطي الله حياة، فهو يفعل هذا من خلال كلمته، أي من خلال الخبر السار عن يسوع المسيح، وهذا يتم بإخبارنا للمحيطين بنا بالحق المختص بالتغيير الأعظم الذي يمكن أن يحصلوا عليه في المسيح. كان بإمكان الله أن يخلص كرنيليوس مباشرة، لكنه اختار أن يعمل هذا كما اعتاد دائمًا، من خلال كلمته ومن

خلال وكلاء من البشر، وقد تكبد الكثير من العناء ليفعل هذا، مستخدمًا ملائكة ورؤى وأشخاص يسافرون لمسافات بعيدة للمناداة بكلمة الله. وفقًا لتعبير بطرس نفسه لاحقًا حين قال: «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ». (١ بطرس ١: ٢٣).

لطالما أجرى الله الأمر بهذه الطريقة، من نوح، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى أمة إسرائيل، إلى يسوع في دعوته لتلاميذه. كما أوضح يسوع لتلاميذه: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ... لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ». (يوحنا ١٥: ١٦). ونتذكر أيضًا كلمات بطرس في يوم الخمسين حين قال: «لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا». (أعمال ٢: ٣٩).

ولاحقًا في سفر الأعمال، تحدث بولس إلى مجموعة من النساء في مدينة فيلبي، من بينهن كانت ليديا التي كانت تعمل بالتجارة. سمعت ليديا رسالة الإنجيل، لكن كي تجد الخلاص، كان لا بد لها أن تستجيب، وقد كان، لكن كيف حدث هذا؟ يخبرنا الكتاب المقدس «فَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ». (أعمال ١٦: ١٤).

بالتأكيد كان بولس نفسه يعلم عن مبادرة الله في الخلاص، فقد أوقفه الله في الطريق وهو ذاهب لاضطهاد المسيحيين، وأسقطه على الأرض! لقد أخذ الله في محبته المبادرة كي يعلن عن نفسه لبولس.

ويمكننا أن نجد في الكتاب المقدس أمثلة أخرى أكثر من هذه، لكن القصد واضح. برهن الله مرارًا وتكرارًا على صدق ما قاله يوحنا: «في هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا». (١ يوحنا ٤: ١٠).

كلما صلينا كي يُخلِّص الله شخصًا معينًا، و«يحضره لنفسه»، نُظهر إدراكنا لمبادرة الله في الخلاص. ذلك لأننا نعلم أن الله هو من يُخلّص، ولذلك نصلي أن

يسكب الله بمحبته العظيمة روحه، حتى يُكرَز بالإنجيل بأمانة، وحتى يُخلِّص البشر.

وإن كان فهمنا لاهتدائنا ورجوعنا أنه في الأساس شيء نفعله بأنفسنا، وليس شيئًا يجريه الله فينا، حينئذ نكون قد أسأنا الفهم. فإن الاهتداء بالتأكيد يتضمن أن نفعل شيئًا، إذ لا بد أن نتعهد بصدق، ولا بد أن نتخذ قرارًا واعيًا. ولكن مع هذا، فإن الاهتداء، أقصد الاهتداء الحقيقي، يفوق ذلك. الكتاب المقدس واضح في تعليمه بأننا لسنا جميعًا مسافرين غايتهم هي الله، لكن البعض قد وجدوه بالفعل، وآخرون لا زالوا يبحثون عنه، لكنه في المقابل يصورنا بأننا في حاجة إلى أن تُستبدل قلوبُنا، وتتغير أذهاننا، وتُحيا أرواحنا. ويقول أيضًا إننا لا يمكننا أن نصنع أيًا من هذا بأنفسنا، لأن التغيير الذي يحتاجه كل إنسان، بغض النظر عما يبدو عليه من الخارج، هو تغيير عميق جدًا، قريب للغاية من جذورنا، حتى أن الله وحده هو من يمكنه إحداثه. نحن نحتاج إلى الله كي يهدينا.

أخشى أن أحد نتائج سوء الفهم لتعليم الكتاب المقدس عن الاهتداء ربما هي امتلاء الكنائس الإنجيلية بمن قطعوا على أنفسهم عهودًا صادقة مخلصة في مرحلة ما من حياتهم، لكنهم لم يختبروا ذلك التغيير الجذري الذي يُسمِّيه الكتاب المقدس الاهتداء. وبحسب دراسة أجراها مجلس إدارة خدمة مدرسة الأحد (للبالغين) للمعمدانيين الجنوبيين، وُجد أن معدل الطلاق بين المعمدانيين الجنوبيين مساوٍ للمتوسط القومي للطلاق في أمريكا أو أعلى منه بقليل. وتفترض دراسة قومية أخرى أحدث من هذه أن ولايات «الحزام الإنجيلي» (حيث تنتشر على نطاق واسع البروتستانتية الإنجيلية المحافظة) تعد الأعلى في الدولة من جهة معدلات الطلاق. لماذا؟ ومن أين تأتي هذه «الشهادة المعكوسة»؟ أيمكن أن تكون هذه – جزئيًا – نتيجة لأن الرعاة في كنائسنا لم يعظوا بالحق عن الاهتداء، ربما بدافع اهتمامهم الأكبر بأن تزداد كنائسهم في العدد؟ أو ربما أنهم فقط لم يدركوا أن

تغييرًا حقيقيًا وجذريًا هو أمر لازم. وهكذا صارت كنائسنا تشبه الجمعيات الخيرية ومنظمات إيواء وحماية الأيائل والظباء أكثر من كونها تشبه كنائس تحوي أناسًا متجددين تجديدًا حقيقيًا. والسبب في مثل هذه الشهادة السلبية بين تابعي المسيح الذائعي الصيت لا شك في أن سببه – على الأقل جزئيًا – هو العظات غير الكتابية التي يلقيها الكثير من الرعاة حول مفهوم الاهتداء. كما يتحمل شعب الكنيسة جزءًا من اللوم لسماحهم لهم بفعل هذا.

وهكذا، ووفقًا للكتاب المقدس، تعد توبتنا وإيماننا عطيتين من الله لنا، كما أن اهتداءنا، وتغييرنا الأعظم، يجري فقط بنعمة الله.

الخاتمـة

الحاجة للتغيير، وإمكانية هذا التغيير كلاهما ضروري وممكن. هذا التغيير الذي نحتاجه هو تغيير من حياة الخطية المحمَّلة بالذنب إلى حياة من الثقة بالمسيح، حياة مغفورة خطاياها. ولكي نفعل هذا لا بد أن نتوب عن خطايانا ونضع ثقتنا في المسيح، وهذا يحدث فقط بنعمة الله من خلال الوعظ بكلمته.

على مر العصور، ظل الرجال والنساء يختبرون هذا التغيير الأعظم نفسه. فقد وقع هذا التغيير لرجل أفريقي يدعى أغسطينوس حين سمع صوت طفل في الساحة المجاورة يقول: «خذ واقرأ، خذ واقرأ». وصادف أن نسخة من العهد الجديد كانت موجودة بجوار أغسطينوس، الذي كان يحيا حينها حياة الفجور الشديد، حين سمع هذه الكلمات. وحين نظر بداخل هذا الكتاب، وقعت عيناه على مقطع من رسالة رومية:

> **«هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا. قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ. لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ،**

وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ». **(رومية ١٣: ١١-١٤)**.

وبمجرد أن قرأ هذه الكلمات، نهض أغسطينوس وصار إنسانًا آخر.

كان مارتن لوثر راهبًا، وفي أثناء دراسته لسفر المزامير ورسالتَي بولس الرسول إلى أهل رومية وأهل غلاطية، بدأ يلاحظ أن البر الذي يطلبه الله منا ليس برنا الخاص بل بر الله، وأن هذا البر عطية الله لكل من يؤمنون بالمسيح. وحين أدرك لوثر هذا الأمر، قال: «كان الأمر وكأن أبواب الفردوس نفسها انفتحت على مصراعيها».

وفي مدينة بيدفورد، سَمِعَ شابٌّ سمكري متجول (يُصلح القدور) يُدعى جون بنيان مصادفة سيدتين عجوزين كانتا تغسلان الملابس وتتحدثان عن الله وكأنهما تعرفانه معرفة وثيقة. ولم يستطع بنيان أن ينسى حديثهما، واستخدم الله هذا ليترك انطباعًا عميقًا في قلبه، فسأل بنيان نفسه إن كان قد فاته اختبار شيء ما، وبدأ في التساؤل: هل يمكن حقًا أن نعرف الله؟ وهكذا استخدم الله هذه الأحاديث العارضة التي سمعها بنيان كي يجذبه إلى الإيمان بالمسيح. ومن الجدير بالذكر أن بنيان هو ذلك الكاتب الذي كتب لاحقًا كتاب سياحة المسيحي.

أما بالنسبة للشاب تشارلز سبرجن، فقد وقع له هذا التغيير من خلال عاصفة ثلجية، قادته إلى الاستماع إلى شيخ بسيط وشماس ميثودي، كان يعظ بديلًا عن راعي الكنيسة التي دخلها سبرجن. وكما وصف سبرجن لاحقًا، كانت الكنيسة تكاد تكون خالية، وهو يجلس في أحد المقاعد الخلفية، تقريبًا وحده، وقف الشماس الشيخ هناك، ونظر إلى سبرجن مباشرة، وفي جمل متقطعة ومرتبكة ظل يردد عبارة واحدة فحسب مرة تلو الأخرى: «التفت إلى المسيح! هذا هو كل ما عليك فعله، فقط التفت إلى المسيح!» وظل يكرر هذا: «التفت إلى المسيح! التفت إلى المسيح!» وقد استخدم الله هذا كي يفتح عيني سبرجن على الحق.

أما عن سي. إس. لويس، فقد كانت الفكرة التي قرأها كثيرًا عن الإله الفادي في علم الأساطير هي التي بدأت توحي إليه بأن ربما هناك شيء ما يحدث.

حدث هذا التغيير لصديق لي أيضًا لدى سماعه لكارز كان يعظ في ساحة مكشوفة بجامعة ميريلاند. وكان يستمع إليه في كل مرة يأتي فيها، عامًا تلو الآخر، وهو يكرز بالإنجيل.

أما بالنسبة لي، فقد حدث هذا التغيير من خلال وصولي للإيمان بأن يسوع المسيح قد قام حقًا بالجسد من بين الأموات.

كما أن هذا التغيير قد حدث للكثيرين في الكنيسة التي أخدم بها من خلال تعليم أبويهم لهم بأمانة أو تعليم من معلم مدرسة الأحد.

لقد استخدم الله طرقًا عديدة لتوصيل كلمته، لكن بغض النظر عن الكيفية، هو يفعل هذا لتحقيق هذه الغاية، أن يهبنا عطيتَي التوبة والإيمان. وهو يفعل هذا حتى نتحول بعيدًا عن خطايانا ونتوجه إليه، فنختبر بالتالي هذا الاهتداء الأعظم، أي هذا التغيير الأعظم الذي نحن جميعنا بحاجة ماسة إليه.

كفانا من فكرة أننا كبشر غير قابلين للتغيير. فإن الله، عبر العصور، لم يتوقف عن تغيير أناس. لا أعلم إن كان الشخص الذي أشرت إليه في بداية هذا الفصل قد تغير حقًا أم لا. لكني أعلم أن الكثيرين بنعمة الله قد نالوا هذا التغيير.

ومما يدعو إلى السخرية أنه بدلًا من أن يصبح هذا التغيير مستحيلًا (كما يظن كثير من الفلاسفة العلمانيين الساخرين)، صار على ما يبدو سمة هذا العصر بشكل ما. ففي سعينا الحثيث نحو الحفاظ على خياراتنا مفتوحة، صارت الذات المتلونة، والدائمة التغير، وغير المحددة المعالم تبدو هي وثن ثقافتنا الشعبية. كل ما نفعله هو التغيير؛ فصار عالمنا الحاضر عالمًا من التغير المتواصل. عبَّر توزر عن هذا قائلًا: «إن الطبيعة البشرية، كما نعرفها، هي في وضع التشكيل. فهي تتغير إلى صورة

الشيء الذي تحبه»[٦]. المشكلة الوحيدة هي أن غالبية التغييرات ليست للأفضل.

تشبه حياتنا تلك الصور الضوئية التي تتضح تفاصيلها تدريجيًا وببطء، لكنها بالتأكيد تُظهر صورة الإله الذي نعبده، فنرى أمام أعيننا وفي أنفسنا صورة إلهنا، صورة الشخص أو الشيء الذي نعبده، واضحة فيما تُنسخ صفاته في حياتنا.

البعض منا قد سمعوا دعوة الله، وشعروا بحاجتهم الماسة إلى التغيير، أي إلى ما يسميه الكتاب المقدس التوبة والرجوع إلى الله. وبنعمة الله، اختبر البعض منا ذلك. إن لم تكن قد اختبرتَ هذا، فأنت في حاجة إلى تغيير اتجاهك بعيدًا عن خطاياك متجهًا إلى الله.

قد يبدو التغيير الكتابي أمرًا يفوق إمكانياتك، لكن الخبر السار هو أنه لا يفوق إمكانيات الله. فقط أنت في حاجة إلى الانتباه إلى كلمات يسوع: «تُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ».

مراجع أخرى

- للدراسة في مجموعات:

(التغيير الحقيقي: الاهتداء) Real Change: Conversion.

- دراسة استقرائية مقسمة على سبعة أسابيع من خلال "9Marks".

- للتوزيع:

للكاتب مايكل ماك كينلي، ?Am I Really a Christian

العلامة الخامسة

فهم كتابي للكرازة

ما هي الكرازة؟

ليست فرض معتقدات على الآخرين

ليست شهادة عن اختبار شخصي

ليست عملًا اجتماعيًا أو مشاركة سياسية

ليست دفاعيات

ليست ثمار الكرازة

من ينبغي أن يكرز؟

لماذا ينبغي أن نكرز؟

كيف ينبغي أن نكرز؟

١. أخْبِر الناس بصدق أنهم إن تابوا وآمنوا، سيخلصون؛ ومع ذلك سيكون هذا مكلفًا.

٢. أخبر الناس بإلحاح بأنهم إن تابوا وآمنوا، سيخلصون؛ لكن لا بد أن يتخذوا قرارهم الآن.

٣. أخبر الناس بفرح أنهم إن تابوا وآمنوا بالبشارة، سيخلصون. وبغض النظر عن صعوبة الأمر، لكنه يستحق العناء!

٤. استخدم الكتاب المقدس.

٥. كن مدركًا أن حياة المؤمنين أفرادًا وحياة الكنيسة جماعة هما جزء محوري في الكرازة

٦. تذكَّر أن تصلي

٧. ابنِ علاقات مع غير المؤمنين

٨. تعاون مع مؤمنين آخرين لتوصيل الإنجيل إلى من يعيشون في أماكن لا يوجد بها مؤمنون.

الخـاتمـة

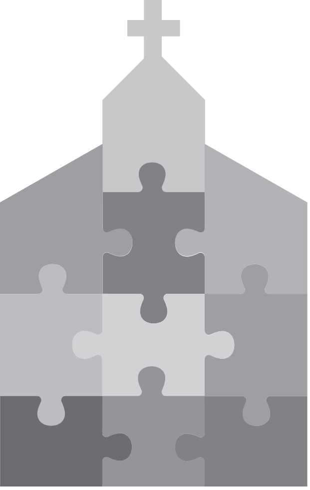

العلامة الخامسة

فهم كتابي للكرازة

ما الذي يتبادر إلى ذهنك حين تسمع كلمة مُبَشِّر (أو كارز)؟ هل تفكر في بيلي جراهام؟ أم في الشخصية التي كانت تُدعى «مبشر» في كتاب سياحة المسيحي؟ ربما تفكر في مُبَشِّر يظهر على شاشة التلفاز وسمعته مثيرة للريبة؟ أو في علبة كرتونية تمر عبر الصفوف لجمع العطايا؟ أو في رسالة تأتي في مغلف رسمي لجمع التبرعات؟

حين تسمع كلمة مبشِّر، ما هو أول شيء يتبادر إلى ذهنك: مُحتال أم قديس؟

تعد الكرازة اليوم – دون شك – موضوعًا متشابكًا ومعقدًا؛ ويرجع ذلك لشخصية الكارز الخيالية المخزية التي ابتدعها سينكلير لويس في روايته Elmer Gantry «إلمر جانتري»، التي تُعد صورة باهتة إذا ما قورنت بالواقع الصادم للفضائح التي شملت مؤخرًا كارزين ذائعي الصيت.

وحين نتجاوز شخصيات الكارزين ونفكر في عملية الكرازة نفسها، نتساءل إن كانت الكرازة المسيحية كما تُمارَس اليوم تختلف في شيء عن تجاوزات الحروب الصليبية التي استمرت من القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر.

وحين يُذكر موضوع الكرازة، حتى بين المؤمنين، تبرز الكثير من الأسئلة، وتتنوع المشاعر ما بين الشعور بالذنب والارتباك الحقيقي:

«ألا ينبغي ترك مهمة الكرازة للمحترفين؟ ألا ينبغي أن يضطلع بها من يعرفون

بالفعل كيف يقومون بها؟ أعني أنها كثيرًا ما تُجرى على نحو سيء للغاية، ولا أريد أن أضيف إليها سوءًا! فأنا لا أعرف القدر الكافي الذي يجعلني أعمل شيئًا».

آخرون يقولون: «في الحقيقة، لست متأكدًا مما تعنيه الكرازة، أظن أنها تعني أننا من المفترض أن نقنع آخرين بأنهم على خطإ وأننا نحن على صواب. هل هذه هي الكرازة؟».

ويتساءل المتشككون قائلين: «أليست هي في الحقيقة مجرد خطوة بدافع من الغرور؟ أي أن شعورًا عميقًا بالأهمية الذاتية يملؤك حتى أنك تحاول أن تجعل شخصًا آخر يقبل رسالتك؟ ألا يعد أمرًا غير مشروع في هذه الأزمنة التي تتميز بالتعددية أن تحاول جعل الآخرين يغيِّرون معتقداتهم ويقبلون معتقداتك؟ أقصد أن الإيمان الديني هو أمر شخصي بحت».

كثيرًا ما يترك المؤمنون مهمة الكرازة «للمحترفين» بدافع الشعور بعدم الأهلية، أو بدافع عدم الاكتراث، أو الجهل، أو الخوف، أو مجرد إحساسهم بأن القيام بهذا ليس ملائمًا لهم. ربما هم ليسوا على يقين مما تستلزمه الكرازة وكيف ينبغي أن تتم. هذه حالة مأساوية. وأنا على قناعة تامة بأن أحد العلامات المميِّزة للكنيسة الصحيحة هي الفهم الكتابي للكرازة بالإضافة إلى ممارستها.

لنسترجع ما ذكرناه فيما سبق بأن الفصول الثالث، والرابع، والخامس من هذا الكتاب ترتبط معًا ارتباطًا وثيقًا بموضوع الخلاص، ولكن كل فصل يرى الموضوع من زاوية مختلفة قليلًا. تناولنا في الفصل الرابع لحظة الخلاص نفسها، أي الاهتداء، والتغيير الأعظم. وتناولنا في الفصل الثالث محتوى رسالة الإنجيل نفسها. ولكننا نود في هذا الفصل أن نتناول كيف ينبغي علينا جميعًا أن نخبر الآخرين بتلك الرسالة العظيمة التي غيَّرتنا. كيف لنا أن «نبشِّر (نكرز) بالإنجيل»؟ ما هي الكرازة، ولِمَ ينبغي أن نقوم بها؟

أود أن نتناول معًا أربعة أسئلة بسيطة ستساعدنا على فهم الكرازة وفهم كيفية ممارستها:

١. ما هي الكرازة؟
٢. من ينبغي أن يكرز؟
٣. لماذا ينبغي أن نكرز؟
٤. كيف ينبغي أن نكرز؟

في حقيقة الأمر، لا تختلف هذه الأسئلة اختلافًا تامًا عن بعضها، فإن إجابتنا عن كل سؤال ستتداخل مع الأسئلة الأخرى وستؤثر على بقية الإجابات. إلا أن كل سؤال سيمدنا بوجهة نظر مميزة يمكننا من خلالها أن نفهم موضوع الكرازة، ذلك الموضوع الكتابي العظيم. بالتأكيد لن نتمكن من الإجابة عن جميع الأسئلة التي قد تُطرَح بشأن الكرازة، لكن أرجو أننا، بعد تناولنا لهذه الأسئلة الأربعة، سنتمكن على الأقل من أن نكتسب المزيد من الفهم لدعوتنا إلى الكرازة، ونكون أكثر طاعة لها، وتكون ثقافتنا الكنسية أكثر صحة بشأن هذه الدعوة.

وقبل أن نتابع حديثنا، اسمحوا لي أن أوصي بقراءة ستة كتب أخرى عن هذا الموضوع الهام:

يعتبر كتاب ويل ميتزجر بعنوان: "Tell the Truth" (قل الحق)، في رأيي هو أفضل كتاب أعرفه عن الكرازة[١]. فهو يقدم نصائح عملية، ويقدم بالأخص فهمًا لاهوتيًا جيدًا لرسالة الإنجيل ولعملية الكرازة.

كما يعد كتابا مارك ستايلز بعنوان: "Speaking of Jesus" (الحديث عن يسوع)، و"Marks of a Messenger" (علامات الرسول)، كتابين رائعين مليئين بقصص جيدة عن الكيفية التي بها يمكنك حقًا، وبصورة عملية، التحدث إلى أصدقائك عن يسوع[٢]. ويقدم ستايلز أمثلة مُشوِّقة وتعليمية عن كيفية تحويل مجرى الحديث إلى

رسالة الإنجيل، بالإضافة إلى بعض القصص التشجيعية عن اهتداءات حدثت في الواقع.

أما كتاب إيان موراي بعنوان: "Revival and Revivalism" (النهضة والإحياء)، فهو كتاب أعمق وأصعب من الكتب الثلاثة الأولى، لكنه يستحق عناء قراءته[٣]. فإن موراي في هذا المؤلَّف التاريخي يتناول التغييرات التي لحقت بممارسة الكرازة في أمريكا من عام ١٧٥٠ وحتى عام ١٨٥٠، وكيف أن هذه التغييرات مستمرة في التأثير فينا اليوم. إن كنت أكثر ميلًا للتفكير المتعمق، وتحب التاريخ أو القصص البناءة، فهذا سيكون كتابًا رائعًا لك.

ومن أجل فهم أفضل للأساسيات الكتابية واللاهوتية للكرازة، أنصحك بقراءة كتاب جي. آي. باكر: "Evangelism and the Sovereignty of God" (الكرازة وسيادة الله)[٤]. هذا الكتاب جيد مع كونه موجزًا! فهو يحتوي على أربعة فصول فقط، وعدد صفحات أقل من مئة، إلا أن الكل قد أجمعوا على كونه مفيدًا في الإجابة على أسئلة أساسية وجوهرية تخص تعريف الكرازة الكتابية.

وأخيرًا، إن جاز لي أن أتجرأ، فقد كتبت كتابًا عن الكرازة بعنوان: "The gospel and Personal Evangelism (الإنجيل والكرازة الفردية)[٥]. يناقش الكتاب محتوى هذا الفصل بشيء من التفصيل. وقد كتبته ليكون شيئًا يمكنك أن تضعه بين يدي طالب جامعي حديث الإيمان. فالمقصود منه أن يكون مقدمة عن الكرازة.

يكفينا حديثًا عن الكتب، ولنبدأ الآن في الفصل الذي نحن بصدده

ما هي الكرازة؟

لنبدأ بسؤال بسيط: ما هي الكرازة؟

أحيانًا نقدم رسالة الإنجيل بصورة خاطئة لأننا نسيء فهم طبيعة الكرازة. البعض يخطئون إذ يعتبرون بعض الأفعال كرازة وهي ليست كذلك. دعوني

أذكر منها خمسة أفعال:

ليست فرض معتقدات على الآخرين

ربما يكون الاعتراض الأكثر شيوعًا على الكرازة في هذه الأيام هو: «أليس من الخطإ أن تفرض معتقداتك على الآخرين؟» يظن البعض أن الكرازة هي أن تفرض شيئًا على الآخرين. ويمكنني أن أفهم هذا الخلط من الطريقة التي كثيرًا ما تتم بها الكرازة. لكن حين تفهم ما يصفه الكتاب المقدس بأنه كرازة، ستفهم أنها حقًا ليست فرض معتقداتك على الآخرين.

أولًا، لا بد أن تفهم أن الأمور التي تؤمن بها كمسيحي هي حقائق، وليست مجرد معتقدات أو آراء.

ثانيًا، هذه الحقائق ليست ملكك، بمعنى أنها لا تتعلق بك أنت، أو بمنظورك، أو باختبارك الشخصي، أي أنك لم تختلقها أو تنشئها بنفسك. حين تكرز، فأنت تقدم حق الله.

أخيرًا، في الكرازة الكتابية، نحن لا نفرض أي شيء، ولا نستطيع ذلك. وفقًا للكتاب المقدس، الكرازة ببساطة هي المناداة بالخبر السار. وهي لا تتضمن التأكد من استجابة الشخص الآخر لها بصورة صحيحة. أتمنى لو أننا نستطيع أن نجعل الناس يستجيبون للإنجيل، لكننا لا نستطيع هذا. وبحسب الكتاب المقدس، تأتي ثمار الكرازة من الله، وليس من تقنياتنا الماهرة أو شغفنا أو حماسنا الشخصي لما نفعله. كما كتب بولس في رسالته لأهل كورنثوس:

> **«فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا، وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى، لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي. إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي» (١ كورنثوس ٣: ٥-٧؛ وانظر ٢ كورنثوس ٣: ٥-٦).**

هذه نقطة هامة لا بد أن نستوعبها جيدًا، وبخاصة في عالم شديد العداء تجاه الكرازة. ذات مرة في كامبريدج كنت أتحدث مع صديق لبناني مسلم عن صديقنا الآخر المسلِم العلماني المعتدل. وأراد صديقي الذي كنت أتحدث معه أن يعتنق ذلك الرجل نمط حياة إسلامي أكثر التزامًا وأمانة، أما أنا فأردته أن يصير مسيحيًا. وهكذا، وعلى نحو عجيب، كان هناك شيء مشترك بيني وبين صديقي، فقد كان كلانا مهتمًا بأمر صديقنا المشترك، مع أن كلًا منا كان لديه حل مختلف لمشكلته؛ فقد كنا نشفق عليه من صعوبة الحياة في مجتمع بريطاني دنيوي. وفي أثناء الحديث، أبدى صديقي ملاحظة عن فساد تلك الدولة المسيحية، فأجبته بأن بريطانيا العظمى ليست دولة مسيحية، وأنه في حقيقة الأمر لا يوجد ما يُسمَّى بدولة مسيحية. وهنا قال صديقي، مغتنمًا الفرصة بسرعة، ومؤكدًا على الآتي: «تلك هي مشكلة المسيحية مقارنة بالإسلام، فهي لا تقدم حلولًا وإرشادات لجميع تعقيدات الحياة الواقعية، إذ ليس لها نمط اجتماعي سياسي شامل تقدمه للناس لأجل القضايا الحقيقية والواقعية التي تواجههم.

فأجبته بأن ذلك يرجع إلى الصورة الواقعية التي ترسمها المسيحية لحال البشر. وحين سألني ماذا أقصد، أجبته، بصراحة نوعًا ما، بأن الإسلام سطحي للغاية في ظنه أن مشكلة البشر ما هي إلا مسألة سلوك. فبحسب الإسلام، تكمن المشكلة في الإرادة فحسب. ثم أضفت، أما المسيحية، فتُنادي بأن هناك مشكلة أعمق من ذلك بكثير، ويعد هذا فهمًا أدق لحالة الإنسان. فالمسيحية تعرِّف فساد الإنسان وشَرَّه ليس بأنه مجرد إجمالي الأفعال الشريرة، بل بأنه تعبير عن قلب فاسد، قلب في حالة تمرد على الله. تصفُ المسيحية مشكلتنا بأنها مسألة تخص الشخصية، أي تتعلق بالطبيعة البشرية. ولهذا ليس لديها برنامج تعليمي سياسي، لأن مشكلة البشر الحقيقية لا يمكن التعامل معها على الإطلاق بالسلطة السياسية.

ولكي أوضح قصدي، قلت لصديقي: «يمكنني أن أضع سيفًا على عنق شخص ما، فأجعله على الأقل مسلمًا صالحًا بصورة كافية».

فاتفق صديقي معي على صحة هذا.

فتابعتُ: «لكن لا يمكنني أن أضعَ سيفًا على عنق شخص لأجعله مسيحيًا. أن تصير مسيحيًا لا يتعلق بأن تفعل هذا ولا تفعل ذاك، ولا يتعلق كذلك بالالتزام بهذا القانون وعدم فعل ذلك الشيء. أن تصير مسيحيًا هو أن يُغيِّر الله حياتك. فإن الكتاب المقدس يعرض المشكلة البشرية على أنها شيء لا يمكن حله البتة بالقوة القسرية أو بفرض من بشر. كل ما يمكنني فعله هو أن أقدم لك البشارة بكل دقة، وأن أحيا حياة المحبة نحوك، وأن أصلي كي يبكتك الله على خطاياك. يمكنني أن أصلي لله كي يُظهر لك حاجتك لمخلص، ويعطيك عطيتَي التوبة والإيمان، لكن لا يمكنني أن أجعلك مسيحيًا».

الكرازة المسيحية بطبيعتها لا تنطوي على أي قسر أو قهر، بل فقط إعلان ومحبة. فعلينا أن نقدم الإنجيل مجانًا للجميع، ولا يمكننا التأثير على أحد لقبوله فعليًا. إن الكرازة الكتابية الحقيقية لم تكن قط فرض معتقدٍ على آخرين.

ليست شهادة عن اختبار شخصي

البعض يظنون أن الكرازة هي شهادة عن اختبار شخصي. بالطبع قد يشمل الخبر السار شهادة عما فعله الله في حياتنا، لكنها أيضًا قد لا تشمل هذه الشهادة. فإنك في إخبارك الآخرين كم يعني يسوع لك، ربما يفوتك تمامًا أن تخبرهم برسالة الإنجيل. هل شرحت ما فعله المسيح بموته على الصليب؟ من الجيد أن تشارك باختبارك الشخصي عما فعله الله في حياتك، لكن في أثناء هذه المشاركة قد تغفل بالفعل أن توضح ما يطالب به المسيح الآخرين.

يُعد الاختبار الشخصي بالتأكيد أمرًا شائعًا للغاية في عصر ما بعد الحداثة الذي نعيش فيه، الذي شعاره: «هذا جيد بالنسبة لك ويخصك أنت». فمن قد يعترض على اعتقادك بأنك نلت شيئًا حسنًا من المسيح؟ لكن انتظر لترى ما يحدث حين

تحاول تحويل مجرى الحديث عما فعله يسوع لأجلك إلى حقائق حياة، وموت، وقيامة المسيح، وكيف أن هذا كله ينطبق على صديقك غير المؤمن. وهنا ستكتشف أن الاختبار الشخصي ليس بالضرورة كرازة.

ليست عملًا اجتماعيًا أو مشاركة سياسية

البعض يخلطون بين العمل الاجتماعي أو المشاركة السياسية والكرازة. حين تتحول أعيننا عن الله لنركز على البشر، فلن يكون بالأمر المفاجئ حينها أن تحل العِلل الاجتماعية محل الخطية في قائمة اهتماماتنا. فإن اليوم، تقوم المشكلات الأفقية – أي المشكلات بين البشر – بالتغطية على المشكلة الرأسية الرئيسية بيننا وبين الله. ففي أحيان كثيرة جدًا، ما يُقبَل بأنه كرازة يمكن ألا يكون سوى بعض الحملات لتعزيز الفضائل العامة، أو برامج خيرية أو محاولة لإجراء تغييرات اجتماعية أخرى. لكن كما قال دونالد ماكجافران، وهو مرسل شهير إلى الهند في منتصف القرن العشرين:

> **«ليست الكرازة هي المناداة بروعة وجاذبية عالم خالٍ من الكحوليات. وليست هي إقناع الناس بالتصويت لصالح حظرها. كما أن الكرازة ليست هي المناداة بتوزيع الثروة وإقناع الناس لاتخاذ موقف سياسي حيال تحقيق هذا»**[٦].

إن حظر الكحوليات وتوزيع الثروة ربما ليسا اليوم أولوية لدى الجميع، لكن الغرض الذي أهدف إليه واحد. الكرازة ليست إعلان خطة الله السياسية للدول، وهي ليست توظيف أفراد للكنيسة. الكرازة هي إعلان الإنجيل للأفراد من الرجال والنساء. فإن المجتمعات تتغير حين يجمع الرب، من خلال هذا الإنجيل، أفرادًا من رجال ونساء معًا في الكنائس، ليعلن شخصيته وصفاته من خلال تفاعلات من قد خلَّصهم.

ليست دفاعيات

آخرون قد يخلطون بين الدفاعيات والكرازة. فإن مصطلح «دفاعيات» يشير إلى عملية الإجابة عن أسئلة بعض الناس واعتراضاتهم المحتملة بشأن معتقداتنا المسيحية. وكما هو الحال من جهة المشاركة بالاختبار الشخصي، فإن مثل هذه العملية الخاصة بإجابة الأسئلة والدفاع عن المعتقد قد تكون في كثير من الأحيان جزءًا من أحاديثنا مع الآخرين عن المسيح. وقد تتضمن الكرازة هذا الجزء، لكنها ليست هي الكرازة. ذلك لأن الدفاع عن ميلاد المسيح العذراوي أو الصحة التاريخية للقيامة هو أمر هام للغاية، لكنه ليس كرازة. فإن الدفاعيات هي الدفاع عن مجموعة العقائد المسيحية بالإجابة عن الأسئلة التي تدور بذهن الناس عن المسيحية، وهي الرد على الخطة التي يضعها آخرون. لكن الكرازة في المقابل هي اتباع خطة المسيح، وهي العمل الإيجابي الخاص بإعلان البشارة عن يسوع المسيح وطريق الخلاص بواسطته.

ليست ثمار الكرازة

أخيرًا، واحدة من أكثر الأخطاء شيوعًا وخطورة هي الخلط بين ثمار الكرازة والكرازة نفسها. قد يكون هذا أكثر المفاهيم الخاطئة مكرًا، فلا ينبغي البتة الخلط بين الكرازة وثمارها. فإن جمعت هذا المفهوم الخاطئ - أي الاعتقاد بكون الكرازة هي ثمار الكرازة - مع فهم يخالف ما ذكرناه في الفصول السابقة عن الإنجيل والاهتداء، من الممكن جدًا أن ينتهي بك الأمر إلى الاعتقاد بأن الكرازة ليست فحسب رؤية الآخرين يهتدون ويرجعون إلى الله، بل أيضًا أن هداية الآخرين وتغييرهم يقعان ضمن حدود سلطتك وقوتك. هذا النوع من التفكير قد يقودك إلى أن تصير شخصًا متلاعبًا ومناورًا.

وفقًا للكتاب المقدس، لا يوجد تعريف للكرازة بمفردات النتائج أو المنهجيات، بل فقط بمفردات الأمانة تجاه الرسالة التي يُكرَز بها. فإننا نقرأ في سفر الأعمال

عن مرات كثيرة حيث كرز بولس بالإنجيل واستجاب القليلون أو لم يستجب أحد على الإطلاق. في الاجتماع الكبير الذي انعقد بمدينة لوزان في عام ١٩٧٤م، قال جون ستوت: «أن تكرز»... لا يعني أن تربح مهتدين... بل فقط أن تعلن البشارة، بغض النظر عن الثمار»(٧). وقد تم تعريف الكرازة في ذلك الاجتماع كما يلي:

> **«أن تكرز هو أن تنشر البشارة التي تعلن أن يسوع المسيح مات عن خطايانا وقام من بين الأموات بحسب الكتب، وأنه الآن بصفته السيِّد صاحب المُلك يمنح جميع من يتوبون ويؤمنون غفران الخطايا وهبة الروح القدس المحرِّرة»**(٨).

لننظر أيضًا إلى نص ٢ كورنثوس ٢: ١٥-١٦ «لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ للهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ». بولس هنا لا يقول إنه كرز برسالتين مختلفين، أو إنه كان بإمكانه النظر إلى جمع من الناس ويقول: «حسنًا، يمكنني أن أعرف من منكم هم المختارون، ولأولئك سأكرز برسالة معينة. والآن، دعوني أكرز برسالة أخرى لمن لن يصيروا مؤمنين». لكن بولس قد كرز برسالة الإنجيل ذاتها للجميع، ومع ذلك، ففي كرازته بالطريقة نفسها للجميع، كان للبعض رائحة حياة ذكية ولآخرين رائحة موت. فإن الخدمة نفسها كان لها تأثيران مختلفان.

ويسوع أيضًا، قد علَّم في مثل الزارع (متى ١٣: ١-٢٣) عن أنواع الأراضي. ففي هذا المَثَل، خرج الزارع ليزرع، وألقى بالبذرة ذاتها على أنواع مختلفة عديدة من الأراضي. لم يقل المثل أي شيء عن منهجيات وأساليب استخدمها الزارع، ولذلك نفترض أنه استخدم الأسلوب ذاته في كل مرة. وهكذا فإن رسالة المثل هي أن البعض سيستجيبون لرسالة الإنجيل والبعض لن يستجيبوا، على الرغم من أن الجميع يسمعون الرسالة ذاتها. فلا يمكننا بالتالي أن نحكم حكمًا قاطعًا على صحة

ما نقوم به في الكرازة من خلال الاستجابة الفورية التي نشهدها. ومن الأهمية بمكان أن نستوعب هذا الحق، لأن الإخفاق في استيعابه من شأنه إلهاء الكنائس حسنة النية في جهود ومساعي ذرائعية (براجماتية) توجِّهها النتائج، وأيضًا من شأنه تحويل الرعاة إلى مجموعة من البشر العُصابيين المتلاعبين بالناس. لا بد أن نعلم كمؤمنين أننا وإن كنا أمناء في الإخبار برسالة الإنجيل، فإن الناس مع ذلك قد لا يستجيبون. وهكذا فإن عدم قبولهم للإنجيل لا يعني بالضرورة أننا كنا مخطئين في كيفية تقديمنا للإنجيل.

إن إساءة فهم هذا الجزء يمكنه أن يصيب المؤمنين الأفراد بالشلل نتيجة شعور عميق بالفشل، ومن المثير للسخرية أيضًا، أنه قد يؤدي إلى النفور من الكرازة نفسها. تخيل الشعور بالذنب الذي يختبره بعض المؤمنين لأنهم قدموا رسالة الإنجيل لمدة ثلاثين عامًا لشخص معين ولم يُقبل إلى معرفة المسيح. فقد يشعرون أن عدم استجابة هذا الشخص لا بد أن تكون عائدة إلى خطئهم هم بطريقة ما. لكن التعليم الكتابي يقول إن الاهتداء لا يتم نتيجة لبراعتنا في الكرازة، تمامًا كما أن مقاومة رسالة الإنجيل ليست انعكاسًا لإخفاقنا في الكرازة. فإن الكرازة ليست في الأساس شأنًا يتعلق بمنهجياتنا، بل بأمانتنا في المناداة بالرسالة.

البعض قد صاروا مؤمنين بالفعل من خلال عرض لرسالة الإنجيل ربما كان بطريقة سيئة للغاية. فربما كان الشخص الذي قدم الرسالة خائفًا، أو متلعثمًا، أو كثير النسيان، أو عنيفًا، أو متسلطًا، أو حتى بغيضًا. لكن أينما وُجد الحق وسط كل الضلال، فإن روح الله القدوس يمكنه أن يأتي بالضال إلى التوبة والإيمان.

علينا طبعًا نحن الكارزين أن نجتهد لتقديم رسالة الإنجيل بأفضل صورة ممكنة، فإن تلك هي مسئوليتنا. لكننا نتهلل بحقيقة أن إلهنا إله عظيم؛ وهو يمكنه استخدام أخطائنا، إذ في نعمته يتغاضى عنها ويعمل كل شيء لأجل مجده.

وقد صاغ أحد الكُتَّاب الأمر على هذا النحو:

> **«ليست الكرازة خلق مهتدين، أو استمالة الناس وإقناعهم باتخاذ قرار ما، وهي ليست أيضًا إثبات وجود الله، أو تقديم حُجة قوية عن صحة المسيحية، كما أنها ليست دعوة شخص ما لحضور اجتماع، وليست فضحًا للمعضلة المعاصرة، أو إثارة الانتباه للمسيحية. أيضًا هي ليست ارتداء شارة مكتوب عليها «يسوع يُخلِّص»! بعض هذه الأشياء مقبولة وحسنة في سياقها الصحيح، لكن لا ينبغي الخلط بين أي منها والكرازة. أن تكرز هو أن تعلن استنادًا على سلطان الله ما فعله هو ليخلِّص الخطاة، وأن تُحذِّر البشر من ضلالهم، وأن توجههم إلى التوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح»**(٩).

من يمكنه أن ينكر أن الكثير من الكرازة الحديثة قد صارت تلاعبًا عاطفيًا، سعيًا للوصول إلى قرار لحظي نابع من إرادة الخاطئ، متجاهلة مع ذلك فكر الكتاب المقدس بأن الاهتداء هو نتيجة لعمل الله الفائق للطبيعة، والكريم تجاه الخاطئ؟

إن الدعوة المسيحية إلى الكرازة ليست مجرد دعوة لإقناع الناس باتخاذ قرارات، بل بالأحرى هي إعلان بشارة الخلاص لهم في المسيح، ودعوتهم إلى التوبة، وإعطاء المجد لله في عمل التجديد والاهتداء. وهكذا، فإن قدَّمنا رسالة الإنجيل بأمانة، ومع ذلك لم يهتدِ الشخص إلى الإيمان، فإننا لن نكون بهذا قد أخفقنا في كرازتنا، لكن الإخفاق يأتي فقط إن امتنعنا تمامًا عن تقديم رسالة الإنجيل بأمانة. كم من مرة أخطأنا «بانتظار أن تسنح لنا الفرص» بدلًا من خلق الفرص من خلال المشاركة ببساطة ومحبة بالبشارة مع شخص ما؟

حين تدرك أن الكرازة ليست هي أن تهدي الناس إلى الإيمان، بل أن تخبرهم بالحق الرائع عن الله، والخبر السار عن يسوع المسيح، حينئذ يمكن أن تصير طاعتك للدعوة للكرازة يقينية ومبهجة. وإدراكك لهذا يزيد من معدل قيامك بالكرازة، إذ أنها تنتقل من كونها عبئًا مدفوعًا بالإحساس بالذنب، لتصير امتيازًا

مبهجًا. إن المؤمنين يحبون الاستماع إلى رسالة الإنجيل؛ فهي تبنينا وتشجعنا؛ كما يحبون الإخبار بها.

مَن ينبغي أن يكرز؟

مهما يكن الانزعاج الذي قد تشعر به تجاه الكرازة، من الصعب تجنب هذا الموضوع حين تقرأ كتابك المقدس. إننا نجد موضوع الكرازة في كل صفحات العهد الجديد. على سبيل المثال، كتب بولس لأهل رومية قائلًا: «إِنِّي مَدْيُونٌ لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابِرَةِ، لِلْحُكَمَاءِ وَالْجُهَلاَءِ. فَهكَذَا مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ لِتَبْشِيرِكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ فِي رُومِيَةَ أَيْضًا» (رومية ١: ١٤، ١٥). هل هذا مجرد وصف بولس لدعوته الخاصة كمبشر أو كارز؟ وهل تنطبق كلماته عليه هو وحده وعلى الرسل الآخرين؟ أم تنطبق علينا نحن أيضًا؟

من قراءة العهد الجديد، نجد أن الدعوة إلى الكرازة ليست قاصرة على بولس أو حتى على الرسل. فإن يسوع في نهاية خدمته الأرضية، قال:

> **«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ١٨-٢٠).**

هذا التصريح، الذي عادة ما يطلق عليه الإرسالية (المأمورية) العظمى، هو إرسالية لجميع تلاميذ يسوع، أي أولئك الذين سمعوا كلماته بصورة مباشرة، ولنا نحن الذين نقرأ كلماته اليوم. فلماذا إذن يؤكد يسوع على وجوده إلى انقضاء الدهر، أي بعد موت التلاميذ الأوائل بزمن طويل، إن لم يكن لهذا السبب؟ أي لأن هذه الإرسالية ستمتد لكل مؤمن بعد التلاميذ.

يُبيِّن العهد الجديد أن هؤلاء التلاميذ الأوائل قد أخذوا هذه الإرسالية العظمى من سيِّدِهم على محمل الجد. وحين نقرأ سفر الأعمال بكامله، نرى هؤلاء

التلاميذ يكرزون مرارًا وتكرارًا، فقد كانوا يكرزون على نحو مستمر (على سبيل المثال: أعمال ٥: ٤٢؛ ٨: ٢٥؛ ١٣: ٣٢؛ ١٤: ٧، ١٥، ٢١؛ ١٥: ٣٥؛ ١٦: ١٠؛ ١٧: ١٨). البعض اليوم يسألون: «مَن الذي ينبغي أن يكرز؟» وهل يقتصر هذا على المبشِّرين وحدهم؟ أم على ذلك الرجل الذي تدفع له الكنيسة أجرًا بدوام كامل كي يجلس ويقرأ الكتاب المقدس، ويقف ويقدم رسالة الإنجيل أسبوعيًا؟ هل الإرسالية العظمى قاصرة على الفئات الدينية المهنية فحسب؟ أم أنها تتعلق بكل مؤمن؟

يُعلم الكتاب المقدس بأن جميع المؤمنين قد كُلِّفوا بهذه الإرسالية. وإذا نظرنا عن كثب إلى سفر الأعمال، سنجد لمحات من هذه الطاعة العامة للدعوة للكرازة، فنحن لا نقرأ عن نشر الرسل وحدهم لرسالة الإنجيل. على سبيل المثال:

> **«وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ. وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً. وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ. فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أعمال ٨: ١-٤).**

لم يكن الرسل وحدهم هم من كانوا يبشرون؛ فالأعداد السابقة تسلط الضوء على النشاطات الكرازية لمن «تَشَتَّتُوا» (عدد ٤)، وهذا شمل «الْجَمِيعُ مَا عَدَا الرُّسُلَ» (عدد ١)! قد يقول أحدهم إن الشيوخ فحسب هم من كانوا يبشرون، لأنهم كانوا يملكون موهبة خاصة في التعليم. لكن بقية أعمال ٨ يحكي عن فيلبس، الذي لم يكن من الشيوخ، فقد كان فيلبس «مجرد» شماس، ومع ذلك كان يبشر (٨: ٥-١٢، ٢٦-٤٠).

وفي أعمال ١١: ١٩-٢١، يمكننا أن نرى استكمالًا لقصة «التبشير بواسطة المؤمنين من عامة الشعب»:

«أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْ جَرَّاءِ الضِّيقِ الَّذِي حَصَلَ بِسَبَبِ اسْتِفَانُوسَ فَاجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ، وَهُمْ لاَ يُكَلِّمُونَ أَحَدًا بِالْكَلِمَةِ إِلاَّ الْيَهُودَ فَقَطْ. وَلكِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ، وَهُمْ رِجَالٌ قُبْرُسِيُّونَ وَقَيْرَوَانِيُّونَ، الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنْطَاكِيَةَ كَانُوا يُخَاطِبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ. وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ، فَآمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ».

وهكذا مرة أخرى نرى مؤمنين «عاديين» يخرجون لنشر البشارة.

وينبغي أيضًا أن نستدعي إلى ذاكرتنا تحريض بطرس: «مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ» (١ بطرس ٣: ١٥). كتَبَ بطرس هذا للكنيسة بكاملها، وليس فقط لقادتها.

على المؤمنين جميعهم، وليس فقط رجال الدين المتخصصين، أن ينشروا البشارة. ويتعلق جزء من عملنا التبشيري بالطريقة التي نتعامل بها أحدنا مع الآخر كمؤمنين. فقد قال يسوع: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٣: ٣٥). فإن لم تُبدِ محبة مسيحية حقيقية لكل عضو في كنيستك، فإنك بهذا تعصى الله وتعيق العمل الكرازي لكنيستك.

ومع ذلك، أحيانًا ما يكون السبب الرئيسي وراء رغبتنا في إلقاء مسئولية الكرازة على آخرين هو أننا لسنا متأكدين بالتحديد من كيفية القيام بها.

لماذا ينبغي أن نكرز؟

السؤال الثالث، والذي يبدو طرحه أمرًا غريبًا، هو «ما الدافع لكرازتنا؟»

مثل هذا السؤال قد يبدو سخيفًا كأن نسأل: «ماذا يدفعني لأحب زوجتي؟» أو

«ماذا يدفعني لرعاية أطفالي؟» هل يهم حقًا؟ فإن كان فعل هذا أمرًا صالحًا، فلم القلق حيال الدافع؟

هل توجد مشكلة حقيقية في أن يكون لدينا دافع خاطئ في الكرازة؟ أظن هذا. فقد يوجد دافع أناني للكرازة. ربما ليس لدى بعض الكنائس اهتمام بخلاص البشر المحيطين بها، بل قلق شديد من أن تضطر لإغلاق أبوابها. وما ينطبق على الكنائس يمكن أن ينطبق أيضًا على الأفراد. وبقدر ما يبدو هذا غريبًا، لكن يمكنك أن تكرز بدافع رغبتك في أن تكون على الطريق الصحيح، أو بدافع الفوز في مجادلة مع صديق ما، أو لتعزيز نوع ما من الاعتقاد السيكولوجي، أو كي تبدو شخصًا روحيًا أمام أصدقائك المؤمنين أو أمام الله نفسه، أو لتكسب لنفسك سُمعة باعتبارك مبشرًا ناجحًا.

ما هو السبب الصحيح لإذاعة الخبر السار؟ وفقًا للكتاب المقدس، تتضمن الدوافع السليمة للكرازة رغبة في طاعة الإرسالية العظمى (انظر متى ٢٨: ١٨–٢٠؛ ١ كورنثوس ٩: ١٦، ١٧)، ومحبة الضالين وغير المؤمنين (على سبيل المثال: متى ٩: ٣٦؛ يوحنا ٣: ١٦؛ رومية ١٠: ١)، وفي الصدارة، تأتي محبة الله.

تُعد الطاعة أمرًا يميز المؤمنين الحقيقيين؛ فإن شرعية وحقيقة ادعائنا باتباع يسوع تتجلى في طاعتنا له، فهو قد أوصى تلاميذه أن يخبروا الجميع بالخبر السار عنه، وهكذا، فإن لم نكرز نكون في حالة عصيان أثيم.

علاوة على ذلك، إن كان الرب يسوع قد جعل محبة القريب أحد واجباتنا الإلزامية العظمى (مرقس ١٢: ٣١)، فكيف يمكننا أن ندَّعي تبعيتنا ليسوع إن لم نكن نحب الآخرين؟ وكيف يمكن أن ندَّعي محبتنا لهم إن حجبنا هذا الخبر الأعظم عنهم، مما يكلفهم ثمنًا فادحًا؟ إن الوسيلة الوحيدة كي يتصالح البشر مع الله، وتُغفَر خطاياهم، ويستعيدوا علاقة المحبة مع الله هي من خلال يسوع. وإن كنا نحب الآخرين حقًا، فلا بد أن نخبرهم عن المخلِّص.

في النهاية، لا بد أن تكون محبتنا لله هي دافعنا للكرازة، إن كان ينبغي أن نكرز كما يريدنا الله:

> **«إن محبتنا لله هي الدافع الكافي الوحيد للكرازة. فمحبة الذات تفسح المجال لمركزية الذات، بينما ستخفق محبتنا لغير المؤمنين ممن لا نستطيع أن نحبهم، أو حين يستحيل تخطي الصعوبات. فقط محبة شديدة وعميقة تجاه الله هي التي ستُبقينا متبعين طريقه، منادين بإنجيله، حين يفشل كل ما في طاقة البشر. فقط محبتنا لله – والأكثر أهمية محبته لنا – هي التي ستحفظنا من الأخطار المحيطة بنا. وحين تغرينا الرغبة في نوال شعبية بين الناس، أو الرغبة في نجاح من منظور البشر، لنخفِّف من حق الإنجيل، حتى يكون مستساغًا وألذ مذاقًا، حينئذ فقط إن كنا نحب الله سنثبت راسخين في حقه وطرقه**[١٠].

وفي النهاية، هذه المحبة لله تقود إلى رغبة في رؤيته ممجَّدًا. ففي كل الكتاب المقدس، يعلن الله عن نفسه لخليقته، وهكذا نحن نقدم رسالة الإنجيل كي نمجد الله حين يصير الحق عنه معلَنًا ومعلومًا لدى خليقته. إن الدعوة إلى الكرازة هي دعوة لتحويل حياتنا إلى الخارج، أي من التركيز على أنفسنا واحتياجاتنا إلى التركيز على الله وعلى العالم الذي خلقه. ويشمل ذلك محبة المخلوقين على صورة الله ومع ذلك هم في حالة عداوة معه، أجنبيين عنه، وفي حاجة للخلاص من الخطية والذنب. وبإعلاننا للعمل العظيم الذي عمله الله في المسيح لأجل هذه المخلوقات التي خُلقت على صورته نُمجّد الله. ليست هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يمكننا بها أن نُمجّد الله، لكنها أحد الوسائل الرئيسية التي أعطانا الله إياها كمؤمنين، أي كأناس يعرفونه بواسطة نعمته في المسيح، كي نمجده بها. تذكر تحريض بطرس للمؤمنين في القرن الأول بأن يحيوا لمجد الله: «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرّ، يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا» (١ بطرس ٢: ١٢).

كيف ينبغي أن نكرز؟

الإجابة الأوضح على هذا السؤال هي: أن نكرز بالكلمة، وننشر الرسالة، ونعلن البشارة. هذه هي، كتابيًا، الكيفية التي يمكن أن نكرز بها.

لكن كيف بالتحديد؟ هذا السؤال أكثر أهمية مما يُدرِك البعض. ففي عام ١٩٦٠، وبَّخ جوزيف بايلي بشكل فكاهي (إن جاز أن تستخدم هاتان الكلمتان معًا!) المؤمنين في كتابه "The Gospel Blimp" (أي منطاد الإنجيل). فهو يخبرنا بالقصة التالية:

> **«بدأت الفكرة فعليًا في تلك الليلة منذ عدة سنوات، حين كنا جالسين جميعًا معًا في الحديقة الخلفية لمنزل جورج وإيثيل جريسكوم.**
>
> **كنا قد انتهينا للتو من تناول وجبة عشاء في الهواء الطلق (وليمة حقيقية)، ولم يكن أمامنا الكثير لنفعله سوى أن نضرب البعوض ونراقب الذباب. ومن آن لآخر كانت تحلق فوقنا طائرة في السماء بعيدًا، وكان يمكننا أن نرى الأضواء الحمراء والبيضاء المتلألئة.**
>
> **أظن أن هذا ما جعلنا نبدأ في العمل على منطاد الإنجيل، أو ربما ما جعلنا نفعل هذا هم الجيران في المنزل المجاور لمنزل جورج وإيثيل، الذين كانوا يلعبون لعبة الورق، ويشربون الجِعة في شرفة منزلهم.**
>
> **على أية حال، بدأنا نتحدث عن كيفية وصولنا للناس لننقل لهم رسالة الإنجيل. وكان «هيرم» من الناشطين في مجال مجموعة رجال الأعمال المحليين (وكان هو ومارج زوجته موجودين في تلك الليلة، وكانت ليلتهم الأولى بالخارج بعد ولادة طفلهم). وهكذا، حين بدأنا نتحدث عن كيفية الوصول للناس، قال هيرم: «لنأخذ يا جورج أولئك الرجال في المنزل المجاور مثالًا، فإننا يمكننا أن نلحظ جيدًا أنهم غير مؤمنين. والآن، إن أردنا أن نقدم لهم الإنجيل، كيف لنا أن. . .».**

فقاطعته مارج قائلة: «هيرم، أرجوك، اخفض صوتك، أتريدهم أن يسمعوك؟».

فقال جورج موافقًا: «هيرم على حق، هم غير مؤمنين، فهم يذهبون إلى الكنيسة - كنيسة ليبرالية - في عيد الميلاد وعيد القيامة، لكنهم يشربون الكحوليات ويلعبون الورق معظم أيام الآحاد الأخرى، فيما عدا فصل الصيف، فبعد أسابيع قليلة، سيبدأون في الذهاب إلى الشاطئ في كل نهاية أسبوع حتى حلول يوم عيد العمال».

وقد كان هيرم قائدًا جيدًا للمناقشات، فقال: «حسنًا، هل من مقترحات الآن؟»

«انظروا إلى هذه الطائرة، إنها حقًا تطير على مستوى منخفض، يمكنك تقريبًا أن ترى أضواء النوافذ».

«تقصد الكوى. أيريد أحدكم المزيد من رقائق البطاطس؟»

«كما قلت قبلًا، ها هو اختبار لنا، فكيف يمكننا تقديم الإنجيل لأولئك الجالسين هناك؟» وأشار هيرم إلى المنزل المجاور.

«من المؤسف أن الطائرة لم تكن تحمل علامة ما، فإن كانت كذلك، لكانوا نظروا إلى فوق تاركين لعبة الورق لبعض الوقت لقراءة العلامة».

«أتعلمون، قد تكون هذه فكرة جيدة. هل رأى أحدكم من قبل تلك المناطيد التي تجر خلفها لوحة إعلانات؟ مثل «اشرب بيبسي كولا»، أو «شيفروليه هي السيارة الأولى»؟» . . .

«ما أقصده هو، لمَ لا يكون لدينا منطاد يجر آية كتابية، مثل 'آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص'» . . .

«تبدو فكرة رائعة واستثنائية جدًا، رائعة حقًا! يا للعجب، فإن الجميع سيصلهم الإنجيل في الوقت ذاته»[١١].

وفيما تتطور أحداث القصة، اشترى هؤلاء الأصدقاء المؤمنون منطادًا، ووضعوا عليه رسالة الإنجيل، وألقوا بمنشورات تبشيرية من المنطاد كي يتأكدوا من وصول رسالة الإنجيل إلى الجميع. وماذا حدث بعد هذا؟ عليك أن تقرأ هذا بنفسك في الكتاب!

لكن ألم يكن ما يفعلونه بمنطاد الإنجيل هو نشر الكلمة؟ فكيف تظن أن تصل الكلمة للجميع؟ ربما نقول إنهم ينبغي أن يأتوا جميعهم إلى الكنيسة. لكنهم لن يفعلوا هذا. إذًا ماذا نفعل؟ كيف نوصل الرسالة للناس؟ هل المنطاد هو الحل؟

حسنًا، بالتأكيد يمكننا أن ننشر الكلمة علانية من خلال وسائل الإعلام أو الاجتماعات العامة، ويمكننا أيضًا أن ننشرها على نحو فردي من خلال الأحاديث الثنائية. لكن بغض النظر عن الوسيلة، سواء كانت من خلال المطبوعات أو من خلال الكرازة، وسواء كانت من خلال محادثة بين اثنين أو من خلال دراسة الكتاب المقدس الكرازية، لكن كيف ينبغي أن نقوم بها؟ إليك سبعة إرشادات كتابية عن كيفية القيام بالكرازة:

١. أخبر الناس بصدق أنهم إن تابوا وآمنوا، سيخلصون، ولكن ذلك سيكون مكلفًا.

لا بد أن نراعي الدقة فيما نقوله، فلا نخفي أية أجزاء هامة من الرسالة خوفًا من أن تكون مُنفّرة للغاية أو صعبة التفسير. كثيرون لا يحبون أن تحتوي رسالة الإنجيل التي يقدمونها على أي شيء سلبي، فهم يظنون أن حديثهم عن الخطية والإثم والتوبة والتضحية بالنفس يعتبر سلبيًا بشكل زائد عن الحد بالنسبة لعصرنا هذا المتميز بتقدير الذات. وهكذا فإننا لا نريد إنجيلًا يُقَدَّم على هذا النحو. إليكم ما قاله واحد من أشهر الكارزين الذين يظهرون على شاشات التلفاز في أمريكا:

«لا أظن أنه يوجد أي شيء تم عمله باسم المسيح وتحت راية المسيحية، وثبت كونه مدمرًا لشخصية الإنسان، وبالتالي جالبًا لنتائج عكسية للعمل الكرازي، أكثر من الاستراتيجية غير المسيحية والفظة التي تسعى إلى زيادة وعي الناس بحالتهم الضالة والخاطئة»(١٢).

في حال كنت تتساءل من قال هذا، أقول لك إنه روبرت شولر، وهو ليس الوحيد الذي يفكر بهذه الطريقة. لكن بحسب الكتاب المقدس، فإن زيادة وعي الناس بحالتهم الخاطئة والضالة هو جزء لا يتجزأ من تقديم بشارة يسوع المسيح. فإن قرأت موجز عظات بطرس في أولى الأصحاحات من سفر الأعمال، ستجد أنه مرة تلو الأخرى كان أمينًا وصادقًا بشكل مذهل بخصوص الحالة الخاطئة لمن كان يتحدث إليهم.

لا يمكننا التظاهر بأن الجميع مشتركون في بحث مخلِص عن الحق. ذلك لأن الكتاب المقدس يُعلم بأن البشر بالطبيعة أجنبيون عن الله، وفي عداوة معه. لا بد أن نكون صادقين في هذا. ومع أنه قد لا يكون من الكياسة أن نقوله، لكن هذا حق، ولهذا فهو من الأمانة.

إن حجب أجزاء هامة وغير مستساغة من الحق يعد تلاعبًا وخداعًا، وهو يساوي بيع شحنة فاسدة من البضائع.

٢. كن مُلِحًا في إخبار الناس بأنهم إن تابوا وآمنوا، سيخلصون؛ لكن لا بد أن يتخذوا قرارهم الآن.

لا بد أن نوضح جيدًا الضرورة الملحة للرسالة، وأن مستمعينا، بلا ريب، لا يجب أن ينتظروا أن تأتيهم «صفقة أفضل».

هل أنت ممن يؤجلون تسجيل عضويتهم في مجلة ما حتى تحصل على عرضين أو ثلاثة عروض عبر بريدك الإليكتروني؟ هل تقوم بحفظ هذه العروض، ثم تجلس وتعقد بينها مقارنة، ثم تقبل ذلك العرض الذي يقدم لك أفضل صفقة؟

ماذا عن خطتك بشأن هاتفك المحمول؟ إذ يمكنك أن تستهلك قدرًا لا بأس به من حياتك محاولًا إيجاد أفضل صفقة يمكنك الحصول عليها لشراء هاتف محمول!

لكن حين يتعلق الأمر بالإنجيل، فلا يوجد سبب منطقي يدعوك لانتظار حصولك على صفقة أفضل. فبحسب العهد الجديد، يسوع هو الطريق الوحيد للوصول إلى الله (انظر يوحنا ١٤: ٦؛ أعمال ٤: ١٢؛ رومية ١٠). كيف تفترض إذن أن يتصالح الخطاة مع الإله القدوس إن لم يكن من خلال المسيح؟ لا يوجد طريق سوى المسيح، وإن كان المسيح هو الطريق الوحيد، ماذا ننتظر إذًا؟ يحذرنا الكتاب المقدس قائلًا: «الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ» (عبرانيين ٤: ٧؛ مزمور ٩٥: ٧، ٨).

كان يسوع ملحًا في تعليمه. لنتناول على سبيل المثال هذا المثل المذكور في إنجيل لوقا:

> **«وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: «كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا! لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضًا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلًا. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا»» (لوقا ١٣: ٦-٩).**

ليس خداعًا أو تبلدًا للشعور أن ننطق بتحذيرات طارئة وملحة كهذه، فهذا هو الحق بكل بساطة، ولا أحد منا يملك قدرًا غير محدود من الوقت ليقرر إن كان يريد أن يتبع المسيح أم لا.

لقد أدركنا كمؤمنين أن التاريخ لا يدور في دوائر، ويكرر نفسه في أحداث دائرية بلا نهاية، لكن الله يومًا ما سيأتي بالتاريخ إلى نهاية في الدينونة. نحن نعلم أن الله قد أعطانا هذه الحياة، وأنه سيطالبنا بها مرة أخرى. والوقت

الذي لدينا محدود، والمقدار غير مؤكَّد، وكيفية استخدامنا له تعود إلينا. ولهذا يقول بولس لأهل أفسس أن يغتنموا كل فرصة متاحة لهم بقدر استطاعتهم (أفسس ٥: ١٦).

فنحن لا بد أن نكون مثل هواة جمع الأشياء، الذين يشترون كل نموذج معلن عنه من شيء ما يعتزون به، أي لا بد أن نرغب في اغتنام كل ساعة تعبر محولين إياها إلى نصب تذكاري لله، ومستخدمين إياها لأجله. ولا ينبغي أن نكتفي بهذا التفكير: «سأعيش بضعة سنين أخرى في أنانيتي، ثم حين تتحقق كل رغباتي، سألتفت إلى المسيح وأتبعه»! علينا أن نعرف، كما عرف بولس، أن «الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ، لِكَيْ يَكُونَ . . . الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ [في الترجمة الإنجليزية: يستعملونه دون الاستغراق فيه]. لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١ كورنثوس ٧: ٢٩، ٣١).

ما هي الظروف التي تجتاز فيها الآن ولن تجتاز فيها دائمًا؟ وكيف تستخدم تلك الظروف في طاعة الله الآن؟ ضع ثقتك في الله بأنه سيستخدمك في تلك الظروف بدلًا من أن تسعى دائمًا إلى تغييرها. ثق في استخدام الله لك في هذه اللحظة، بدلًا من أن تنتظر اللحظة القادمة، بما أنك لا تعلم إن كانت هذه اللحظة القادمة ستأتي أم لا. لا تسمح للبقاء الوقتي للبنايات العظيمة والمؤسسات الكبرى، أو للساعات الطوال التي تقضيها في ملل أن تجعل منك أحمقَ! فإن بولس يقول في أفسس ٥: ١٦ إن «الأيام شريرة»، وهذا يعني أنها تشكل خطرًا، وأنها فرصة عابرة، وهكذا لا بد أن نفتدي الوقت ونغتنم كل فرصة. ولهذا نقول مع بولس، في ضوء مجيء يقيني لدينونة أكيدة، إن محبة المسيح تحصرنا كي ننادي بالبشارة (٢ كورنثوس ٥: ١٠–١٤).

٣. أخبر الناس بفرح أنهم إن تابوا وآمنوا بالإنجيل، سيخلصون. ومهما كانت صعوبة الأمر، فهو يستحق العناء!

يروي لنا الأصحاح الحادي عشر من رسالة العبرانيين قصصًا عن أولئك الذين قاسوا صعوبات ومشقات لأجل الإيمان ومع ذلك ثبتوا واحتملوا. وفي عبرانيين ١٢ نقرأ عن يسوع نفسه الذي احتمل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه. وهكذا فإننا نحن أيضًا سنقاسي شدائد، مثل الانتقاد، وفقدان الوظيفة، وانفصال العلاقات، وأسوأ من هذا، لأننا قدَّمنا الإنجيل.

وكما قال المرسَل الشهيد جيم إليوت: «ليس أحمقَ من يعطي ما لا يمكنه الاحتفاظ به كي يربح ما لا يمكنه خسارته».

ما المنفعة التي نحصل عليها من إقبالنا إلى المسيح؟ إننا نربح علاقة مع الله نفسه، ونربح غفرانًا، ومعنى، وهدفًا، وحرية، وشركة، ويقينًا، ورجاءً. وهكذا، فإن أمانتنا وصدقنا بشأن المشقات عند تقديم الإنجيل لا تعني أننا لا بد أن نحجب البركات، ولا تعني أيضًا بالتأكيد أننا لا بد أن نتظاهر بصعوبة الحياة المسيحية فقط كي يظن الناس أننا صادقون وأمناء معهم. نحن في حاجة إلى أن نكون أمناء أمانة تامة، وهذا يعني أن نخبر الناس بأن لدينا خبر سار في يسوع المسيح، وأنه مع كل الصعوبات والضيقات، فاتخاذنا القرار بأن نموت عن أنفسنا ونتبع المسيح يستحق العناء بل وأكثر.

٤. استخدم الكتاب المقدس

ليس الكتاب المقدس مخصصًا للكرازة العامة فحسب، لكن ينبغي أن تتعلم الكتاب المقدس لأجل منفعتك الشخصية وكي تقدمه للآخرين. بهذا سيرون أن رسالتك ليست من وحي أفكارك الخاصة. يعطينا فيلبس المبشر مثالًا جيدًا لاستخدام كلمة الله في تقديم الخبر السار، فحين قدم الرسالة إلى الخصي الحبشي، استخدم العهد القديم كي يخبره من خلاله عن يسوع (انظر أعمال ٨).

حين نستخدم الكتاب المقدس في تقديم الإنجيل، فإننا نساعد الناس على إدراك أننا لسنا نتحدث من واقع أفكارنا الشخصية، بل من كلمات الله ذاتها.

٥. كن مدركًا أن حياة المؤمنين أفرادًا وحياة الكنيسة ككل هما جزء محوري في الكرازة

إن حياتنا، كأفراد وكجماعة مؤمنين في الكنائس، لا بد أن تعطي مصداقية للإنجيل الذي ننادي به. هذا هو أحد أسباب الأهمية العظمى لعضوية الكنيسة. نحن ككنيسة نتحمل مسئولية جماعية بأن نقدِّم للعالم معنى أن يكون الإنسان مسيحيًا حقيقيًا. يجب أن نفهم جيدًا ما الذي تعنيه عضوية الكنيسة، ولا بد أن نساعد إخوتنا المؤمنين على فهمه أيضًا. إن الله لا يتمجد من خلال تحدثنا بالرسالة فحسب، بل أيضًا من خلال سلوكنا بمقتضاها. وليس معنى هذا أن أحدًا منا يمكنه أن يعيش حياة كاملة بلا عيب، لكننا على الأقل يمكننا أن نحاول أن نعيش بطريقة تمدح الإنجيل. تذكَّر كلمات يسوع في العظة على الجبل: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السموات» (متى ٥: ١٦؛ انظر أيضًا ١ بطرس ٢: ١٢). يمكنك أن تحيا حياتك بطريقة تُمجّد الله حين يبدأ الآخرون الذين يراقبونك يؤمنون بالإنجيل.

إن الحياة بهذه الطريقة لا تقتصر على حياتك الفردية، بل تشمل أيضًا كيف يحيا المؤمنون معًا. تذكر مرة أخرى كلمات يسوع: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٣: ٣٤، ٣٥).

عِش حياة من المحبة المكرسة تجاه أعضاء كنيستك المحلية الآخرين، كجزء أساسي من تقديسك الشخصي ومن خدمتك الكرازية. إن حياتنا الفردية

وحدها ليست شهادة كافية، بل حياتنا معًا كجماعات مؤمنين هي الصدى المؤكِّد لشهادتنا.

٦. تذكَّر أن تصلي

تذكَّر جيدًا أهمية الصلاة في الكرازة؛ لأن الخلاص هو بالتأكيد عمل الله، وذلك لأننا نتكل عليه اتكالًا مطلقًا وكاملًا، وليس على أي شيء آخر، كي نرى القيامة الروحية في اهتداء غير المؤمنين! يقول بولس في رومية ١٠: ١ «إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلِبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ». صلِّ بانتظام لأجل أصدقائك وجيرانك من غير المؤمنين. إن كنت راعيًا لكنيسة، قُد كنيستك بشكل منتظم في الصلاة لأجل أن تسنح فرص كرازية خاصة في حياة الأعضاء. كن مثالًا للصلاة المنتظمة لأجل الكرازة والاهتداء على حد سواء.

٧. ابنِ علاقات مع غير المؤمنين

جميع الإرشادات السابقة يمكن أن تنطبق على جميع المواقف التي يمكنك فيها تقديم الإنجيل، سواء لمن يقف بجانبك في المصعد، أو يجلس بجانبك في الحافلة أو على متن الطائرة. لكن يوجد لون من الكرازة يشمل أولئك الذين تعرفهم بالفعل – من الأصدقاء أو العائلة – من غير المؤمنين. وتشمل من يمكنك التعرف إليهم إن صرفت بعض الوقت وفكَّرت في الذهاب إلى أماكن يمكنك أن تقابل بها أناسًا لا يعرفون المسيح، وتبني علاقات معهم. (أيها الرعاة، هذا يعني أن كنائسنا لا ينبغي أن تُبقي شعبها مشغولًا أكثر من اللازم بالاجتماعات والنشاطات حتى لا يتاح لهم أي وقت لبناء علاقات مع غير المؤمنين).

إليك هذا التدريب: قم بتدوين أسماء جميع غير المؤمنين الذين تحدثت إليهم في الأسبوع الماضي. من منهم ربما تتمكن من رؤيته ثانية؟ ومن منهم يمكنك أن تراه بالفعل؟ ضع في قائمة أولوياتك أن تقدم الإنجيل لهم.

٨. تعاون مع مؤمنين آخرين لتوصيل الإنجيل إلى من يعيشون في أماكن لا يوجد بها مؤمنون.

تعد هذه النقطة امتدادًا للنقطة السابقة، أي بناء علاقات مع غير مؤمنين عن عمد، لكنها أيضًا تأخذ مبادرتنا هذه إلى مستوى آخر. إن كانت خطة الله هي أن يعرف العالم بكامله الخبر السار، وإن كان الله قد أودعنا مهمة إخبار الآخرين (متى ٢٨: ١٨-٢٠)، فإننا لا بد إذن أن نُرسَل (رومية ١٠: ١٥)، وأن نذهب (رومية ١٠: ١٤)! لمَ قد نرغب في أن يحيا أحد قد خُلق على صورة الله جاهلًا بمحبة الله في المسيح؟ وهكذا، إن الكنيسة المحلية الصحيحة ستعتبر أن اهتمامها بالكرازة والإخبار برسالة محبة الله في المسيح ليس قاصرًا على من هم حولها، أي مجتمعها المحيط بها، بل أيضًا أن توصِّل هذه الرسالة لمن لم تقابلهم من قبل، ومن لم يسمعوا بها قط.

الخاتمــة

على المؤمنين أن يخبروا الجميع بالبشارة، ونحن أيضًا علينا جميعًا أن نكرز ونبشر. علينا أن نعمل هذا بصدق وأمانة، وبإلحاح، وبفرح، وأن نحيا حياة تدعم رسالتنا، عاملين كل هذا لمجد الله.

في كتاب سي. إس. لوفيت C. S. Lovett بعنوان "Soul-Winning Made Easy" (تسهيل ربح النفوس)، وضع «خطة لربح النفوس» مؤسَّسة على تقنيات المبيعات في الزمن الذي كتب فيه الكتاب، أي في عام ١٩٥٩. قال لوفيت، موجِّهًا حديثه إلى المؤمنين باعتبارهم مندوبي مبيعات:

> **«إن زمام الأمر في أيديكم، فإن رابح النفوس المتمرِّس يمكنه أن يقود العميل إلى اتخاذ قرار بقبول المسيح. ولا يوجد أمامه حل وسط فيما يتحرك في يقين ورشاقة نحو مرحلة الخلاص مباشرة. فهو يعلم تمامًا ما سيقوله**

في كل خطوة في الطريق، بل ويمكنه أن يتوقع ردود أفعال عميله المحتمل. وهو قادر على أن يُبقي الحديث دائرًا حول الموضوع الرئيسي، مانعًا التطرق لأية مواد ليست ذات صلة. إن تقنية التحكم في مجرى الحديث هي تقنية حديثة في الكرازة، وهي تمثل قفزة في مجال ربح النفوس»[١٣].

ثم قدَّم لوفيت بعد هذا إرشادات للمؤمن الجاد حول الأدوات المتنوعة للكرازة، وقدَّم بعض «النصائح النافعة»، مثل: «تحدث مع عميلك على انفراد». وفي جزء ما من الكتاب، كتب عن كيفية «الضغط على «العميل» لاتخاذ القرار»، بل وشرح ما يعنيه مستخدمًا الصور. وقد قال أيضًا إنك بعد انتهائك من تقديم رسالة الإنجيل:

«ضع يدك بحزم فوق كتف العميل (أو ذراعه)، وبنبرة صوت شبه آمرة، قل له: «احن رأسك الآن معي». ملحوظة: لا تنظر إليه حين تقول هذا، لكن احن رأسك أولًا. ومن زاوية عينك ستراه مترددًا في أول الأمر، ثم حين تنهار مقاومته، سيحني رأسه إلى أسفل. وستستشعر يدك المثبتة على كتفه باسترخائه، حينئذ ستعلم جيدًا حين يسلم قلبه لله. إن إحنائك لرأسك أولًا هو بمثابة وسيلة ضغط سيكولوجية مذهلة»[١٤].

كم يبلغ عدد الكنائس اليوم المليئة بمن تعرضوا لهذا الضغط عليهم بمثل هذه الطريقة لكنهم لم يهتدوا إلى الإيمان حقًا بروح الله؟ وماذا عن المؤمنين الذين مارسوا هذا اللون من الكرازة؟ هل ملأنا كنائسنا بأناس استجابوا للإنجيل في الثامنة من عمرهم لأنهم أرادوا بكل صدق أن يرضوا والديهم؟ هل ملأناها بمن أحنوا رؤوسهم، وأغلقوا أعينهم، بل وتقدموا إلى الأمام في الكنيسة مُقرِّين بإيمانهم، لكنهم لم يتوبوا ويؤمنوا حقًا؟ ماذا فعلنا بالإنجيل في أمريكا بالطريقة التي كرزنا بها؟

ربما كان سي. إس. لوفيت بالفعل كارزًا أكثر أمانة من غالبيتنا، وربما كان أمينًا للغاية في اهتمامه بالناس وتقديم الإنجيل لهم. ويستطيع الله أن يستخدم وسائل

لتقديم الإنجيل أسوأ من هذه كي يجذب أناسًا لنفسه. ليت الله يعطي كل واحد منا الأحشاء والأمانة اللذين من شأنهما الاهتمام بالكرازة كثيرًا لدرجة تأليف كتاب عنها، لكن ليته أيضًا يمنع مثل هذا الفهم المغلوط عن الكرازة الذي يملأ كنائسنا بأناس لا يعرفون الرب.

بعد عظة ألقيتها في صباح يوم أحد، أمسكني زائر من يدي، وجذبني إليه قائلًا: «د. ديڤير، أريدك أن تعلم أن هذه كانت واحدة من أفضل عروض البيع التي استمعت إليها على الإطلاق في حياتي. لكن هناك مشكلة واحدة، أنت لم تتمم الصفقة!».

لم أعلم حقًّا بماذا أجيبه، ولم أقل له الكثير. لكن ما دار بفكري كان: «يا صديقي، أنا أعلم نوع الصفقات التي يمكنني أن أتممها، والنوع الذي لا يمكنني تتميمه، وإن فداء نفس خالدة لهو ذلك النوع من الصفقات الذي لا يمكنني بقوتي الشخصية أن أتممه».

أحتاج أن أعرف هذا جيدًا، لا لأتوقف عن الكرازة بالإنجيل، بل كي لا أسمح لعرضي للإنجيل بأن يصاغ وفقًا لما أظن بأنه سيأتي في النهاية بردة فعل، فأتمكن بهذا من «إتمام الصفقة». بدلًا من بذل كل وسعي لتبكيت الخاطئ وتغييره، تاركًا الله يقف في الخلف في تهذيب ورُقي منتظرًا بهدوء أن يدعوه هذا الجثمان الروحي، أي عدوه الروحي الصريح، لدخول قلبه، فأنا في المقابل سأكرز بالإنجيل، محاولًا إقناع الخاطئ عالمًا مع ذلك عجزي عن أن أصنع الاهتداء، ثم بعد هذا أتراجع إلى الخلف بينما يستخدم الله كل سلطانه كي يبكت الخاطئ، ويهديه إلى الإيمان، ويغيِّره. حينئذ سنرى من منا يستطيع حقًّا أن يدعو الميت من القبر ويقيمه إلى الحياة.

يستطيع الله أن يستخدم أي شخص لمجده، فهو يحب استخدام «من هم لا شيء». فقد اختار أن يستخدم موسى ثقيل اللسان، واستخدم بولس اليهودي الوطني لتبشير الأمم. وهو يأخذ المجد باستخدام أولئك المتوقَّع عدم وفائهم بالغرض.

يخبرنا تشارلز سبرجن عن جورج وايتفيلد:

> **«كارز القرن الثامن عشر العظيم، الذي طاردته مجموعة من المستهينين المتخصصين في إطلاق السباب، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم «جمعية جهنم»** (Hell-fire Club). **وحين كان وايتفيلد يقف خارجًا للكرازة، كانت هذه المجموعة الصغيرة من الرجال تتنحى إلى الجانب لتقلده. ولم يكونوا يؤمنون بكلمة مما يقوله. وقد كان قائدهم يدعى ثورب؛ وفي يوم من الأيام، كان ثورب يقلِّد وايتفيلد أمام أحد أصدقائه المقربين، مقدمًا عظته بدقة متميزة، محاكيًا نبرته وتعبيرات وجهه محاكاة تامة، لدرجة أنه هو نفسه نُخس في قلبه من الرسالة حتى أنه جلس ورجع إلى الله في التو»**(١٥).

إن الإنجيل في ذاته ومن ذاته قوي وفعَّال. ليتنا نحن كأفراد وكنائس ننخرط في خدمة التبشير. وليت الله يساعدنا على ألا نقوم بهذا بالطريقة الخطأ، بل بطريقة تقدم الإنجيل وتشرحه بوضوح.

وحين نفعل هذا، نبدأ نرى ثمارًا، وتستعيد عضوية الكنيسة معناها (سنتحدث بشيء من التفصيل عن هذا الموضوع في الفصل التالي)، ويصير الإنجيل ظاهرًا للعالم من حولنا، بل وللعالم الموجود بداخل الكنيسة!

أحيانًا يكون الادعاء هو كالآتي: «إن كنت تؤمن بالاختيار، فإنك لن تكرز». لكن كثيرين من أعظم الكارزين في تاريخ الكنيسة المسيحية كانوا يؤمنون بأن الخلاص هو باختيار الله. إن الإيمان بعقيدة الاختيار لم يطفئ غيرة الكرازة لدى وايتفيلد أو ادواردز، أو كاري أو جادسون، أو سبرجن أو مارتن لويد جونز، أو فرانسيس شيفر أو دي جيمس كينيدي، أو تيم كيلر أو جون بايبر. لكن في حقيقة الأمر، وباعتباري شخصًا يود أن يرى مزيدًا من الكرازة، فإن قلقي هو حيال حدوث النقيض تمامًا: فأنا قلق من أنك إن لم تؤمن بما قد تحدثنا عنه في الدراسات القليلة السابقة، بأن الإنجيل هو الخبر السار عن عمل الله، أي اختيار الآب، وموت الابن، واجتذاب الروح القدس، وأن الاهتداء هو فقط

ردة فعل تجاه منح الله لعطيتَي النعمة، أي التوبة والإيمان، وأن الكرازة هي إخبارنا البسيط، والأمين، والمصلِّي بهذا الخبر السار؛ إن لم تؤمن بهذا، سوف تُفسِد بالفعل إرسالية الكنيسة الكرازية بأن تصنع مهتدين زائفين، وتملأ الكنائس بأناس لا يعرفون يسوع حقًا. يمكنك أن تخبر الناس قصصًا تُبكيهم، فيشعرون بهزة عنيفة في أعماقهم، ولذا يتخذون قرارًا صادقًا، لكنهم حينئذ لن يواجهوا بحقيقة خطاياهم، وبحاجتهم للتوبة، وبالروح القدس. مثل هذه الوسيلة لن تهبهم حياة جديدة. ومع ذلك فهم يتعمدون، ويصيرون أعضاء في الكنيسة، وتُسجَّل أسماؤهم في أنشطتها المختلفة.

ذات مرة حين كان بولس خائر القوى محبطًا، قال له الرب شيئًا لتشجيعه على الاستمرار في المناداة بالإنجيل. وما قاله الرب يمكننا أن نعتبره حقًا تصريحًا يخص عقيدة الاختيار: «فَقَالَ الرَّبُّ لِبُولُسَ بِرُؤْيَا فِي اللَّيْلِ: ’لاَ تَخَفْ، بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ، لأَنَّ لِي شَعْبًا كَثِيرًا فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ‘» (أعمال ١٨: ٩–١٠). استخدم الله هنا عقيدة الاختيار لتشجيع بولس على الكرازة.

نحتاج أن نشهد نهاية لفهم خاطئ وسطحي للكرازة، مثل أن تجعل الناس يجيبون بنعم فحسب عن سؤال تطرحه عليهم، أو يتخذون قرارًا. نحتاج أن نشهد نهاية للثمر الفاسد الذي ينتج عن الكرازة الفاسدة، ونهاية لأناس أرضيين يملكون يقينًا بخلاصهم فقط لأنهم وقفوا ذات مرة، ورفعوا أيديهم، أو رددوا صلاة. نحتاج أن نشهد نهضة حقيقية، لا أن نضل وسط اجتماعاتنا التي أسسناها بأنفسنا ووضعنا لها جدولًا، ثم نطلق عليها مجازًا «نهضات»، وكأننا يمكننا أن نحدد موعد هبوب ريح روح الله الفعلي. نحتاج أن نشهد نهاية للعضويات الكنسية التي صارت أكبر عددًا بكثير ممن هم بالحقيقة مشاركون في الكنيسة، ونهاية للتراخي في حياتنا بتجاهلنا للأمر بالكرازة، أي الدعوة للمناداة بالبشارة. نحتاج أن نشهد نهاية لهذه البرودة المنهِكة للعزيمة والقاتلة للدعوة المجيدة للإخبار بالبشارة.

ينبغي لنا أن نقر بأهمية هذا الخبر السار عن يسوع المسيح. وإلى أن نقر بهذا، لا يمكننا أن نتعلم شيئًا نافعًا عن الكرازة. حينئذ لا تصير الكرازة بالنسبة لنا سوى واجبًا مزعجًا أو اندفاعًا موسميًا. لكن حين تأسر رسالة الصليب قلوبنا، وتسبي أفكارنا وتخيلاتنا، فإن ألسنتنا، وإن كانت متلعثمة، أو مترددة، أو جارحة للمشاعر، أو غير لبقة، أو متهكمة، أو غير كاملة، لكنها حينئذ لن تختلف عن حال قلوبنا. كما قال يسوع: «مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْب يَتَكَلَّمُ الْفَمُ» (متى ١٢: ٣٤).

ما الذي يمتلئ به قلبك؟ وما الذي تنفق كلماتك عليه؟

مصادر أخرى

- للدراسة في مجموعات:

Reaching the Lost: Evangelism

- دراسة استقرائية في الكتاب المقدس مُدَّتها ستة أسابيع، من خلال "9Marks"

- لتأهيل وإعداد أعضاء الكنيسة:

The Gospel and Personal Evangelism, by Mark Dever

العلامة السادسة

فهمٌ كتابيٌّ لعضوية الكنيسـة

ما هي الكنيسة؟

لماذا ننضمُّ إلى كنيسة؟

١. لنطمئن أنفسنا

٢. لنكرز للعالم بالإنجيل

٣. لنفضح الأناجيل المزيفة

٤. لبنيان الكنيسة

٥. لتمجيد الله

ما الذي تتطلبه عضوية الكنيسة؟

عمليًا: البدء بالمعمودية

كتابةً: عن طريق توقيع قانون الإيمان، وميثاق الكنيسة

مسئوليات خاصة تتضمنها عضوية كنيسة كابيتول هيل المعمدانية

١. المواظبة على حضور اجتماعات العبادة

٢. حضور مائدة الرب على وجه الخصوص

٣. حضور اجتماعات الأعضاء باستمرار

٤. المواظبة على الصلاة

٥. المواظبة على العطاء

الخاتمــة

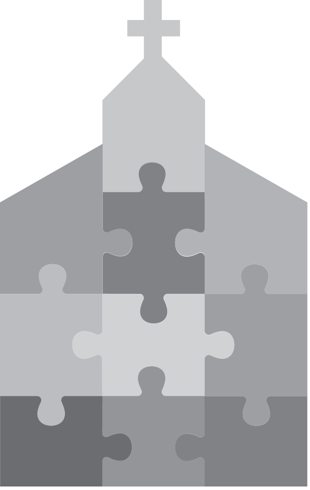

العلامة السادسة

فهمٌ كتابيٌ لعضوية الكنيسة

يبدو أن كل الإحصاءات تشير إلى عصرنا هذا باعتباره عصر «فوبيا الالتزام». وفوبيا الالتزام هي الخوف من أننا حين نَعِد بأن نفعل شيئًا جيدًا، فإننا قد نُفَوِّت على أنفسنا بذلك فرصة الحصول على شيء أفضل. ومن ثم، وبالرغم من أننا نرى العديد من الأشياء الجيدة التي يمكن أن نفعلها إلا أننا نحبذ أن «نُبقي خياراتنا مفتوحة».

بالتأكيد هذه هي حكمة هذا العصر. وقد أبدى أحد الكتَّاب ملاحظاته عن ذلك قائلًا:

> **تشير استطلاعات الرأي العام إلى ازدياد حدة أحد التناقضات في المجتمع. هذا التناقض هو الجمع بين الالتزام الديني، ونسبيةٍ أخلاقية متفاقمة. فعلى سبيل المثال، في حين أن ٩١٪ من الأمريكيين يعتبرون أن الدين هو أمر مهم جدًا في حياتهم، إلا أن ٦٣٪ يرفضون مفهوم المُطْلَقات**[١].

أطلق جورج بارنا على النتيجة الغريبة لهذا الاستطلاع أنها واحدة من أعلى خمسة إحصاءات أجراها لنهاية عام ١٩٩٨، وفيها: أن ٤٣٪ فقط من البالغين الذين يقولون أنهم مؤمنون، هم «ملتزمون بالإيمان المسيحي بصورة مطلقة»!

فهل يمكن أن تكون كارهًا الالتزام وأن تكون مؤمنًا في الوقت نفسه؟ أنا لا أسأل إن كان يمكن للمؤمن أن يكون غير متيقن بشأن بعض الأمور. فمعظم

المؤمنين لديهم شكوك. ولكن ما الذي يمكن أن يكون أكثر «تقييدًا للخيارات» من تبعية يسوع، الذي أخبر تلاميذه إنه إن أراد أحد أن يتبعه فعليه «أن يحمل صليبه» (متى ١٦: ٢٤)؟

أضفْ إلى ذلك مشكلة «العمل منفردًا»: لماذا تعتمد على شخص آخر إن كان باستطاعتك أن تنجز الأمر بنفسك؟ فنحن مهتمون اليوم بالسهولة والبساطة. لماذا نُربك أنفسنا بالآخرين؟ ربما نشكل عبئًا عليهم، وهم بالتأكيد ربما يشكلون عبئًا علينا.

ضع هذه الميول معًا وستحصل على ثقافة مُعادية تمامًا لمسيحية العهد الجديد، والتي لن تكون بالتأكيد مُرَحِّبة بعضوية الكنيسة.

أليست الفكرة كلها الخاصة بعضوية الكنيسة هي فكرة معاكسة تمامًا لهذه الثقافة؟ أليس فظًا، وربما حتى استعلائيًا أن تقول لأحدهم: نحن نعم، أما أنت فلا؟ ألا يمكننا أن نذهب أبعد من ذلك ونقول إن ذلك الأمر ليس كتابيًا وليس مسيحيًا؟ في نهاية أعمال ٢ يقول الكتاب: «وَكَانَ الرَّبُّ . . . يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (ع ٤٧). أليس هذا هو كل ما في الأمر؟ أليست الكنيسة ببساطة هي حقيقة صنعها مخلصنا؟ على سبيل المثال، عندما استجاب الخصي الحبشي للإنجيل واعتمد، ألم يصبح بذلك تلقائيًا عضوًا في الكنيسة (انظر اعمال ٨)؟

أنا على اقتناع بأنَّ فهم فكرة العضوية بطريقة صحيحة هو خطوة أساسية في طريق نهضة كنائسنا، والكرازة لأمتنا بكاملها، والترويج لقضية المسيح حول العالم، حتى يكون المجد لله. تذكّرْ أن هذا الفصل هو جزء من كتاب بعنوان ٩ علامات للكنيسة الصحيحة. وكما ذكرت في المقدمة، لم يكن القصد هو أن أحصر كلَّ ما يمكن أن يقال عن الكنيسة الصحيحة، بل أحاول خلال هذه الفصول التسعة أن أسترعي الانتباه إلى بعض الجوانب الهامة في حياة الكنيسة، التي تم التغاضي عنها أو حتى نسيانها في حياة المؤمنين الأمريكيين المعاصِرة.

رابطة الكنائس التي أنتمي إليها هي خير مثال على ذلك. فطبقًا لدراسة حديثة أجراها المجمع المعمداني الجنوبي، فإن الكنيسة المعمدانية الجنوبية النموذجية لديها ١٧٦ عضوًا، ولكن ٦٩ فقط من بين هؤلاء، يحضرون الاجتماع العام صباح الأحد(٢). أين المئة والثلاثة عشر عضوًا الباقون؟ هل كلهم مرضى في البيت، هل كلهم في المصحة، أو في الكلية؟ هل كلهم يقضون عطلة، أو يخدمون في الجيش؟ ربما بعضهم كذلك، ولكن هل المئة والثلاث عشر كلهم هكذا؟ ما الرسالة التي تقدِّمها مثل هذه الكنائس عن المسيحية للعالم من حولنا؟ ما الذي يمكن أن نفهمه من ذلك عن أهمية المسيحية في حياتنا؟ وما هي الحالة الروحية لهؤلاء الذين لم يذهبوا للكنيسة منذ شهور وربما أكثر؟ وهل عدم حضورهم هذا يعنينا حقًا؟

في هذا الفصل سنتناول ثلاثة أسئلة:

ما هي الكنيسة؟

لماذا ننضم إلى كنيسة؟

ما الذي تتطلبه عضوية الكنيسة ؟

ما هي الكنيسة؟

إن كلمة كنيسة لا تشير فحسب إلى وحدة تنظيمية لديانة معينة. فأنت لن تسمع أحدًا يقول «كنائس» بوزية، أو «كنائس» يهودية. ولكن كلمة كنيسة بهذا المعنى هي كلمة مسيحية خالصة. وكلمة كنيسة في معناها الأساسي لا تشير إلى مبنى، وإن كانت تشير إلى ذلك في معناها الثانوي. فالمبنى هنا ببساطة هو حيثما تجتمع الكنيسة، ومن ثم كانت التسمية البيوريتانية (التطهرية) لمبنى الكنيسة في نيو إنجلاند: «بيت الاجتماع». فقد بدت الكنائس الأولى في نيو إنجلاند مثل بيوت كبيرة من الخارج؛ فقد كانت بيوتًا تجتمع فيها الكنائس.

وبحسب العهد الجديد، فإن الكنيسة في الأساس هي جماعة من الناس الذين أقروا وقدَّموا الدليل على أنهم خَلُصُوا بنعمة الله وحدها، لمجد الله وحده، بالإيمان وحده، بالمسيح وحده. هذه هي كنيسة العهد الجديد؛ لذلك هي ليست مبنى. فلم يكن لدى المسيحيين الأوائل أي مبانٍ، لما يقرب من ثلاثة قرون بعد أن بدأت الكنيسة. الكنيسة هي مجموعة محلية من الناس المكرَّسين للمسيح، الذين يجتمعون بصورة منتظمة، حيث يوعَظ بكلمة الله، وحيث تُطاع كلمة الله، بما في ذلك وصايا المسيح عن المعمودية وممارسة العشاء الرباني بانتظام.

بضعة مقاطع في العهد الجديد تشير إلى الكنيسة بمعناها المجرد أو العام، بينما الغالبية الساحقة من الإشارات للكنيسة، تدل على مجموعة محلية حية ومتحابة تتألف من الناس المكرَّسين للمسيح ولبعضهم بعضًا. هذا هو ما تعنيه كلمة كنيسة مِرارًا وتكرارًا في العهد الجديد. فهي جسدٌ يمكن إقصاؤك منه (استبعادك)، و بالتالي يمكن أيضًا أن تنضم إليه. فكِّر في هذا: إن لم يكن هناك طريقة يتم بها إقصاؤك من الكنيسة المحلية التي تحضرها حاليًا، فربما يكون السبب وراء ذلك هو أنك لم تنضم إليها في الأساس كما قصد الكتاب.

واحدة من الملاحظات الهامشية المثيرة التي أبداها المؤرخون: هي فكرة أن الكنيسة مجتمعٌ من المؤمنين الذين يربطهم ميثاق معين، وأنها ليست ببساطة لكل الساكنين في منطقة معينة، هذه الفكرة هي إسهام قيِّم أسهم به المعمدانيون على وجه الخصوص لصالح الحرية الدينية لأمتنا. فالكنيسة ليست في النهاية شيئًا مخصصًا لك ولكل أعضاء أسرتك عن طريق النسب الطبيعي الجسدي. أو أنها ملكٌ لك لأنك أحد مواطني هذه الأمة. وبالرغم من أن الجميع مرحَّب به للحضور، إلا أن العهد الجديد يعلِّمنا أن الكنيسة في غرضها وعضويتها هي للمؤمنين، لهؤلاء الذين أُعطاهم الروح القدس الولادةً الجديدة، الذين انضموا معًا في جماعة يربطها عهد. توجد في أمريكا اليوم قوانين تسمح لهذه الكنائس أن تتصرف بحرية. والبعض من غير المؤمنين يخشى من أن المؤمنين يسعون إلى نوع من الكنائس

الرسمية أو «المُعترف بها رسميًا» في أمريكا. ولكن المؤمنين الذين ورثوا هذا الفهم المعمداني للكنيسة هم في الحقيقة من أشد الخصوم لفكرة الكنائس «المُعترف بها رسميًا». فإنّ فهمنا هذا للكنيسة لن يسمح بذلك. بل بالحري، نرغب في أن يُكرز لأمتنا بالإنجيل من خلال الكنائس التي يُسمح لها أن تتصرف بحرية كجماعة من المؤمنين بالمسيح.

حين تقرأ قصص الكنائس الباكرة المدونة في سفر الأعمال، لن تجد أيَّ دليل على أنه قُصد لأي منها أن تضم بين أعضائها أحدًا سوى المؤمنين. وحين تقرأ رسائل بولس، يبدو واضحًا أن بولس أيضًا كتب رسائله كما لو أن هذه الكنائس تتألف بكاملها من مؤمنين؛ ومن ثمَّ كان يخاطبهم بقوله: «القديسين، المختارين من الله». فالكنيسة هي جسد المسيح، جماعة محلية من المؤمنين المكرسين للمسيح ولبعضهم بعض.

لماذا ننضمُّ إلى كنيسة؟

إن أي متخصص في نمو الكنيسة سيخبرني بأن دعوتنا للناس للانضمام إلى كنيسة هي أمر من الخطإ تمامًا أن نفعله اليوم. وكان سيحذرني قائلًا: «مارك! قد تتسبب في إثارة سخطهم. لماذا لا تتجاوز فحسب عن هذا الموضوع؟» ولكني أظن أن هذا الموضوع هو موضوع حتمي بالنسبة لكنائسنا، وبالنسبة لنا كمؤمنين اليوم. فعضوية الكنيسة موضوع مصيري لفهم ما الذي يدعونا المسيح له باعتبارنا تلاميذه. فالانضمام إلى كنيسة لن يُخلِّصنا، مثلما لن تخلصنا أعمالنا الصالحة، أو تعليمنا، أو ثقافتنا، أو صداقاتنا، أو مساهماتنا المالية، أو معموديتنا. فلا ينبغي أن يسعى غير المؤمنين إلى الانضمام إلى كنيسة، بل أن يسعوا ليعرفوا أكثر عن معنى أن يكون الإنسان مؤمنًا.

لكن السؤال لمن يُقرُّون بأنهم مؤمنين بالمسيح: ماذا يعني أن تحيا الحياة المسيحية؟ وهل نحن نحيا الحياة المسيحية بمفردنا؟ وهل هي تتعلق فقط بفضائلنا

الفردية المستقلة، أو انضباطات روحية نعمل على تنميتها؟ هل تتعلق بحقيقة أننا أمناء في العمل، أو أننا لا نخون شركاء حياتنا، أو أننا نؤمن بأن أمورًا محددة هي الأمور الحقيقية؟

ربما هذا الأمر لا ينطبق عليك. ربما تعرف أن الحياة المسيحية هي أن تحتوي الآخرين. ولكن من هم هؤلاء الآخرون؟ هل هم الآخرون الذين في العمل، أم أنهم النساء الأخريات اللاتي في حلقات درس الكتاب النسائية، أو أولئك الأصدقاء من أيام الدراسة، أو مجموعة زملائك الذين كانوا يدرسون معك في الكلية؟ من هم المؤمنون الذين نحن مدعوون أن نرتبط بهم؟ إن الكنيسة هي لكل مؤمن. والكنيسة ليست مجموعة متجانسة، تتمركز حول مهمة ثانوية مثل الكرازة لطلاب الجامعة، أو نشر مجلة. الكنيسة المسيحية ليست لك فقط أو لأصدقائنا فقط، بل هي لكل المؤمنين.

إن مسئوليات وواجبات أعضاء أي كنيسة محلية هي ببساطة مسئوليات وواجبات المؤمنين[٣]. أعضاء الكنيسة، شأنهم شأن المؤمنين، عليهم أن يعتمدوا وأن يحضروا مائدة الرب بصفة منتظمة. يجب أن نسمع كلمة الله وأن نطيعها. يجب أن تكون لنا شركة معًا بصورة منتظمة من أجل بنيان أحدنا الآخر. يجب أن نحب الله، ونحب بعضنا بعضًا، ونحب أولئك الذين من خارج دائرة شركتنا، ويجب أن نُبرهن على ثمر الروح (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). يجب أن نعبد الله في كل أنشطة البيت، والعمل، والمجتمع، والحياة[٤].

المؤمنون لديهم أيضًا واجبات خاصة تتعلق بشعب الكنيسة. «إن المسيحية هي أمر جماعي، والحياة المسيحية لا يمكن بلوغ كمالها إلا بالعلاقة مع الآخرين»[٥]. ومن أكثر الواجبات الأساسية المكلَّف بها المؤمنون، والتي لها علاقة بشعب الكنيسة، هي واجب المواظبة على حضور اجتماعات شعب الكنيسة (انظر عبرانيين ١٠: ٢٥؛ وقارن مزمور ٨٤: ٤، ١٠؛ أعمال ٢: ٤٢).

بصفة عامة، يمكن تقسيم واجبات عضو الكنيسة إلى واجبات تجاه الأعضاء الآخرين، وواجبات تجاه الرعاة.

مثلث العضوية

(رسم توضيحي)

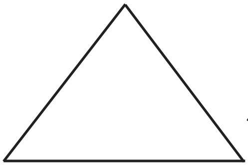

تُطبِّق عضوية الكنيسة ما يعلمه الكتاب المقدس بشأن الالتزامات الواعية التي يجب أن توجد في الكنيسة. هذا الالتزام هو بين كل فرد مؤمن، وراعي كنيسته، وجماعة محددة من المؤمنين.

إن واجبات ومسئوليات أعضاء الكنيسة أحدهم تجاه الآخر تُلخِّصُ حياة المجتمع الجديد، الذي هو الكنيسة. وبصفتهم أتباع يسوع المسيح، ينبغي أن يحب المؤمنون بعضهم بعضًا (يوحنا ١٣: ٣٤، ٣٥، ١٥: ١٢-١٧؛ رومية ١٢: ٩-١٠، ١٣: ٨-١٠؛ غلاطية ٥: ١٤، ٦: ١٠؛ أفسس ١: ١٥؛ ١ بطرس ١: ٢٢، ٢: ١٧، ٣: ٨، ٤: ٨؛ ١ يوحنا ٣: ١٦، ٤: ٧-١٢، قارن مزمور ١٣٣). فالمؤمنون هم أعضاء عائلة واحدة، بعضهم لبعض (١ كورنثوس ١٢: ١٣-٢٧). فلو غابت حياة محبة أحدنا تجاه الآخر، فأي واجب آخر لأعضاء الكنيسة يمكن أن يكون مشبعًا أو يجدي نفعًا؟ فالمحبة تُلزِم أعضاء الكنيسة بأن يتجنبوا أي شيء «من شأنه أن يجعل محبتنا تفتر»[٦]. فطبيعة الإنجيل نفسه تظهر من خلال هذه المحبة.

وأعضاء الكنيسة أيضًا ملزمون بأن يطلبوا السلام والوحدة بين شعب كنيستهم (رومية ١٢: ١٦، ١٤: ١٩؛ ١ كورنثوس ١٣: ٧؛ ٢ كورنثوس ١٢: ٢٠؛ أفسس ٤: ٣-٦؛ فيلبي ٢: ٣؛ ١ تسالونيكي ٥: ١٣؛ ٢ تسالونيكي ٣: ١١؛ يعقوب ٣: ١٨، ٤: ١١). فالرغبة في السلام والوحدة ينبغي أن تنبع تلقائيًا من الالتزام بالمحبة (رومية ١٥: ٦؛ ١كورنثوس ١: ١٠-١١، أفسس ٤: ٥، ١٣؛ فيلبي ٢: ٢؛ قارن صفنيا ٣: ٩). علاوة على ذلك، إن كان المؤمنون يتشاركون في روح واحد وفكر واحد - روح المسيح - فالوحدة إذًا ستكون تعبيرًا طبيعيًا عن هذا الروح. ومع الأخذ في الاعتبار أن الخطية ستظل موجودة في المؤمنين في هذه الحياة، فإن الوحدة في مرات كثيرة ستتطلب جهدًا. وبالتالي، فإن المؤمنين «يثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ» (فيلبي ١: ٢٧). فالتحزب والشِّقاق يجب أن نتجنبهما بكل اجتهاد (أمثال ١٧: ١٤؛ متى ٥: ٩؛ ١كورنثوس ١٠: ٣٢، ١١: ١٦، ٢كورنثوس ١٣: ١١؛ فيلبي ٢: ١-٣).

تتَّضح المحبة وتتأصَّل الوحدة حين يتعاطف أعضاء الكنيسة مع أحدهم الآخر بطريقة فعالة. كما يحض بولس مؤمني رومية: «فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ» (رومية ١٢: ١٥؛ قارن أيوب ٢: ١١؛ إشعياء ٦٣: ٩؛ ١كورنثوس ١٢: ٢٦؛ غلاطية ٦: ٢؛ ١تسالونيكي ٥: ١٤؛ عبرانيين ٤: ١٥، ١٢: ٣). ثم تأتي واجبات أخرى:

- **أن يعتني أحدنا بالآخر جسديًا وروحيًا (متى ٢٥: ٤٠؛ يوحنا ١٢: ٨، أعمال ١٥: ٣٦، ١٥: ٢٦؛ ١كورنثوس ١٦: ١-٢؛ غلاطية ٢: ١٠، ٦: ١٠؛ عبرانيين ١٣: ١٦؛ يعقوب ١: ٢٧؛ ١يوحنا ٣: ١٧؛ تثنية ١٥: ٧-٨، ١١)**
- **أن يلاحظ أحدنا الآخر، ونحتسب أنفسنا مسئولين عن أحدنا الآخر (رومية ١٥: ١٤؛ غلاطية ٦: ١-٢؛ فيلبي ٢: ٣-٤؛ ٢تسالونيكي ٣: ١٥؛ عبرانيين ١٢: ١٥؛ قارن لاويين ١٩: ١٧؛ مزمور ١٤١: ٥)**
- **أن نعمل لبنيان أحدنا الآخر (١كورنثوس ١٤: ١٢-٢٦؛ أفسس ٢: ٢١-٢٢، ٤:**

١٢–٢٩؛ ١تسالونيكي ٥: ١١؛ ١بطرس ٤: ١٠؛ ٢بطرس ٣: ١٨)

- **أن يحتمل أحدنا الآخر (متى ١٨: ٢١–٢٢؛ مرقس ١١: ٢٥؛ رومية ١٥: ١؛ غلاطية ٦: ٢؛ كولوسي ٣: ١٢)، بما في ذلك أن لا يقاضي أحدنا الآخر (١كورنثوس ٦: ١–٧)**
- **أن يصلي أحدنا للآخر (أفسس ٦: ١٨؛ يعقوب ٥: ١٦)**
- **أن نبتعد عن أولئك الذين من شأنهم أن يدمروا الكنيسة (رومية ١٦: ١٧؛ ١ تيموثاوس ٦: ٣–٥؛ تيطس ٣: ١٠؛ ٢يوحنا ١٠–١١)**
- **أن نرفض تقييم الناس بالمقاييس الأرضية (متى ٢٠: ٢٦–٢٧؛ رومية ١٢: ١٠–١٦؛ يعقوب ٢: ١–١٣)**
- **أن نجاهد معًا من أجل الإنجيل (فيلبي ١: ٢٧؛ يهوذا ٣)**
- **أن نكون قدوة بعضنا لبعض (فيلبي ٢: ١–١٨)**

وأعضاء الكنيسة لديهم أيضًا واجبات محددة نحو قادة الكنيسة، بالتوازي مع واجبات هؤلاء القادة نحو الأعضاء. وكما قال بولس لأهل كورنثوس: «هكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ، وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ» (١كورنثوس ٤: ١). يجب أن نحترم القادة في الكنيسة، ونعطيهم التقدير اللائق بهم، ونكرمهم (فيلبي ٢: ٢٩؛ ١تسالونيكي ٥: ١٢–١٣). فكما أن المؤمنين ينتظرون من راعي الكنيسة أن يفي بمسئولياته الكتابية، يجب على أعضاء الكنيسة أيضًا أن يعرِّفوه بأنفسهم. ويجب أن يحسبوه عطيةً من المسيح للكنيسة لفائدتهم. هذا مشابه للطريقة التي كان يتم التعامل بها مع الرسل؛ بصفتهم ممثِّلين عن المسيح (لوقا ١٠: ١٦؛ قارن ١كورنثوس ١٦: ١٠). فخادم الكلمة هو وكيل بيت الله وراعٍ لقطيع الله خاضع للراعي الكبير. فهو يخدم عن طيب خاطر وبِنَشَاطٍ (١بطرس ٥: ١–٣). وسُمْعَتُه يمكن بل ويجب أن تكون مُصانة، وكلمته تُصدَّق، ووصاياه تُطاع ما لم تتعارض مع الكتاب أو أن تكون بكل وضوح قد حرَّفت حقائق (عب ١٣: ١٧، ٢٢؛ ١تيموثاوس ٥: ١٧–١٩). فالخادم الأمين يجب أن يُحترم، ببساطة لأنه

يقدِّم كلمة الله لشعب الله؛ ولا يُبدِّلها بكلامه هو.

ينبغي أن يتذكر أعضاء الكنيسة قادتَهم ويتمثلوا بسيرتهم وإيمانهم (١كورنثوس ٤: ١٦، ١١: ١؛ فيلبي ٣: ١٧؛ عبرانيين ١٣: ٧). فالمعلمون والوعاظ الصالحون يُحسبون أهلًا لكرامة مضاعفة، وفقًا لما قاله بولس في ١ تيموثاس ٥: ١٧، وهذا يشمل أيضًا الدعم المادي. (فكلمة «كرامة» المستخدمة في ١ تيموثاوس ٥: ١٧ تتضمن دلالات مالية واضحة. انظرْ أيضًا أعمال ٦: ٤؛ ١كورنثوس ٩: ٧-١؛ غلاطية ٦: ٦) وينبغي أن يُكرِّس أعضاء الكنيسة أنفسَهم للصلاة من أجل خدامهم، ولمساعدتهم في كل أمرٍ قدر المستطاع (أفسس ٦: ١٨-٢٠؛ كولوسي ٤: ٣-٤؛ ٢ تسالونيكي ٣: ١؛ عبرانيين ١٣: ١٨-١٩). فخدام الكلمة وُكِّلوا بمهمة تقديم كلمة الله لشعب الله. وكما قال بولس لأهل كورنثوس: «إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢ كورنثوس ٥: ٢٠).

لستَ بعد مقتنعًا؟ دعني أُبسِّط لك الأمر قليلًا. ستجد لاحقًا خمسة أسباب جيدة للانضمام إلى كنيسة تعظ بالإنجيل وتُجسد الحياة المسيحية (وربما تأتي أنت بالمزيد من الأسباب).

١- لنطمئن أنفسنا:

لا ينبغي أن تنضم إلى الكنيسة لتَخلُص، بل ربما ترغب في الانضمام ليتسنى لك أن تتأكد من أنك خلصت. وتذكرْ كلمات يسوع:

> **اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي . . . إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ . . . أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ . . . إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ. (يوحنا ١٤: ٢١؛ ١٥: ١٠، ١٤؛ ١٣: ١٧).**

كان من الممكن أن أقتبس الكثير من كلمات يسوع التي تُعلِّمنا كيف ينبغي أن نتبعه، وكيف يجب أن نكون حريصين ألا نضل أنفسنا. فبالانضمام إلى الكنيسة، نحن نطلب أن نكون مسئولين أمام الإخوة والأخوات بأن تتوافق حياتنا مع ما ننطق به بأفواهنا. نطلب من الإخوة والأخوات من حولنا أن يشجعوننا، أحيانًا بتذكيرنا بطرق الله التي رأيناه يُنجحها في حياتنا، وأحيانًا أخرى من خلال تحذيرنا حين يكون من المحتمل أن نحيد عن طاعة الله. (للمزيد عن هذا الموضوع، انظر: Jonathan Edwards's little book Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God and Mike McKinley's Am I Really a Christian?)[٧].

من السهل أن نخدع أنفسنا بالاعتقاد بأننا مؤمنون، ببساطة لأننا اتخذنا ذات مرة قرارًا مصحوبًا بالدموع، ثم انضممنا إلى كنيسة. ربما نكون قد سايرنا حياة الكنيسة لعدة سنوات، ودعَّمنا مؤسَّساتها، وصنعنا صداقات قائمة على الأنشطة، وأعجبتنا بعض الترنيمات، وشكوْنا من بعضها، لكننا قط لم نعرف المسيح حقًا. فهل لديك علاقة حية مع المسيح تغيِّر حياتك وحياة الذين من حولك؟

كيف تعرف يقينًا إن كان لديك هكذا علاقة أم لا؟ واحدة من الطرق التي تستطيع أن تكتشف بها حقيقة حياتك هو أن تسأل هذا السؤال: هل أنا فاهمٌ أن تبعية المسيح تتعلق في الأساس بكيفية تعاملي مع الآخرين، وبخاصة الآخرين الذين هم أعضاء في كنيستي؟ هل تعهَّدتُ بأن أُحبُّهم، وهل أنا أُكرِّس نفسي لذلك؟

أم أنك ادَّعيت أنك تعرف عن محبة الله من خلال المسيح، ومع ذلك تعيش بطريقة تناقض هذا الادعاء؟ هل تدَّعي أنك تعرف ذلك النوع من الحب الذي لا يعرف حدودًا، ومع ذلك تضع قيودًا وحدودًا لمحبتك للآخرين، ولسان حالك يقول: «سأذهب إلى هذا الحد، ولكن لن أذهب لأبعد من ذلك»؟

إن الادعاء بالمحبة هذا، دون أن تسانده حياةٌ، هو علامة سيئة. ومع ذلك، لو أنك فقط تتنزه بمفردك وترفض أن تنضم إلى كنيسة، فالمؤمنون الآخرون لن

يفيدوك. فأنت تبحر بقاربك الصغير في مسارك الخاص الضيق. وسوف تحضر الكنيسة حين تُعجبك العظات، سوف تأتي للكنيسة حين تعجبك الموسيقى، أو حين يعجبك أي شيء آخر تعمله الكنيسة، وبعدها تواصل إبحارك خارجًا لمكان آخر تذهب إليه حين ترغب في شيء آخر.

إن عضوية الكنيسة المحلية ليست إضافةً بالية عفى عليها الزمن وغير ضرورية، نضيفها لعضويتنا الحقيقية في جسد المسيح الكوني الجامع؛ بل قد قُصِد لعضوية الكنيسة المحلية أن تكون شهادةً نشهد بها عن عضويتنا في الكنيسة الكونية الجامعة. إن عضوية الكنيسة لا تُخلِّص أحدا ولكنها انعكاس للخلاص. وإن لم يكن هناك انعكاس لخلاصنا، فكيف لنا أن نتأكد من أننا خلُصنا؟ حسبما وضَّح يوحنا: «إِنْ قَالَ أَحَدٌ:«إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يوحنا ٤: ٢٠).

حين نصبح أعضاء في الكنيسة، فإننا بذلك نمسك بيد أحدنا الآخر، لكي يعرف كل واحد منا الآخر. ونصير متفقين على أن يساعد أحدنا الآخر ويشجعه حين نحتاج أن يذكِّرنا أحد بمعاملات الله في حياتنا، أو حين نحتاج أن يواجهنا أحد لوجود تناقضات فجة بين ما نقوله وما نفعله.

٢- لنكرز للعالم بالإنجيل

سبب آخر لوجوب انضمامك إلى كنيسة محلية هو الكرازة للعالم. فحين نعمل معًا، يُمْكننا أن ننشر كلمة الإنجيل بصورة أفضل في الداخل والخارج. يمكننا أن نفعل ذلك بكلماتنا، ونحن نشارك البشارة مع الآخرين، وكذلك حين نساعد الآخرين أن يفعلوا ذلك. الكنيسة المحلية هي بالطبيعة مؤسسة إرسالية. ونحن ندعم امتداد هذه الإرسالية بأفعالنا، بإظهار محبة الله عن طريق تسديد الاحتياجات المادية لليتامى وغيرهم من المحرومين.

نحن نروِّج للإنجيل من خلال تعاوننا، حتى نأخذ الإنجيل لأولئك الذين إلى الآن لم يسمعوا رسالته، وأيضًا بجعل الإنجيل مرئيًا للعالم من خلال الطريقة التي نحيا بها. فهؤلاء الذين لم يَخْلُصوا بعد يروننا، وحين يروننا من المنتظر أن يروا شيئًا من الإنجيل. وعلى الرغم من أننا لسنا كاملين، ولكن إن كان روح الله يعمل فينا حقًا، فإنه سيستخدم حياتنا ليُظهر للآخرين حقيقة إنجيله. هناك دور مميز نحن مكلَّفون به الآن، وسيتوقف هذا الدور حين نذهب إلى السماء. هذا الدور هو أن نكون جزءًا من خطة الله، وأن نأخذ إنجيله إلى العالم. فإن كنت تقرأ هذا ولم تنضم بعد إلى هذه المهمة العظيمة، افعل هذا اليوم.

٣- لنفضح الأناجيل المزيفة

من خلال تفاعلنا مع مؤمنين آخرين، نُظهر للعالم ما هي المسيحية حقًا؛ إذ نبدِّد تلك الفكرة الزائفة بأن المؤمنين هم أناس يتسمون، وبطريقة مقززة، بالبر الذاتي، ويزعجهم أنَّ شخصًا ما في مكان ما ينعم ببعض المرح، وأنهم، فوق كل ما يؤمنون به، يؤمنون بصلاحهم. هذا هو ما يظنه العديد من غير المسيحيين عن المسيحية. نستطيع أن نحارب هذه الصورة الزائفة بأن يكون لدينا كنيسة لا تتسم بهذا التوجه.

منذ عدة سنوات، قمت بزيارة لإحدى قريباتي والتي لم أكن قد رأيتها منذ الطفولة. وحين أفصحتُ لها عن خطتي بأن أصبح واعظًا معمدانيًا، لم يلق ذلك استحسانها. فقد صمَتَتْ ثم نَظَرَت للأسفل باتجاه فنجان القهوة الممسكة به، وقالت: «لقد تخليتُ عن فكرة الديانة المنظَّمة. وأظن أنني قررت بأن الكنائس ما هي إلا جُحور أفاعي».

– فقلت: "حقًا؟"

– قالت: "نعم"

– قلت لها: "هل تظنين حقًا أن الذين في العالم بالخارج أفضل كثيرًا إلى هذا الحد؟".

– ففكَّرَتْ للحظة ثم قالت: "حسنًا، أظن لا، هم أفاعي أيضًا. ولكنهم على الأقل يعرفون أنهم أفاعي".

– فقلت لها: "ربما يفاجئكِ كم أنا متفق معكِ. أنا أعرف أن العالم بالخارج هو جحر للأفاعي. وأعلم أن الكنيسة أيضًا هي جحر للأفاعي. ولكن يكمن الاختلاف في أنني لا أظن حقًا أن العالم بالخارج يعرفون أنهم أفاعي. بينما أظن أننا نحن المؤمنين بالمسيح نعرف أننا كذلك، وأن هذا هو سبب ذهابنا إلى الكنيسة؛ لأننا نعرف أننا بحاجة للمساعدة، ونعرف أننا متكلون على الله، إذ أننا مخلَّصون بنعمته فقط".

لا نملك ما نقدمه لخلاصنا سوى خطايانا، فلا بد أن تكون محبة الله التي في المسيح هي التي تخلصنا. فهو جاء وعاش حياةً بلا عيب لأجلنا، ومات على الصليب بدلًا عن كل الذين قد يلتفتون يومًا ويؤمنون به، وقام منتصرًا على الموت وعلى الخطية. وإيماننا فيه وحده هو وسيلة خلاصنا.

لذلك انضم إلى كنيسة تؤمن بهذا الإنجيل. انضم مع مؤمنين آخرين في علاقة عهدٍ تهدف لإعلان الحق.

٤- لبنيان الكنيسة

سبب رابع لانضمامك إلى كنيسة هو أن تساعد في بنيان أو نمو المؤمنين الآخرين. فالانضمام إلى الكنيسة سوف يساعد على مقاومة فرديتنا الخاطئة، وسوف يساعدنا على إدراك الطبيعة الجماعية للمسيحية.

نحن نحتاج أن نتخلى عن محاولة أن نحيا الحياة المسيحية بمعزل عن الآخرين. نحتاج أن نتشارك معًا في عهد مع الآخرين بأن نتبع يسوع. فالمؤمنون يجب

أن يكفُّوا عن الأنانية في فهمهم للحياة المسيحية. فالحياة المسيحية لا تتعلق فقط بك أنت وبأولئك الذين تحاول أن تصل إليهم شخصيًا برسالة الإنجيل. فمشيئة الله لك أيضًا أن تكون عضوًا مُكرَّسًا للمساعدة على صناعة تلاميذ من رَعِيَّته، من الذين خلَّصهم.

إن التزمت بالانضمام لكنيسة، فأنت بذلك تكرِّس نفسك لجماعة مؤمنين محلية سوف يحاولون مساعدتك على النجاح وتجاوز التحديات والمشاكل. ولذلك، على سبيل المثال، لو تبيَّنَ أن لديك مشكلة مع النميمة، فإن إخوتك وأخواتك سيحاولون أن يتحدثوا إليك بخصوص ذلك. ولو أنك محبَط وخائر القوى، فإن إخوتك وأخواتك سيعملون على تشجيعك.

يُظهر العهد الجديد بوضوح أن اتِّباعنا للمسيح يجب أن يتضمن الرعاية والاهتمام ببعضنا ببعض. فذلك يشكل جزءًا مما يعنيه كونك مؤمنًا. وعلى الرغم من أننا نؤدي ذلك بصورة منقوصة، فعلينا أن نكون مكرَّسين لبنيان بعضنا بعضًا، ما يؤدي إلى بنيان الكنيسة.

كان لي صديق يعمل في خدمة مسيحية موجَّهة لشباب الجامعات. وكنت قد تعرفت عليه أثناء حضوره الكنيسة التي كنت عضوًا بها. وكان دائمًا ما يتسلل إلى الاجتماع فور انتهاء فقرة الترانيم، ويجلس حتى انتهاء العظة، ثم يغادر بعدها. فسألته ذات يوم لماذا لا يحضر الاجتماع كله.

فكانت إجابته: «حسنًا، أنا لا أجد فائدة من باقي فقرات الاجتماع».

فكان ردي: «هل فكَّرتَ يومًا في الانضمام إلى الكنيسة؟».

فظنَّ أن هذا تعليقًا سخيفًا، وقال: «ولماذا أنضم إلى كنيسة؟ لو أنني انضممت إلى كنيسة، فأنا أظن أنهم سيبطئون من مسيرتي الروحية».

فسألته: «ألم يخطر ببالك قط أن الله ربما يرغب في أن تمد أنت ذراعيك لهؤلاء الناس الآخرين، ورغم أنهم قد يبطئونك قليلًا، إلا أنك قد تساعدهم في أن يسرعوا، وأن هذا جزء من خطة الله بشأن الكيفية التي يجب أن نحيا بها معًا كمؤمنين؟».

بالتأكيد أنت لا تنضم إلى كنيسة لأنك كامل وأنك ذاهب فقط لتجلب الفائدة للكنيسة. فكلما انضممت إلى كنيسة فإنك ستجلب إليها المشاكل! ولكن لا تدع ذلك يوقفك؛ فالكنيسة لديها مشاكل مسبقًا! وهذا هو سبب وجود المؤمنين في الكنائس. أنا لديَّ مشاكل وأنت لديك مشاكل. ولكننا ندرك أن يسوع هو الرب، وأن روحه بداخلنا قد ابتدأ بالفعل في العمل على حل هذه المشاكل. فدعنا نقول على سبيل المثال، أنك مريض بجنون الارتياب؛ أي أنك حقًا لا تثق في أحد البتة. ومن خلال المسيح، يمكن أن يبدأ الله يُظهر لك أنه جديرٌ بالثقة، وأن الآخرين يمكنهم أن يكونوا جديرين بالثقة أيضًا. ومن مشكلة تلو الأخرى، سترى الله يعمل في حياتك. وببطء، وبطريقة غير محسوسة أحيانًا، ولكن بشكل متعمد سيتعامل الله مع مشاكلك، وعلى الأرجح سيفعل ذلك من خلال كنيسته.

ببساطة لن يفيد المؤمنين أن يكونوا متمركزين حول أنفسهم، حتى وإن كان ذلك باسم المسيح. فليس الله مهتمًا فقط بطول خلوتك الصباحية وانتظامها، بل يهمه أيضًا كيف تعامل الآخرين؛ والذي يتضمن كيفية معاملة الآخرين ممن لا تجمعك بهم أي أمور مشتركة سوى يسوع المسيح. وهذا هو السبب الذي من أجله يلزمك أن تستثمر حياتك في الآخرين وتسمح للآخرين أن يستثمروا حياتهم فيك. فكونك عضوًا في كنيسة يجب أن يغرس فيك اهتمامًا ملتزمًا نحو الآخرين. فأن تنمو كمؤمن ليس شأنًا فرديًا فحسب، بل بالحري هو شأنُ الكنيسة كلها.

يتميز هذا المقطع الكتابي (عبرانيين ١٠: ١٩–٢٥) بالدعوة الجماعية، إذ يكرر الكاتب اللام الطلبية أي لام الدعاء مثل «لنتقدم» في كل المقطع. وهي آيات جيدة

للتأمل فيها، في ثقافة عصرنا الفردانية هذه:

> «فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإخوة ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ، وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ، لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ. لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخًا، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ. وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ».

إن عضوية الكنيسة هي فرصة لنا لنمسك بعضنا ببعض بمسئولية ومحبة. فحين نعَرِّف أنفسنا بارتباطنا بكنيسة معينة، فنحن ندع الرعاة وباقي الأعضاء يعرفون أننا ننوي الالتزام بالحضور، والعطاء، والصلاة، والخدمة. نحن نسمح لرفقائنا المؤمنين أن يتبنوا توقعات أكبر بشأننا، في هذه المجالات، ونعلمهم بأننا صرنا مسئولية الكنيسة المحلية. إننا نُطَمئِن الكنيسة من ناحية تكريسنا للمسيح بالخدمة معهم، ونطلب تكريسهم لخدمتنا وتشجعينا أيضًا.

هذا المفهوم الخاص بحياة الكنيسة نراه أيضًا في تشبيه بولس للكنيسة المحلية بالجسد. ونراه أيضًا في مقاطع الكتاب التي تتحدث عن «معًا» و «بعضنا بعضًا».

فالانضمام إلى كنيسة يزيد من إحساسنا بالمِلكية تجاه عمل الكنيسة، ومجتمعها، وميزانيتها، وأهدافها. نحن ننتقل من كوننا مستهلكين مدلَّلين إلى مُلَّاك سعداء. فنكف عن الحضور متأخرًا، ونتوقف عن الشكوى من أننا لا نحصل بالضبط على ما نريده، وبدلًا من ذلك نصل مبكرًا لنحاول أن نساعد الآخرين فيما يحتاجونه. وينبغي أن نبدأ في النظر إلى العضوية ليس باعتبارها انتسابًا غير ثابت، غير نافع إلا في بعض المناسبات، بل بالحري مسئولية منتظمة، أن نصبح منخرطين أحدنا

في حياة الآخر من أجل أهداف الإنجيل.

يبدو أن العديد من المؤمنين اليوم قد نسُوا عضوية الكنيسة، أو أنهم قد نسوا الكنيسة برمتها. ولهذا السبب تجد بعض الكتب المسيحية تتحدث عن النمو كمؤمن، بينما تغفل تمامًا أي دور للكنيسة.

في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الغرض من المواهب الروحية هو «بنيان الكنيسة» (١كورنثوس ١٤: ١٢). ينبغي أن يكون هذا واحدًا من أهم أهداف حياتك المسيحية. فإن كنت تظن أنه ليس لديك ما تفعله كمؤمن، فلا بد أنه فاتك ذلك الهدف. فبحسب بولس، هذا ينطبق على كل مؤمن.

إن الاندماج في الكنيسة هو امتياز مجيد، وفائدة عملية. فالانضمام إلى كنيسة يساعدك أن تشجع وتبني رفقاءك المؤمنين وكذلك أن تتشجع وتُبنى بهم. كما سيساعدك أنت والآخرين في جهادك مع التجربة. ففي كنيستي المحلية نحن نتعهد معًا بما يلي:

> **سنسلك معًا في المحبة الأخوية، وإذ نصبح أعضاء في كنيسة مسيحية؛ فإننا سنولي رعاية حنونة واهتمامًا بعضنا ببعض، وبكل أمانة سننصح ونناشد بعضنا بعضًا، حسبما يقتضي الأمر.**

ماذا عنك؟ هل تحب شعب الله؟ هل تشعر بميل إيجابي نحوهم، هل تعطيهم فعلًا وبنشاط؟ هل تستخدم لأجلهم ذراعيك؟ ومالك؟ وشفتيك؟

إن التلمذة في الكنيسة هي مشروع فردي، ونشاط جماعي على حد سواء، فيما نتبع المسيح ونساعد بعضنا بعضًا طوال الطريق. نستطيع أن نحسب أنفسنا مسئولين بعضنا عن بعض في وقت التجربة. يمكننا أن ندرس كلمة الله معًا لنُعدَّ أنفسنا للحرب الروحية. يمكننا أن نرنم معًا تسبيحات لله ونصلي معًا. يمكننا أن ندعم فرح بعضنا البعض، ونتشارك في أحمال بعضنا البعض. وكما قال لنا

يسوع: «هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ . . . بِهذَا أُوصِيكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يوحنا ١٥: ١٢، ١٧). شدَّد يوحنا على ذلك حين كتب: «يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ» (١يوحنا ٣: ١٨). فمُدَّ يد العون للمؤمنين الآخرين من حولك، لبناء الكنيسة.

٥- لنمجّد الله

أخيرًا، إن كنت مؤمنًا، ينبغي أن تنضم إلى كنيسة من أجل مجد الله. ومع أن الأمر قد يكون مفاجئًا لنا، إلا أن الطريقة التي نحيا بها قد تأتي بالمجد لله. وكما كتب بطرس لبعض المسيحيين الأوائل: «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرّ، يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا» (١ بطرس ٢: ١٢).

إنه أمر رائع، أليس كذلك؟ يمكنك أن تلاحظ هنا أن بطرس قد سمع لتعليم معلمه. تذكَّرْ ما علَّمه يسوع في الموعظة على الجبل: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السموات» (متى ٥: ١٦).

مرة أخرى، هذا الافتراض المدهش مفاده هو أن الله سيتمجد بسبب أعمالنا الحسنة. فإن كان هذا صحيحًا بالنسبة لحياتنا كأفراد، فبالتأكيد لن يفاجئنا أن يكون كذلك بالنسبة لحياتنا معًا كمؤمنين. إذ قصد الله أن تكون محبتنا بعضنا بعضًا هي ما تميزنا كأتباع للمسيح. تذكَّرْ كلمات يسوع في يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ».

إن حياتنا معًا ينبغي أن تميزنا بصفتنا ملكًا له، وأن تأتي له بالحمد والمجد.

قال يسوع: «... أَبْنِي (سأبني) كَنِيسَتِي» (متى ١٦: ٨). فإن كان المسيح

ملتزم بالكنيسة، أفلا ينبغي أن نكون نحن أيضًا ملتزمين بها؟

معظم المسيحيين الذين يحضرون بانتظام كنيسةً تعظ بالكلمة ومركزها المسيح، يشعرون بالإحباط في مرحلة ما، ولكن ينبغي أن نفكر في التزامات عضوية الكنيسة وامتيازاتها. ينبغي أن يكون أساسنا دائمًا كعائلة كنيسة محفلية هو في كينونتنا وليس فيما نفعله. فأن تنضم إلى كنيسة لا يعني أنهم احتووك ببساطة لأجل وظيفة ما بمقدورك أن تؤديها (سواء كانت لفائدتك أو لفائدة الكنيسة)، وإنما يعني أنهم تبنُّوك في عائلة. وهذه العلاقة التي تكرس نفسك لها ستأتي بالمجد لله.

هذا هو السبب من وراء انضمامك إلى كنيسة، إن كنت مؤمنًا.

ما الذي تقتضيه عضوية الكنيسة؟

بشكل أساسي، تقتضي عضوية الكنيسة حياة توبة وإيمان. أسَّسَ الله الكنيسة لتكون جماعة المؤمنين المولودين الولادة الثانية. فنعمة الله في حياتنا، التي تمنحنا التوبة والإيمان، يُميِّزها شيئان:

عمليًا: بالبدء بالمعمودية

يقدم لنا الكتاب المقدس المعموديةَ باعتبارها أولى خطوات المؤمن الجديد؛ فالعهد الجديد يفترض أن كل المؤمنين قد اعتمدوا. وفي رومية ٦ على سبيل المثال، يفترض بولس أن المؤمنين الذين يكتب لهم قد اعتمدوا جميعًا. وهذه الممارسة الكونية تستمد جذورها من وصية المسيح المسجَّلة في المأمورية العظمى (متى ٢٨: ١٨-٢٠) ومكتوبة في سفر الأعمال وفي كل مكان في العهد الجديد. وهنا لا بد أن يتساءل أحدهم: لماذا يرفض شخص ما، يقول أنه تلميذ للمسيح، أن يفعل شيئًا ما وهو عارف بوضوح أن هذا الشيء وصية. كما أبدى أحد الكُتاب ملاحظته:

> **لم تُعطَ الكنيسة السلطةَ لتصدر وصايا؛ بل واجبها هو أن تطيع الوصايا التي قد أُصدِرت بالفعل. فليس حقًا أو امتيازًا لأي كنيسة أن تعدِّل أو تقلِّل أو تُخفي**

بأية وسيلة . . . أي وصية من وصايا يسوع المسيح[٨].

إنَّ رفض المعمودية أو مائدة الرب أو أية وصية كتابية واضحة أخرى، يعني أنك ترفض أن تكون عضوًا ضمن تلاميذ المسيح، ضمن أولئك الذين يطيعون وصاياه.

كتابةً: بتوقيع قانون الإيمان وميثاق الكنيسة

بالإضافة إلى الوصايا الكتابية المذكورة أعلاه، هناك العديد من الكنائس المعمدانية وبعض الكنائس الإنجيلية الأخرى، تعبِّر كتابةً عن تعهدها تجاه الرب وتجاه بعضهم البعض. يتم ذلك بتوقيع «ميثاق الكنيسة». وهو عبارة عن اتفاق يعقده الأعضاء معًا، وبينهم وبين الله، ليحيوا الحياة المسيحية معًا في الكنيسة المحلية.

أحتفظ في مكتبي في المنزل بكتيِّب صغير ظلتْ طائفتنا تطبعه لأكثر من ستين سنة. وغرض هذا الكتيب هو تشجيع أعضاء الكنيسة الجدد. وأول شيء يرد في هذا الكتاب هو نموذج لميثاق كنيسة. وفي أسفل نموذج هذا الميثاق، يوجد مكان ليوقِّع فيه الشخص. إن التوقيع على هذا الميثاق ليس بالممارسة الجديدة؛ لكنها ببساطة ممارسة قد بدأ يبطُل استعمالها في منتصف القرن العشرين. ولكن في وقت مبكر عن ذلك، في التاريخ الأمريكي، كان هذا التوقيع ممارسة عامة. ففي كنيستنا، تجد توقيعات الأعضاء المؤسِّسين للكنيسة معلقةً في مكان بارز، أسفل الميثاق الذي عقدوه حين انضموا إلى الكنيسة. فكِّر في هذه التوقيعات، ومدى جدية أصحابها. هؤلاء الرجال والنساء اختاروا أن يقطعوا عهدًا معًا استجابةً لنعمة الله في حياتهم. هل نفعل نحن أقل من ذلك اليوم بانضمامنا إلى كنيسة؟

في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية، يحضر الناس فصولًا لشرح العضوية قبل أن تُجرَى لهم مقابلات لقبول عضويتهم. ونحن نُعلِّمهم مسئوليات العضوية الخمس التالية[٩]:

١- المواظبة على حضور اجتماعات العبادة

نقرأ في عبرانيين ١٠: ٢٥ أننا ينبغي ألا نترك «اجْتِمَاعَنَا». وهذا يعني أننا ينبغي أن نواظب على حضور الاجتماعات الأسبوعية للكنيسة. وفي كنيسة كابيتول هيل المعمدانية نجتمع أولًا في صباح الأحد، ثم نجتمع ثانية في مساء الأحد، حيث نقضي مزيدًا من الوقت في الصلاة معًا.

٢- حضور مائدة الرب، على وجه الخصوص

في لوقا ٢٢: ١٩ يوصي الرب تلاميذه بأن يَذْكُروا موته ويُخبِروا به بأن يتناولوا معًا، بطريقة منتظمة، مائدة العهد التي في العشاء الرباني. لقد صارت عادة كنيسة كابيتول هيل منذ مئات السنين أن ينظموا «اجتماعات العهد» في مساء الثلاثاء، حيث يُجدِّد الأعضاء عهدهم ويطمئنون على حالة علاقاتهم بعضهم ببعض قبل أن يتناولوا معًا مائدة الرب في الأحد التالي. في كنائس كثيرة في ذلك الوقت، كان التغيب عن مائدة الرب من دون عذر واضح يُعتبر سببًا كافيًا لفصل (استبعاد) هذا العضو من عضوية الكنيسة. في كنيستنا لا نفعل ذلك، ولكن في بعض الأحيان نتساءل إن كان يجب أن نفعل ذلك.

٣- حضور اجتماعات الأعضاء باستمرار

باعتبارنا كنيسة محفلية، فإن اجتماع الأعضاء هو وقت مهم في حياتنا معًا. هو اجتماع الكنيسة لاتخاذ قرارات ككنيسة. هذا الاجتماع هو طريقة لتتميم واجباتنا المنصوص عليها في متى ١٨.

٤- المواظبة على الصلاة

يقول بولس إننا ينبغي أن نصلي «بلا انقطاع» (١تسالونيكي ٥: ١٧). إن كان لدى كنيستك سجل بالأعضاء، أوصيك أن تفكر في استخدامه كقائمة للصلاة.

٥- المواظبة على العطاء

يمتلئ الكتاب المقدس بوصايا عن العطاء. على سبيل المثال، يُعلِّم سليمان: «أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ» (أمثال ٣: ٩، انظر ملاخي ٣: ١٠). ونجد يسوع يُعلِّم تلاميذه:

> **«أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ» (لوقا ٦: ٣٨؛ قارن ١ كورنثوس ١٦:١، ٢).**

وكتب بولس لمؤمني كورنثوس أنَّ «كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ». (٢ كورنثوس ٩: ٧).

هذه المسئوليات الخمس هي بعض مما يقتضيه أن تكون عضوًا في كنيسة.

هل يُقلقك أن هذه التوقعات العالية من الممكن أن تحبط الناس، أو تجعلم يشعرون أنهم مستبعدون؟ أنا أظن أن مثل هذه التوقعات تفيد حقًا. وأنا أقصد بهذه التوقعات العالية، أنك إذا كنت عضوًا في كنيستنا، فإننا سنعاملك كما لو كنت مؤمِنًا. سنفترض أنك تحب الله بطريقة متزايدة، وتكره الخطية، وتعيش وفقًا لذلك، وأنك تريدنا أن نساعدك على فعل ذلك.

العديد من الكنائس تقبل بحلول وسط في هذه النقطة الخاصة بالتوقعات العالية من أجل أن تحصل على فيض مفاجئ من الأعضاء، ولكن بفعلهم ذلك، ينتهي بهم الحال عادة إلى خسارة الإنجيل، وفي النهاية ينقرضون. إن ضم غير المؤمنين إلى عضوية كنيسة مسيحية سوف يؤدي حتمًا إلى تعتيم الإنجيل. فلو أن الإنجيل تم التقليل من قيمته أو خلطه بأشياء أخرى، فإن شريان حياة الكنيسة سوف ينقطع عنها، وستخسر الكنيسة بشكل متزايد كل ما يُميِّزها عن العالم غير المؤمن. وإن فَسَدَ الملح، فإنه لا يصلح بعد لشيء (متى ٥: ١٣).

إلى أي مدى إذًا يجب أن تكون كنائسنا مقصورة على أناس مُعيَّنين؟ هل يجب أن تُعدِّل كنائسنا مواعيد اجتماعاتها، ومدة عظاتها، ونمط موسيقاها من أجل غير المؤمنين الذين نرغب في الوصول إليهم؟ كم هو مقدار تجمعنا لأجل غير المؤمنين؟ هل نفهم أن اجتماعاتنا بشكل رئيسي هي من أجل الكرازة لغير المؤمنين، أم أننا نفهم أنها في المقام الأول لبنيان أعضاء جسد المسيح؟

كثيرًا ما يتساءل قادة الكنائس: إلى أي مدى ينبغي أن نشمل الآخرين؟ بالطبع يرغب الجميع في أن يشمل الآخرين؟ هذا بالتأكيد أمر يعبر عن عطف ومودة. ولكن السؤال الذي سيصل للمغذى سريعًا هو: إلى أي مدى يجب أن تقتصر الكنيسة على أناس معينين؟. هل نحتاج أن ندرك أننا قبل أن يُحضِرنا الله (إلى كنيسته) كنا بعيدين عن نعمته؟ هل هذا ما نراه في الكرازة في الكنائس الأولى في سفر الأعمال؟

أنا حقًا أخاطبُ غير المؤمنين في عظاتي كل أسبوع. على سبيل المثال، قلت مؤخرًا: «أصدقائي من غير المؤمنين، هناك فجوة محتومة بين حياتنا وحياتكم. ونحن حقًا نخدمكم بشكل أفضل إن كنا واضحين بشأن هذا الاختلاف. فإن كنتم قد استمتعتم بشعب الكنيسة، ولطفهم وتعاونهم، فهذا أمر رائع! أتمنى أن يستمر. والخبر السار هو أن هناك المزيد والمزيد، أكثر حتى مما اختبرتموه!»

«الانتماء قبل الإيمان» هي فكرة رائجة بين قادة الكنائس هذه الأيام. وبالطبع يجب أن نكون مُرحبين وودودين تمامًا مع غير المؤمنين في كنائسنا، بل ونُشركهم بشكل أعمق في حياتنا. لكن لا بد أن نحترس من أن نخبر غير المؤمنين تلك الاكذوبة اللاهوتية بأنهم ينتمون للكنيسة، بكل ما في الكلمة من معنى. فهُم لا ينتمون بكل ما في الكلمة من معنى ، ونحن نقدم لهم خدمة حين نخبرهم بذلك. لا بد أن نُظهر لغير المؤمنين أن هناك ما هو أكثر من المجتمع المسيحي الأفقي (القائم على التفاعل والعلاقات بين الناس)، أو المعنى المبهم لحضور الله وسط محفل الكنيسة.

الخاتمــة

لو أن الكنيسة مجرد مبنى، فلا بد أننا حجارة في هذا المبنى. وإن كانت جسدًا، فنحن إذن أعضاؤه؛ وإن كانت الكنيسة هي أهل الإيمان، فنحن إذن ضمن هؤلاء. خراف من القطيع، وأغصان في الكرمة. وكتابيًا، إن كنا مؤمنين، فإننا لا بد أن نكون أعضاء في كنيسة. فهذه العضوية ليست مجرد تسجيل لبيان وقَّعناه ذات مرة، أو عاطفة نحو مكان مألوف. بل لا بد أن تكون العضوية انعكاسًا لتكريس حي، وإلا فلا قيمة لها.

والأسوأ من كونها بلا قيمة، هو أنها خطيرة. فالأعضاء غير المنخرطين يسببون التباسًا لكل الأعضاء الحقيقيين، وكذلك لغير المؤمنين، بشأن ما يعنيه أن يكون المرء مؤمنًا. فنحن الأعضاء «النشطين» لا نؤدي أي خدمة للأعضاء الذين اختاروا أن يكونوا «غير نشطين» حين نسمح لهم بالبقاء في عضوية الكنيسة. فعضوية الكنيسة هي مصادقة جماعية من الكنيسة على خلاص الشخص. ومع ذلك كيف يمكن لمحفل الكنيسة أن يشهدوا عن شخص ما بأنه يُكمل سعيه بكل نزاهة بينما هم لا يرونه؟ فلو أن مجموعة من الأعضاء قد تركوا شركتنا ولم يذهبوا إلى أي كنيسة أخرى تؤمن بالكتاب المقدس، فما الدليل الذي نملكه على أنهم كانوا منَّا حقًا؟ نحن لا نجزم بالضرورة أن أناسًا غير منخرطين كهؤلاء هم ليسوا مؤمنين؛ إنما ببساطة لا نستطيع أن نؤكد أنهم مؤمنون. لسنا مضطرين أن نخبرهم أننا نعرف أنهم ذاهبون إلى الجحيم، ولكن أيضًا لا نستطيع أن نخبرهم أننا نعرف على وجه اليقين أنهم ذاهبون إلى السماء. فمثل هؤلاء المؤمنين غير المرتبطين بمكان، لا بد أن يلتصقوا بكنيسة محلية.

في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية، رأينا بنعمة الله عضويتنا وهي تصير ذات مغزى أكبر، إذ أصبح كل الأعضاء الاسميين أعضاءً فعليين. والعديد من الأعضاء قد جددوا عهدهم لحياة الكنيسة. وهناك أعضاء جدد يجري تعليمهم الإيمان. وفي

سعينا لنكون الكنيسة الصحيحة التي كنا عليها في الماضي فإن عدد الحضور قد تجاوز مرة أخرى عدد الأعضاء.

صلِّ أن تعني عضوية الكنيسة شيئًا أكثر مما تعنيه حاليًا في كنيستك، حتى تستطيع كنيستك أن تعرف بشكل أفضل مَن هم الأفراد المسئولة عنهم، وتستطيع أن تصلي لأجلهم، وتشجعهم، وتحذِّرهم.

ينبغي ألا نسمح للناس أن يحتفظوا بعضويتهم بالكنيسة لأسباب عاطفية. فكتابيًا، عضوية كهذه لا تُعد عضوية على الإطلاق. فنحن في ميثاق كنيستنا نتعهد بالتالي: "إننا، إن رحلنا عن هذا المكان، سوف نلتصق، بأسرع ما يمكن، بكنيسة أخرى، حيث نستطيع أن نحقق روح هذا الميثاق ومبادئ كلمة الله." هذا التعهد هو جزء من تلمذة صحية، وبخاصةً في عصرنا الزائل.

إن عضوية الكنيسة تعني أن تكون مندمجًا بطرق عملية في جسد المسيح. فهي تعني السفر معًا كغرباء ونزلاء في هذا العالم، ونحن متوجهون إلى موطننا السماوي. وبالتأكيد، إن علامة أخرى تميِّز الكنيسة الصحيحة هي الفهم الكتابي لعضوية الكنيسة.

في المشهد قبل الأخير من مسرحية روبرت بولت A Man for All Seasons «رجل لكل العصور»، تأتي ميج ابنة السير مور المحكوم عليه، إلى محبسه، لتقنعه بأن يقول ما يحتاج أن يقوله حتى يحرر نفسه. وتتوسل إليه ميج: "انطق إذن بكلمات هذا القَسَم، فيما تفكر في قلبك في شيء آخر". واستمرت في الجدال معه.

فيقول مور: «حسنًا ... في النهاية، إن الأمر لا يتعلق بالمنطق، بل يتعلق بالحب»[١٠].

إن الانضمام إلى كنيسة محلية معينة، هو انعكاس خارجي لمحبة داخلية للمسيح وشعبه. وكما نرى كثيرًا في هذه الحياة، أعظم حب نادرًا ما يكون مجرد حب

عفوي، وإنما بالأحرى هو شيء مخطط ومقصود ويتصف بالإخلاص.

نقرأ في أفسس ٥: ٢٥ «... أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا». وفي أعمال ٢٠: ٢٨ يُذكِّرنا بأنه اقتنى الكنيسة بدمه. فإن كنا أتباع المسيح، فسنحب أيضًا الكنيسة التي أسلم نفسه لأجلها.

لذلك، يجب ألّا تحضر إلى الكنيسة فحسب (ومع ذلك يجب أن تحضر)، بل أيضًا أن تنضم إلى الكنيسة. تعاون مع مؤمنين آخرين. وعليك أن تجد كنيسة تقدر أن تنضم إليها، وافعل ذلك حتى يستطيع غير المؤمنين أن يسمعوا ويروا الإنجيل، وحتى يتم الاعتناء بالمؤمنين الضعفاء، وحتى يوّجه المؤمنون الأقوياء طاقاتهم بطريقة جيدة، وحتى يتم تشجيع ومساعدة قادة الكنائس، حتى يتمجد الله.

لقد اعتاد المسيحيون في بلادنا أن يعرفوا كل هذا، ولكن بحلول القرن التاسع عشر، حلَّ العمل الاجتماعي بديلًا عن عمل الكنيسة. وحوَّل المؤمنون طاقاتهم من الحفاظ على كنائسهم نقيةً، إلى محاولة تنقية مجتمعاتهم. وخلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن المنصرم، تعلَّم الإنجيليون شيئًا من تقلُّب عالمنا؛ من خلال محاكمة «سكوب» الشهيرة وإلغاء الحظر*. فتراجَع «المحافظون» وحاولوا أن يحموا الإنجيل. في كل هذا الانخراط الاجتماعي خلال العقود الماضية، لم يُفقد الإنجيل، بيد أن الكنيسة كانت على وشك أن تُفقد. هذا القرن صار وبشكل كبير هو عصر النزعة الفردية المتطرفة في الكنيسة الإنجيلية الأمريكية. ونحن نصلي الآن أن نكون على وشك استرداد الكنيسة باعتبارها أداة الله العظيمة للكرازة والتلمذة والإرساليات، وغير ذلك. فمن خلال محبتنا بعضنا لبعض، تصير محبة الله للعالم ظاهرة ومرئية من جديد.

* هي محاكمة شهيرة نظمتها ولاية تينيسي عام ١٩٥٢ ضد مدرس يُدعى «جون سكوب» بتهمة انتهاك قانون « بوتلر » لحظر تعليم «نظرية التطور» في مدارس الولاية. وحازت هذه المحاكمة آنذاك على اهتمام الرأي العام بشدة. وقد ألغت الولاية فيما بعد هذا القانون والحظر المترتب عليه. (المترجم).

مصادر أخرى

- للدراسة في مجموعات:

"Committing to One Another: Church Membership"

- دراسة استقرائية مقسمة على سبعة أسابيع من خلال "9Marks".

- لتأمل أكثر عمقًا: انظر الكتب التالية

Church Membership: How the World Knows Who Represents Jesus, by Jonathan Leeman and What Is Healthy Church Membership?, by Thabiti Anyabwile

العلامة السابعة

التأديب الكنسي الكتابي

هل كل تأديب سلبي؟

ما هو التأديب الكنسي؟

ماذا يقول الكتاب المقدس عن التأديب الكنسي؟

عبرانيين ١٢: ١ - ١٤

متى ١٨: ١٥ - ١٧

كورنثوس الأولى ٥: ١ - ١١

غلاطية ٦: ١

تسالونيكي الثانية ٣: ٦ - ١٥

تيموثاوس الأولى ١: ٢٠

تيموثاوس الأولى ٥: ١٩ - ٢٠

تيطس ٣: ٩ - ١١

كيف تعامل المؤمنون في الماضي مع قضية التأديب الكنسي؟

لا يمكن لكنيستنا أن تقوم بهذا يومًا، أليس كذلك؟

أسباب ممارسة التأديب الكنسي

١. لمصلحة الشخص المطبَّق عليه التأديب

٢. لمصلحة مؤمنين آخرين، فيما يرون خطورة الخطية

٣. من أجل صحة الكنيسة ككل

٤. من أجل الشهادة الجماعية للكنيسة

٥. لمجد الله، فيما نعكس قداسته

ماذا لو لم نمارس التأديب الكنسي؟

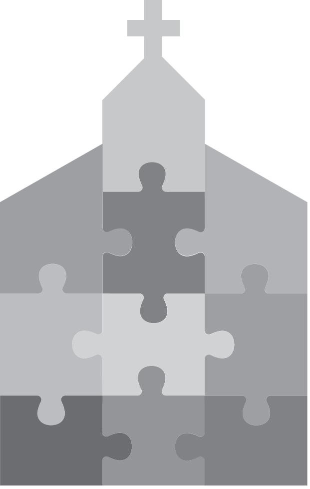

العلامة السابعة

التأديب الكنسي الكتابي

وُلدت إميلي سوليفان أوكي وتلقت تعليمها في ألباني بمدينة نيويورك، حيث عملت معلمة لاحقًا. وكما هي حال كثير من النساء الأخريات من منتصف القرن التاسع عشر، قضت إميلي قدرًا من الوقت ليس بقليل في كتابة خواطرها في شكل يوميات، ومقالات، وقصائد شعرية. وقد قامت بنشر العديد من مقالاتها وقصائدها الشعرية في صحف يومية ومجلات. وفي الواحدة والعشرين، ربما لتأثرها بمثل الزارع الذي قاله يسوع، كتبت قصيدة عن الزرع والحصاد. وبعد مرور خمس وعشرين سنة، قام فيليب بليس بتلحين تلك القصيدة في عام ١٨٧٥، وظهرت في شكل مطبوع لأول مرة تحت عنوان «ماذا سيكون الحصاد؟»[١] وقامت المجموعة الصغيرة من المؤمنين، الذين أسسوا ما سيُعرف لاحقًا بكنيسة كابيتول هيل المعمدانية، باختيار الترنيمة واعتبارها الترنيمة الأولى التي سترنم في اجتماعاتهم معًا، وذلك في فبراير عام ١٨٧٨:

نغرس البذرة في صفاء جو النهارِ

نغرس البذرة في لفحة الهجير الناري

نغرس البذرة إذ يخبو ضوء المغيب،

نغرس البذرة في ظلام الليل المهيب.

تُرى ماذا سيكون الحصاد؟

تُرى ماذا سيكون الحصاد؟

كلمات دوى صداها عبر الجدران الجرداء داخل المبنى حيث كانوا يجتمعون. كان أولئك الثلاثون يخططون للتعاهد على تأسيس كنيسة: «ماذا سيكون الحصاد؟».

في تلك الكنيسة نفسها، بعد أكثر من قرن لاحقًا، لا زلنا نقدم المساعدة لتحديد ماذا سيكون حصاد جهود المؤسِّسين. ونحن نفعل ذلك بما نعتقد به، وطريقة حياتنا، وعن طريق من نخطط لأن نراه، وما نخطط لأن نعمله، وبما نشعر به وما نهتم لأمره، وبما نقدم أنفسنا في سبيله، وما نصلي من أجل تحقيقه.

ماذا كان الحصاد، وماذا سيكون؟

وهذا يصل بنا إلى قلب سؤال هذا الفصل: هل علينا نحن المؤمنين أن نعيش كل واحد وحده، مسئول عن نفسه؟ أم أن علينا التزامًا ما بعضنا نحو بعض؟ هل يشمل التزامنا بعضنا نحو بعض مجرد تشجيع الواحد للآخر بطريقة إيجابية؟ أم أنه يشمل مسئولية التكلم بصدق كل واحد لصاحبه عن تقصيره وعيوبه، وحيدانه عن الحق الكتابي، أو عن خطايا معينة؟ هل مسئوليتنا أمام الله تشمل أيضًا عرض هذه القضايا أحيانًا علنًا أمام الجميع؟

إن الحديث عن كنيسة صحيحة قوية لا بد ان يشمل موضوع التأديب الكنسي.

هل كل تأديب سلبي؟

يبدو التأديب الكنسي موضوعًا سلبيًا للغاية، أعترف بذلك. لن نجد شيئًا يُذكر عن هذا الموضوع في «الكتاب المقدس الإيجابي»، أليس كذلك؟ حين نسمع كلمة «تأديب»، يميل تفكيرنا إلى التقويم أو إلى عقاب الأطفال بالضرب؛ يميل تفكيرنا إلى والدينا لما كنا أطفالًا صغارًا. وإن كنا متضلعين في الأدب بشكل خاص، سنرى خيال ناثانيال هاوثورن المضلَّل في روايته «الحرف القرمزي» حيث وضعت

هستر برين الحرف القرمزي على صدرها في أنحاء تلك البلدة البيوريتانية المتزمتة التابعة لإقليم نيوإنجلاند.

علينا جميعًا، من دون تردد، أن نقر بحاجتنا إلى التأديب، إلى التشكيل. ليس من هو كامل بيننا، ولا واحد منا هو مشروع مكتمل. ربما منا من هم بحاجة إلى الإلهام، أو التغذية، أو الشفاء؛ وربما هناك من هم بحاجة إلى أن يُقَوَّموا، أو يواجَهوا، أو حتى يُكسَروا. وأيًا كانت الطريقة المعينة للعلاج، دعونا على الأقل نعترف بالحاجة إلى التأديب. دعونا لا نتظاهر أو ندَّعي أننا بارين كما ينبغي لنا أن نكون، وكأن الله قد انتهى من عمله فينا.

ما أن نصل إلى هذا الإقرار، يجب، من ناحية ثانية، أن نلاحظ أن التأديب هو عادة أمر إيجابي، أو كما يُطلقون عليه على نحو تقليدي «تشكيليًا». التأديب هو تلك الدعامة التي تُعِينُ الشُّجَيرة على النمو في الاتجاه المستقيم، وهو كجهاز التقويم للأسنان. إنه التعليم المستمر بأن تُبقي فمك مغلقًا في أثناء تناول الطعام، أو ذلك الحث المعتاد على أن تنتبه لكلماتك. يشير التأديب التشكيلي إلى تلك الأشياء التي تشكِّل الناس في طريق نموهم العاطفي، والبدني، والعقلي، والروحي. وهو التشكيل الأساسي الذي يحدث في عائلاتنا كما يحدث في كنائسنا. نحن نتعلم بالكتب في المدرسة، وبالعظات والخدمات والدروس في الكنيسة. كل هذا جزء من التأديب الإيجابي، التقويمي، التشكيلي. كل حقيقة سمعت شخصًا يتكلم عنها يومًا هي جزء من التأديب التشكيلي. هذا الفصل يبحث التأديب بمعناه الأوسع، وليس فقط من جانبه «السلبي».

ما هو التأديب الكنسي؟

حين يسمع أحدهم مصطلح التأديب الكنسي يتخذ موقفًا دفاعيًا ويقول شيئًا مثل هذا: «ألم يقل يسوع (لا تدينوا لكي لا تدانوا)"؟ بالتأكيد، في متى ٧: ١، نهى يسوع عن الإدانة بمعنى معين، وسوف نتأمل في ذلك المعنى لاحقًا في هذا الفصل.

لكن لاحظ أنه في موضع آخر من إنجيل متى، دعا يسوع أيضًا بوضوح إلى توبيخ الآخرين على الخطية، حتى بشكل علني إذا اقتضى الأمر (متى ١٨: ١٥ - ١٧؛ قارن لوقا ١٧: ٣). أيًا كان قصد يسوع بعدم الإدانة في متى ٧، فهو لا يقصد استبعاد ذلك النوع من الإدانة التي يطالب بها في متى ١٨.

تذكّر أن الله نفسه ديَّان، وبدرجة أقل، يقصد الله أن يقوم آخرون بالإدانة أيضًا. لقد أعطى الدولة مسئولية الحكم والإدانة (رومية ١٣: ١- ٧). يُخبرنا الكتاب بأن نحاسب (نُدين، نحكم على) أنفسنا (١ كورنثوس ١١: ٢٨؛ ٢ كورنثوس ١٣: ٥؛ عبرانيين ٤؛ ٢ بطرس ١: ٥ - ١٠). يُخبرنا الكتاب أيضًا على نحو خاص بأن ندين بعضنا بعضًا في إطار الكنيسة (مع أن تلك ليست الطريقة الحاسمة التي يدين الله بها). إن كلمات يسوع في متى ١٨، وبولس في ١ كورنثوس ٥ - ٦، ومقاطع اخرى (سندرسها معًا) تُبيِّن بوضوح أن على الكنيسة أن تمارس الحساب وإصدار الحكم في إطارها الذاتي.

لا ينبغي لنا أن نتفاجأ بوجود أمر للكنيسة بأن تدين، أي بممارسة سلطة إصدار الأحكام. ففي نهاية المطاف، إن لم يمكننا أن نقرر كيف يجب ألا يعيش المؤمنون، فكيف يمكننا أن نقرر كيف يجب أن يعيشوا؟

منذ عدة سنوات طُلِب مني أن أقود مؤتمرًا خاصًا، وذلك نظرًا للنمو العددي الذي كانت تشهده كنيستنا وقد أرادت كنائس أخرى معرفة كيف حدث ذلك ولماذا. وفيما كنت أعد للمؤتمر، تلقيت بعضًا من المادة التعليمية عن نمو الكنيسة، التي أنتجتها المراكز الرئيسية التابعة لطائفتنا. وقد ورد بإحدى المطبوعات أنه لكي تحرز كنائسنا تقدمًا من جديد، علينا أن «نفتح الأبواب الأمامية ونغلق الأبواب الخلفية». لقد كان الكاتب يقول إننا بحاجة لفتح الأبواب الأمامية بمعنى أن نجعل دخول كنائسنا أكثر سهولة بمساعدة الناس على أن يفهموا ما نعمله. ثم قال الكاتب إننا بحاجة إلى غلق الأبواب الخلفية، بمعنى أن نجعل تدفق الناس إلى خارج

كنائسنا من دون رعاية ومن دون تلمذة أكثر صعوبة.

يوجِّه هذا النقد للعديد من كنائسنا بلا شك. لكن فيما كنت أفكر في الأمر، لم أظن أن تلك هي المشكلات الأخطر التي نواجهها. ما نحن بحاجة إلى عمله في الواقع هو أن نغلق الباب الأمامي ونفتح الباب الخلفي! إن كنا نرغب في أن تشهد كنائسنا النمو علينا أن نجعل الانضمام للكنيسة أكثر صعوبة، وعلينا أن نبذل جهدًا أكبر في استبعاد الأشخاص. نحن بحاجة لأن يكون لدينا القدرة على إظهار أن هناك فرقًا بين الكنيسة والعالم، أي أن يكون المرء مؤمنًا بالمسيح فهذا شيء ذو أهمية. إن كان شخص يدَّعي أنه مؤمن بالمسيح ويرفض أن يعيش كما ينبغي للمؤمن المسيحي أن يعيش، ينبغي لنا أن نتبع ما قاله بولس، ولمجد الله ولمصلحة هذا الشخص، علينا أن نستبعده (أو نستبعدها) من عضوية الكنيسة.

يجب أن يظهر التأديب الكنسي أول كل شيء في طريقة قبولنا للأعضاء الجدد. في ١ كورنثوس ٥، بينما كان يتصدى لموقف صعب في كنيسة كورنثوس، افترض بولس افتراضًا ينبغي ان نضعه في الاعتبار:

> **«كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لاَ تُخَالِطُوا الزُّنَاةَ. وَلَيْسَ مُطْلَقًا زُنَاةَ هذَا الْعَالَمِ أَوِ الطَّمَّاعِينَ أَوِ الْخَاطِفِينَ أَوْ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ وَإِلاَّ فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْعَالَمِ». (العددين ٩، ١٠).**

لاحظ أن في فكر بولس كان هناك تمييز واضح بين الكنيسة والعالم. هل نحن المؤمنين اليوم لدينا هذا التمييز نفسه؟ هل نفترض أن الكنيسة تختلف عن العالم؟ ليس أن الكنيسة ممتلئة بالناس الكاملين وأن العالم ممتلئ بالخطاة، ولكن هل نفترض أنه يجب أن يكون هناك نوع من الاختلاف بين حياة من هم في الكنيسة وحياة من هم في العالم؟ يُبرز بولس بوضوح التباين الحاد بين الاثنين. يجب على العضوية في الكنيسة المحلية أن تعكس العضوية الحقيقية في جسد المسيح.

إذن، حين نقوم بفحص الأعضاء الجدد، علينا أن نفكر في ما إذا كان أولئك الذين هم قيد الفحص مشهود لهم بأنهم يعيشون حياتهم على نحو يكرم المسيح. هل نفهم خطورة الالتزام الذي نقطعه على أنفسنا نحوهم حين ينضمون إلى الكنيسة، وهل نقلنا إليهم خطورة الالتزام الذي يأخذونه على أنفسهم نحونا؟ إن كنا أكثر حرصًا في طريقة إقرارنا للأعضاء الجدد وقبولنا لهم، ستقل فرص الاحتياج إلى ممارسة التأديب الكنسي التقويمي لاحقًا.

حيث أن موضوع التأديب الكنسي لم يجري الحديث عنه في العديد من الدوائر لنحو مئة عام، أقترح المصادر التالية للمزيد من الدراسة.

يقدم بول أليكساندر وأنا المزيد من الوصف لكيفية تعامل كنيستنا مع التأديب في الفصل الخامس من كتاب The Deliberate Church [٢].

لدراسة الخلفية التاريخية اقرأ كتاب Greg Wills بعنوان الديانة الديمقراطية Democratic Religion[٣]. دَرَسَ ويلز ممارسة التأديب الكنسي فيما بين الكنائس المعمدانية في الجنوب، وخصوصًا في جيورجيا، في القرن التاسع عشر. ويتضمن الكتاب بعض القصص الجيدة والملاحظات المتبصِّرة.

للحصول على دليل تقليدي للترتيب الكنسي يتناول كيفية ممارسة التأديب الكنسي واقعيًا، انظر دليل الترتيب الكنسي Manual of Church Order للكاتب جون ل. داج[٤]. يناقش هذا الدليل ما يقوله الكتاب المقدس عن كيف يجب أن نقوم بترتيب الكنائس، وكيف يجب أن نقوم بعملنا على نحو عملي.

قمت أيضًا بتحرير كتاب بعنوان الترتيب الكنسي: براهين كتابية حول كيفية إدارة الحياة الكنسية Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life، وهو خلاصة وافية للأعمال الأدبية التي كُتبت حول موضوعي الترتيب الكنسي والتأديب الكنسي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقامت بنشره

مؤسسة 9Marks [٥].

وأخيرًا، أفضل الأعمال البسيطة في تقديري هو ما كتبه جوناثان ليمان Jonathan Leeman عن التأديب الكنسي:

Church Discipline: How the Church Protects the Name of Jesus. (التأديب الكنسي: كيف تصون الكنيسة اسم يسوع). ويقدم كتابه الأكبر حجمًا بعنوان The Church and the Surprising Offense of God's Love، (الكنيسة والإهانة المذهلة لمحبة الله) السياق المفاهيمي للتأديب الكنسي[٦].

والآن إلى السؤال الثالث

ماذا يقول الكتاب المقدس عن التأديب الكنسي؟

تناولت العديد من المقاطع الكتابية قضية التأديب الكنسي؛ سأناقش ثمانية منها.

عبرانيين ١٢: ١ - ١٤

يعرض نص عبرانيين ١٢ التأديب باعتباره قضية إيجابية في الأساس ويُبيِّن أن الله ذاته يؤدبنا:

> **لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ. فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ. لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ، وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ:**
>
> **«يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ».**

إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ.

ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟

لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ.

وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ.

لِذَلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى.

اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ.

الله نفسه يؤدبنا، وكما سنرى، يأمرنا بأن نفعل الشيء نفسه بعضنا لبعض. على جماعة المؤمنين المحلية مسئولية خاصة وجدارة خاصة في هذا الشأن.

متى ١٨: ١٥ – ١٧

متى ١٨ و١ كورنثوس ٥ هما النصان اللذان يُستشهد بهما في أغلب الأحيان عند الحديث عن التأديب الكنسي. كيف تتجاوب حين يخطئ أحدهم إليك؟ هل تشكوه بصوت عال مرَّة ثم ترفض أن تتكلم معه مجددًا؟ هل ستحمل مرارة في قلبك؟ إليك ما قاله يسوع لتلاميذه ليعلمهم ماذا ينبغي أن يفعلوا في مثل هذه المواقف:

«وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ».

اقتداء بيسوع، هكذا ينبغي لنا أن نتعامل مع الاختلافات والإشكاليات مع إخوتنا المؤمنين. وهذا بالضبط هو ما فعله المسيحيون الأوائل، كما نرى من رسائل بولس.

١ كورنثوس ٥: ١ - ١١

هذا هو النص الكتابي الأطول والأكثر شهرة عن التأديب الكنسي. وعلى ما يبدو كان واحد من الكنيسة في كورنثوس يعيش حياته بأسلوب غير أخلاقي. يقول بولس:

> «**يُسْمَعُ مُطْلَقًا أَنَّ بَيْنَكُمْ زِنًى! وَزِنًى هَكَذَا لاَ يُسَمَّى بَيْنَ الأُمَمِ حَتَّى أَنْ تَكُونَ لِلإِنْسَانِ امْرَأَةُ أَبِيهِ. أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَنُوحُوا حَتَّى يُرْفَعَ مِنْ وَسْطِكُمُ الَّذِي فَعَلَ هذَا الْفِعْلَ؟ فَإِنِّي أَنَا كَأَنِّي غَائِبٌ بِالْجَسَدِ وَلكِنْ حَاضِرٌ بِالرُّوحِ قَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ فِي الَّذِي فَعَلَ هذَا هَكَذَا بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ.**
>
> **لَيْسَ افْتِخَارُكُمْ حَسَنًا. أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟ إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. إِذًا لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.**
>
> **كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لاَ تُخَالِطُوا الزُّنَاةَ. وَلَيْسَ مُطْلَقًا زُنَاةَ هذَا الْعَالَمِ أَوِ الطَّمَّاعِينَ أَوِ الْخَاطِفِينَ أَوْ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ وَإِلاَّ فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْعَالَمِ. وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخًا زَانِيًا أَوْ طَمَّاعًا أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّامًا أَوْ سِكِّيرًا أَوْ خَاطِفًا أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هذَا.**

لماذا قال بولس كل هذا؟ هل لأنه صار يكره مُرتكب الإساءة؟ لا، بل لأن ذلك الرجل كان مخدوعًا بشدة. لقد ظن أن بإمكانه أن يكون مؤمنًا بالمسيح بينما يعصى الرب بإرادته. أو لعله ظنَّ - وسمحت له الكنيسة بهذا الظن - أن لا ضرر في

أن يعاشر امرأة أبيه. يقول بولس إن مثل هذا الرجل مضَلَّل، وفي سبيل خدمة مثل هذا الشخص المضلَّل وتمجيد الله حقًا، أنتم بحاجة إلى أن تفضحوا أمامه كذب إقراره الإيماني في ضوء الطريقة التي يحيا بها.

كما يُسلط بولس في موضع آخر من رسالته المزيد من الضوء على كيفية حدوث هذه المواجهة بالمحبة.

غلاطية ٦: ١

تعتبر هذه الآية القصيرة إضافة مهمة لفكرنا حول التأديب الكنسي. ما يصفه بولس هنا هو كيف ينبغي للمؤمنين بالمسيح أن يردوا شخصًا ما وقع في فخ الخطية:

> **«أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا».**

لم يكن بولس مهتمًا فقط بما يجب أن يُعمل في مثل هذا الموقف الصعب ولكن أيضًا بكيفية عمله.

٢ تسالونيكي ٣: ٦ – ١٥

يبدو أنه كان في تسالونيكي بعض الأشخاص متكاسلين ولا يعملون شيئًا. وما زاد الطين بلة أنهم كانوا يدافعون عن خمولهم بقولهم إن ذلك مشيئة الله. أما بولس فكان رأيه أن ذلك ليس مشيئة الله:

> **ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا. إِذْ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يُتَمَثَّلَ بِنَا، لأَنَّنَا لَمْ نَسْلُكْ بِلاَ تَرْتِيبٍ بَيْنَكُمْ، وَلاَ أَكَلْنَا خُبْزًا مَجَّانًا مِنْ أَحَدٍ، بَلْ كُنَّا نَشْتَغِلُ بِتَعَبٍ وَكَدٍّ لَيْلًا وَنَهَارًا، لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ. لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا، بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا.**

فَإِنَّنَا أَيْضًا حِينَ كُنَّا عِنْدَكُمْ أَوْصَيْنَاكُمْ بِهذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا. لأَنَّنَا نَسْمَعُ أَنَّ قَوْمًا يَسْلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ، لاَ يَشْتَغِلُونَ شَيْئًا بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ. فَمِثْلُ هؤُلاَءِ نُوصِيهِمْ وَنَعِظُهُمْ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِهُدُوءٍ، وَيَأْكُلُوا خُبْزَ أَنْفُسِهِمْ.

أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلاَ تَفْشَلُوا فِي عَمَلِ الْخَيْرِ.

وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ، وَلكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ.

١ تيموثاوس ١: ٢٠

أشار بولس وهو يكتب لتيموثاوس راعي كنيسة أفسس إلى أشخاص تحطَّمت سفينة إيمانهم. تأمَّل ما قال إنه يجب أن يُعمل مع مثل هؤلاء:

الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَالإِسْكَنْدَرُ، اللَّذَانِ أَسْلَمْتُهُمَا لِلشَّيْطَانِ لِكَيْ يُؤَدَّبَا حَتَّى لاَ يُجَدِّفَا.

١ تيموثاوس ٥: ١٩، ٢٠

متابعًا كلامه لتيموثاوس كتب بولس على نحو خاص عما ينبغي عمله مع قادة الكنيسة إذا وقعوا في فخ الخطية:

لاَ تَقْبَلْ شِكَايَةً عَلَى شَيْخٍ إِلاَّ عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ. اَلَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبِّخْهُمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفٌ.

تيطس ٣: ٩ – ١١

يبدو أنه كان هناك أشخاص في الكنيسة التي يرعاها تيطس يسببون انقسامات حول قضايا لا تستحق كل هذا الاهتمام. فكتب بولس:

وَأَمَّا الْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالأَنْسَابُ وَالْخُصُومَاتُ وَالْمُنَازَعَاتُ النَّامُوسِيَّةُ فَاجْتَنِبْهَا، لأَنَّهَا غَيْرُ نَافِعَةٍ، وَبَاطِلَةٌ. اَلرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ

أَعْرِضْ عَنْهُ. عَالِمًا أَنَّ مِثْلَ هَذَا قَدِ انْحَرَفَ، وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ.

عند النظر إلى كل تلك النصوص مجتمعة يمكننا أن نرى أن الله مهتم بكل من فهمنا لحقه الإلهي وتطبيقنا العملي لهذا الحق في حياتنا. وهو مهتم على نحو خاص بكيفية عيشنا معًا كمؤمنين. إن المواقف المختلفة التي ذُكرت في هذه النصوص هي بحسب الكتاب المقدس جوانب جديرة باهتمامنا. بعبارة أخرى هي جوانب ينبغي للكنيسة أن تُمارِس فيها التأديب الكنسي.

الأمر الآخر، هل لاحظت مدى خطورة العواقب التي أكَّد بولس حدوثها فيما وصفه للتأديب الكنسي المبين أعلاه؟ «يُرفَع من بينكم... يُسَلَّم مثلُ هذا للشيطان ... لا تخالطوه ... ولا تجلسوا معه لتناول الطعام» (١ كورنثوس ٥: ٢ – ١١)؛ «أَنْ تَتَجَنَّبُوه» (٢ تسالونيكي ٣: ٦)؛ «فَسِمُوا هَذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ» (٢ تسالونيكي ٣: ١٤، ١٥)؛ «أَسْلَمْتُهُمَا لِلشَّيْطَانِ» (١ تيموثاوس ١: ٢٠)؛ «يُوبَّخوا أمام الجميع» (١ تيموثاوس ٥: ٢٠)؛ «أَعْرِضْ عَنْ هَؤُلاَءِ» (٢تيموثاوس ٣: ٥)؛ «أَعْرِضْ عَنْهُ» (تيطس ٣: ١٠).

هل من عادة بولس أن يكون قاسيًا هكذا؟ ماذا قال يسوع نفسه عن الشخص الذي يرفض أن يسمع حتى من الكنيسة؟ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ». (متى ١٨: ١٧).

هذا ما يقوله الكتاب المقدس عن التأديب الكنسي.

كيف تعامل المؤمنون في الماضي مع قضية التأديب الكنسي؟

لقد مارس المؤمنون في الماضي التأديب الكنسي بقدرٍ لا بأس به. وفي الواقع كانت الإجراءات التأديبية تعتبر مُكوِّنًا أساسيًا في جدول الأعمال خلال اجتماعات

أعضاء الكنائس المعمدانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

كتَبَ العالم اليوناني ه. إي. دانا منذ حوالي سبعين سنة هذا التعليق:

إن الاستخدام الخاطئ للتأديب هو أمر مكروه وهدَّام، لكنه ليس مكروهًا ولا هدَّامًا بقدر الإهمال المطلق لممارسة التأديب. لقد كانت الكنائس في الجيلين السابقين تطبق التأديب على نحو انتقامي تعسفي لم تجني منه الكنيسة إلا فقدان سمعتها. واليوم تحولت الكنيسة إلى النقيض الآخر حيث بات التأديب أمرًا مهملًا تمامًا. وحان الوقت الآن أن يمد الجيل الجديد من الرعاة يد العون للكنيسة لكي تسترد وظيفتها المهمة فيعود التأديب يأخذ مكانته التي يستحقها في حياة الكنيسة(٧).

قال جريج ويلز، أستاذ تاريخ الكنيسة بكلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية، حين أراد أن يلقي الضوء على تغير حيوي حدث بين جيل أجداد أجدادنا وجيل أجدادنا: «هذا التغير هو اختفاء التأديب التقويمي واقعيًا من الكنائس. ويقدم ويلز في كتابه الذي اختار له عنوان Democratric Religion أي الديانة الديمقراطية، وفرة من الاقتباسات لتذكيرنا بأن الرعاة في مطلع القرن التاسع عشر كانوا مهتمين بوضوح بمهمتهم الأكثر أهمية وهي الوعظ بكلمة الله بأمانة وتطبيق التأديب الكنسي بأمانة. وفي الحقيقة إن جزءًا كبيرًا من التزام المعمدانيين التاريخي بالحرية الدينية كانت وراءه رغبة الكنائس في أن تنطلق نحو ممارسة التأديب بحرية دون تدخل من الدولة»(٨).

وأوضح ويلز أنه في أيام الحرب الأهلية «قضت الكنيسة المعمدانية الجنوبية بالتحريم الكنسي لما يقرب من ٢ في المئة من أعضائها كل عام»(٩)! والمدهش في الأمر أنه رغم ذلك كانت الكنيسة تنمو! وفي الواقع شهدت هذه الكنيسة نموًا يوازي ضعف معدل النمو السكاني! وبالتالي يعتبر القلق من أن تطبيق التأديب الكنسي قد يكون «ضد الكرازة» - باختصار- فكرة لا أساس لها.

لقد قصَدَ يسوع لحياتنا أن تؤيد كلماتنا. وإن كانت حياتنا لا تؤيد كلماتنا فإن مهمتنا الكرازية ستتضرر، كما حدث على نحو فظيع في القرن الماضي في أمريكا. إن الكنائس التي لا تعرف التأديب قد صعَّبت على الناس الاستماع لبشارة الحياة الجديدة في المسيح يسوع.

ماذا حدث؟ لماذا لم نعد نمارس التأديب الكنسي؟ لا نعرف حقًا، لكن ويلز يرى أن «هذا الالتزام بالشهادة الجماعية المقدسة للعالم قد فقد أهميته إذ بدأت أمور أخرى تستحوذ على اهتمام المؤمنين خصوصًا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين». كتب ويلز:

> **في الحقيقة كلما ازداد اهتمام الكنائس بالنظام الاجتماعي، قَلَّت ممارستها للتأديب الكنسي. منذ عام ١٨٥٠ إلى عام ١٩٢٠ تقريبًا، أي الفترة التي شهدت اهتمامًا واسعًا من المجتمعات الإنجيلية بإصلاح المجتمع، شهدت ممارسة التأديب الكنسي تدهورًا على نحو مستمر. وما بين إصلاح معتدل وآخر أصولي، أقنع الإنجيليون جماعاتهم المسيحية بتطبيق المعايير الأخلاقية الكنسية على المجتمع بشكل عام. وإذ تعلم المعمدانيون إصلاح المجتمع بشكل واسع، غاب عن عقلهم كيف استطاعوا مرة أن يصلحوا أنفسهم. لقد كان التأديب الكنسي يستلزم في السابق انفصالًا صارمًا بين المعايير الأخلاقية للمجتمع والمعايير الأخلاقية لملكوت الله. فكان كلما شرع الإنجيليون في تنقية المجتمع ضَعُفَ شعورهم بالحاجة المُلحة للتأديب الذي يُبرز الفرق بين الكنيسة والعالم[١٠].**

ويوضح ويلز:

> **عقب الحرب الأهلية، ... بدأ المراقبون يتأسَّفون على حالة الانهيار التي أصابت التأديب الكنسي في ذلك الوقت. يرجع انهيار التأديب الكنسي جزئيًا إلى أنه صار يُشكِّل عبئًا ثقيلًا بشكل متزايد على الكنائس الكبيرة. لقد رفض المعمدانيون الأحدث عهدًا وبأعداد متزايدة أن يخضعوا للتأديب بسبب**

الرقص، وتقاعست الكنائس عن القيام باستبعادهم. أما الكنائس الحضرية، فبدافع احتياجها لمبانٍ كبيرة علاوة على رغبتها في تحسين جودة الموسيقى والوعظ، قامت بإعطاء مهمة التأديب الكنسي مرتبة ثانوية بعد مهمة إيفاء الكنيسة بجميع ديونها. العديد من المعمدانيين إذ تشاركوا رؤية جديدة للكنيسة، تركوا السعي نحو النقاوة وفضَّلوا عليه السعي نحو الكفاءة. لقد فقدوا إصرارهم على تنقية كنائسهم من الأعضاء المنحرفين. لا أحد كان يدافع علنيًا عن توقف ممارسة التأديب، ولم يقف أي قائد معمداني ليدعو إلى توقف جماعة المؤمنين عن إدانة السلوكيات الخاطئة، ولم يقترح أي لاهوتي أن فكرة التأديب الكنسي هي فكرة غير سليمة من حيث المبدأ أو من حيث الممارسة... إن الفكرة ببساطة قد خبا بريقها، وكأن المعمدانيين قد تعبوا من مساءلة بعضهم البعض(١١).

وفيما تراجعت الكنائس في القرن التاسع عشر عن تطبيق التأديب الكنسي تغير أيضًا عمل الراعي. ومع ذلك أصبح عمل الراعي بالتأكيد أكثر شعبية شيئًا فشيئًا. لقد كان الناس فيما سبق يظنون أن عمل الراعي هو أن يحرص على التئام جراح النفوس من خلال اجتماعات (المشورة) الخاصة المتكررة مع العائلات والأفراد. غير أن ما حدث على نحو متزايد هو سلسلة من الاجتماعات المطوَّلة ودعوات لإثارة حماس واهتمام الناس لاتخاذ قرار فوري، ودعوة الراعي بين حين وآخر للتعامل فقط مع حالات التأديب الكنسي الأكثر خطورة. وباتت الكنيسة على نحو متزايد غير مرتبطة بهذا النوع من المشاكل بل أصبحت في واقع الأمر لا تدري عنها شيئًا. لم يعد هناك ما يُسمى باجتماع جماعة المؤمنين للمساءلة، بل صار الجميع يتوقعون من الراعي وحده أن يتصدى لبضعة حالات فقط، وهي تلك التي يمكن أن تسبب للكنيسة أكبر قدر من الإحراج العلني.

في كل تلك التغيرات كانت الحدود المهمة ضبابية وغير واضحة. ودور الراعي صار مشوَّشًا وغير واضح المعالم كما كان. وفي الأساس، بدأ التمييز بين الكنيسة

والعالم أمر تزداد صعوبته شيئًا فشيئًا. وقد بلغت صعوبة التمييز هذه حد الإضرار بخدمة الكرازة بالإنجيل، وبحياتنا نحن كمؤمنين.

كل المؤمنين الإنجيليين في الماضي كانوا يميلون إلى ممارسة التأديب الكنسي الكتابي. ففي عام ١٥٦١، كان مسيحيو الكنيسة المصلَحة يُعبِّرون عن فهمهم لتلك القضايا في إقرار الإيمان البلجيكي:

> **إن العلامات الدالة على الكنيسة الحقيقية هي التالية: إن كان يجري فيها التعليم بعقيدة الإنجيل النقية السليمة؛ وإن كانت تحافظ على الممارسة السليمة للفرائض المقدسة كما أسسها المسيح؛ وإن كان التأديب الكنسي يُمارَس لمعاقبة الخطية؛ وباختصار، إن كانت الكنيسة تدير كل أمورها وفقًا لكلمة الله النقية، ومن ثم ترفض كل الأمور التي تخالف ذلك، وإن كانت الكنيسة تعترف بيسوع المسيح وحده دون غيره رئيسًا لها. بموجب هذا القانون يُمكن للكنيسة الحقيقية أن تكون بالتأكيد واضحة للجميع، ولا أحد من حقه أن يعتزل بنفسه عن هذا**[١٢].

من الواضح أن الكنائس في الماضي كانت تعتزم ممارسة التأديب الكنسي الكتابي.

«لكن كنيستنا من غير المتوقع بالمرة أن تفعل ذلك؛ هل لنا أن نفعل ذلك؟».

يُصاب أعضاء الكنيسة أحيانًا بصدمة حين يصطدمون لأول مرة بفكرة التأديب الكنسي، فتسمعهم يقولون شيئًا من مثل هذا: «إن كنيستنا من غير المتوقع بالمرة أن تفعل ذلك، هل لنا أن نفعل ذلك؟» في الحقيقة تُظهر الإجابة عن هذا السؤال كم من السهل نسيان ما اعتاد أن يكون هو الممارسة الشائعة بين المؤمنين وظل هكذا لقرون.

إن كنيستي المحلية التي أقوم برعايتها في واشنطن قد أدركت منذ أيامها الأولى أهمية التأديب الكنسي. حين اجتمعت جماعة المؤمنين هذه أول يوم وأنشدوا تلك الترنيمة، اتحدوا معًا ككنيسة. ومن أول الأشياء التي قاموا بها في صباح ذلك اليوم من فبراير ١٨٧٨ هو أنهم طبقوا القواعد التالية بخصوص توبيخ الناس إما بإنذارهم (تحذيرهم) أو باستبعادهم. ولا يحدث الاستبعاد إلا بعد أن إنذارهم. وفيما يتعلق توبيخ أحد الأعضاء، قالوا:

إذا أخطأ أحد الأعضاء وتعدَّى على حق عضو آخر، فإن كانت الإساءة لم تحدث علنًا، أي أمام الناس، فمن واجب الشخص المساء إليه (الذي حصل التعدي في حقه) أن يحاول في أقرب فرصة أن يتحدث على انفراد وبمعزل عن الآخرين مع الشخص الذي أساء إليه طالبًا المصالحة وحل الخلاف وفقًا للقاعدة المسجَّلة في متى ١٨: ١٥.

إن رفض المسيء إرضاء المساء إليه، فعلى المُساء إليه أن يختار واحدًا أو اثنين من أعضاء الكنيسة ويسعى جاهدًا بمساعدتهم أن يصالح المسيء وفقًا للقاعدة المسجَّلة في متى ١٨: ١٦.

إن فشلت تلك الجهود في تسوية المشكلة على نحو مُرضٍ، فمن واجب المساء إليه أن يضع المسألة أمام الكنيسة، كما أُوصي في متى ١٨: ١٧، وإن، استمر المسيء في عناده واستعصى على المعالجة بعد توبيخه بروح الوداعة والصبر، فمن واجب الكنيسة أن تتحرى المسألة، وتتخذ ما تراه ضروريًا من إجراءات.

الشكاوى أو التهم المقدمة ضد أحد الأعضاء يُفضَّل أن تُعرض على الكنيسة كتابةً، ولا تُعرض على الكنيسة دون معرفة سابقة من الراعي والشمامسة، وليس من دون تقديم نسخة من الشكوى أو الاتهام لمن صدرت منه الإساءة.

لقد ناقشوا مسألة ما يمكن أن يحدث لو لم يَتُب الشخص المخطئ. الخطوة التالية في هذه الحالة هي الاستبعاد. وقالوا عن الاستبعاد:

قرار قانوني من أعمال الكنيسة، يُطبَّق على المُخطئ بموجب سلطة الرب يسوع المسيح، وبناء على هذا القرار يُقطع هذا العضو - أكان ذكرًا أو أنثى - من العضوية ومن شركة الكنيسة، وذلك وفقًا للقاعدة المبيَّنة في متى ١٨: ١٧.

لا يُستبعد أي عضو إلا بعد إخطاره بالمثول أمام الكنيسة، وبعد أن تتاح له فرصة الرد بنفسه على الاتهامات المقدمة ضده، فيما عدا حالات الانتهاكات الأخلاقية الفاضحة، حيث يكون من واجب الكنيسة أن تصون كرامة دعوتها المقدسة بالقيام بقطع مثل هذا العضو المُهين دون تأجيل أو إبطاء.

ما المسائل الخطيرة إلى هذا الحد التي جعلت أولئك المؤسسين يشعرون بأنهم مطالبون كتابيًا بالرد بمثل هذه المعايير الصارمة؟ إن ضايقك أحدهم بسبب اختياره الترنيمة الخطأ، أو أسقط أحدهم كتاب الترانيم على إصبع قدمك، هذا هو ما قالوه:

يجب أن يكون الأعضاء مستعدين للتأديب من الكنيسة للأسباب التالية:
لأي انتهاك ظاهري للقوانين الأخلاقية.
لاتخاذه أي مسلك تراه الكنيسة يسيء لسمعتها ككيانٍ جماعي.
لاعتياده الغياب عن اجتماعات العبادة الجماعية بالكنيسة دون أسباب مقبولة.
لاعتناقه ودفاعه عن عقائد تعارض تلك المسجَّلة في إقرار إيمان الكنيسة.
لتجاهله أو رفضه المساهمة في تحمل نفقات الكنيسة وفقًا لما تسمح به قدراته.
لتعامله باحتقار مع ما تتخذه الكنيسة من تصرفات وإجراءات، أو لسلوكه مسلكًا يبدو أن المقصود به زرع خصومات وانقسامات.

لإفشائه أسرار ما تم في اجتماعات الكنيسة لأشخاص غير معنيين.

إذا صدر منه أي تصرف أو سلوك غير لائق بمواطن صالح وبمسيحي مؤمن.

لو كنت عضوًا في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية عام ١٨٧٨، هل هناك أي داعٍ يجعل الكنيسة تُحذِّرك من شيء ما؟ إني أرى بانتظام أسماء الأعضاء المؤسِّسين لكنيستنا. وأتذكر توقيعاتهم على ميثاق الكنيسة المعلَّق دائمًا على الحائط في الكنيسة. ومن بين التوقيعات الواحد والثلاثين الأولى أجد أسماء المتورطين في أول حادثة تأديب كنسي مُسجَّلة. ووجدت أنه تم استبعاد (طرد) عضوين (من إجمالي ثمانين عضوًا في الكنيسة) عام ١٨٨٠. من كان هؤلاء وماذا فعلوا؟ لا نعرف الكثير، غير أن المحرر بالكنيسة يشير إلى ذلك الموقف الصعب في خطاب الكنيسة السنوي. وفي تقريره السنوي المفعم بالحماسة والانفعال لعام ١٨٧٩، ترك لنا فرانسيس ماكلين المحرر بالكنيسة هذه الرسالة الموجزة:

هناك شيء أريد أن أهمس به في آذانكم. إن النمو الملحوظ لأوراق الشجرة وازدهارها وكثافتها، لا يمكنه أن يخفي تلك الأغصان الميتة في الشجرة. وهنا تكمن مسئولية الرعاية؛ إذن، فلنتصرف بحكمة وعلى نحو سليم.

يبدو أن واحدًا من تلك «الأغصان الميتة» كان في الواقع واحدًا من الأعضاء المؤسِّسين الذين وقَّعوا على وثيقة تأسيس الكنيسة. وكان اسمه تشارلز ل. باتن. وقد عمل في منصب أمين خدمة مدرسة الأحد. ورغم هذا وجدنا هذه المذكرة القصيرة في أثناء اجتماع الكنيسة يوم ١٧ ديسمبر ١٨٧٩:

عرَضَ الراعي استمارتين لطلب استبعاد رسمي لأعضاء من هذه الكنيسة إلى الكنيسة المعمدانية الأولى في هذه المدينة، وكل منها بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٨٧٩. والطلبان مقدمان من الأخت ألما سميث والأخ تشارلز باتن. وقال الراعي إنه كان يحتفظ بهذين الطلبين تحت تصرفه، حتى يعرضهما أمام

الكنيسة من أجل اتخاذ الإجراء المناسب. قدَّم الأخ كينجدون اقتراحًا بإرسال خطاب استبعاد رسمي للأخت ألما سميث. وبناء على هذا الاقتراح شُكِّلت لجنة مكونة من الراعي، والإخوة س. و. لونجان، ووارد مورجان، للبت في الطلب الخاص بالأخ باتن، وأن يُطلب منه المثول أمام لجنة للإدلاء بأسباب انفصاله عن زوجته.

كان هذا في اجتماع الكنيسة العام. لم يرغبوا في أن يظن أحدهم أن المؤمنين يهجرون زوجاتهم. وبعد شهر تقريبًا، في اجتماع الكنيسة يوم ٢١ يناير ١٨٨٠، نقرأ:

جناب الراعي، بالنيابة عن لجنة التحقيق في قضية الأخ باتن، نود أن نخطركم بأنه تم إرسال خطاب إليه وقد قام هو بالرد على الخطاب كتابة، غير أن هذا الإجراء الإضافي الذي قامت به اللجنة لم يلقَ أي تجاوب على الإطلاق. وهذا تقرير من اللجنة عما أحرزته من تقدم ولا تزال القضية تحت مسئوليتها.

في الاجتماع نفسه أثيرت قضية تأديبية أخرى، وهذه المرة أيضًا تختص بعضو من الأعضاء المؤسِّسين:

قدَّم الموظف المسئول الاقتراح التالي، وقد تم التفاهم على ما يلي:

أن يُطلب من اللجنة المُشَكَّلَة من الراعي والشمامسة، أنه بموجب هذا تأخذ في الاعتبار وقائع قضية الأخت لوكريتيا إي دوجلاس، وإدلائها بالأسباب - إن وُجدت - المتعلقة بتغيبها عن اجتماعات الكنيسة طوال السنة الماضية وما يزيد عن ذلك. وأن توصي اللجنة في الاجتماع الربع سنوي القادم بما تراه من إجراءات حكيمة من جانب الكنيسة.

كان عدم الحضور، كما في حالة الأخت لوكريتيا، يُعتبر أحد أكثر أنواع الخطية انحرافًا، لأنه غالبًا ما كان يخفي خطايا أخرى. حين يبدأ أحدهم بالانخراط في الخطية، ستجده غالبًا ما يتوقف عن الحضور.

إذن، ليس فقط كنيسة كابيتول هيل المعمدانية هي التي كان بمقدورها أن تمارس التأديب الكنسي، لكن نحن أيضًا، ويجب علينا أن نمارسه! وكذلك يجب على كنائس أخرى كثيرة أن تمارسه. طوال معظم التاريخ الكنسي كانت هذه إحدى الممارسات المألوفة المنتظمة للكنيسة.

لِمَ يجب ممارسة التأديب الكنسي؟

ما هدف وجود كنيستك؟ كيف تعرف ما إذا كانت الكنيسة ناجحة في تحقيق ذلك الهدف؟ وكيف تعرف أن الأمور تسير على ما يرام في كنيستك؟

يقول الكتاب المقدس إن «المحبة تستر كثرة من الخطايا». وعلى غرار الأمريكيين البراجماتيين (النفعيين)، نحن نميل أحيانًا إلى الاعتقاد بأن الحجم يستر كثرة من الخطايا. كثيرًا ما نفترض أن الكنيسة إن كانت كبيرة أو على الأقل آخذة في النمو، فلا بد أنها كنيسة جيدة. كَتَب أوس جينيس عن هذا الخطأ: «قام أحد الرعاة في فلوريدا، الذي كانت كنيسته الضخمة تضم ألف عضوًا، بشرح هذه المغالطة على نحو جيد: لا بد أنني أفعل بالصواب وإلا ما كانت الأمور تسير بأفضل حال»[١٣].

لكن تخيل هذه الكنيسة: كنيسة ضخمة وآخذة في النمو عدديًا. والناس يحبونها. والموسيقى جيدة. ويوجد بين أعضائها عائلات ممتدة بكامل تفرعاتها. والناس مرحبون، ويوجد بها الكثير من البرامج المثيرة، وسرعان ما تجد الناس ينضمون إلى تقديم الدعم لتلك البرامج. ورغم هذا تجد الكنيسة وهي تحاول أن تكون شبيهة بالعالم لكي تربح العالم، فاق تشبهها به ما أرادته فعليًا. فهي لا تُظهر الصفات المقدسة التي تميزها، تلك التي يعلمها العهد الجديد. إن مثل هذه الكنيسة المفعمة بالحيوية والقوة ظاهريًا هي كنيسة مريضة روحيًا، لم يعد بداخلها نظام مناعي للفحص والحماية من التعاليم الكاذبة أو العيش الخاطئ. تخيل المؤمنين، غارقين لآذانهم في مجموعات التعافي النفسية والعظات عن الانكسار والنعمة، ويتعزون

في خطيتهم دون أن يواجهوا بها يومًا. تخيل هؤلاء الناس، المخلوقين على صورة الله، غارقين في مستنقع الخطية لأن لا أحد قوَّمهم. هل بإمكانك أن تتخيل هكذا كنيسة؟

ألم أصِف العديد من كنائسنا الأمريكية؟

ليس سهلًا أن تكون أمينًا في قضايا التأديب الكنسي حين تكون الكثير جدًا من الكنائس غير أمينة. ويتعذَّر جدًا محاولة إعادة تأسيس ثقافة العضوية ذات الهدف في الكنيسة. بشكل شخصي، كثيرًا ما كنت موضع غضب شخص ما لأنه هو أو هي لا يُقدِّر أهمية التعامل مع العضوية بجدية. غير أني لا أرى طريقة أخرى يمكن بها أن نكون أمناء لتعاليم يسوع. علينا أن نحاول، ونصلي أن يعطينا روح الله محبة وحكمة كافيتين.

فلنكن صادقين. إن الكنائس في أمريكا اليوم ليست في حالة جيدة. وحتى لو كانت أعداد الأعضاء في بعض الكنائس تبدو على ما يرام، فبمجرد أن تسأل عم يعبر عدد الأعضاء هذا، سرعان ما ستكتشف المشكلة.

بالتأكيد يجب علينا ألا نطبِّق التأديب الكنسي بطريقة انتقامية. ذكَّر بولس الرسول مؤمني رومية: «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ». (رومية ١٢: ١٩). لم يكن المقصود يومًا بالتأديب الكنسي التصحيحي أن يمارس بروح خبيثة ولكن فقط بدافع المحبة للطرف المخطئ ولأعضاء الكنيسة أفرادًا، وجوهريًا بدافع المحبة لله نفسه.

ولا يجب للتأديب الكنسي التصحيحي أن يُطبَّق يومًا بدافع فكرة خاطئة أن لنا الكلمة الأخيرة من الله لنقرر في مصير الأشخاص الأبدي. التأديب الكنسي الذي يهدف إلى التصحيح لم يكن يومًا مقصودًا به أن يكون القرار النهائي بشأن مصير الأشخاص الأبدي. فمثل هذا القرار ليس لنا، بل هو يفوق صلاحياتنا.

يجب علينا أن نمارس التأديب الكنسي التصحيحي لأننا، بمحبة واتضاع، نريد الخير للمؤمنين.

ذكرنا فيما سبق كلمات يسوع في متى ٧: ١: «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا». ويتابع كلامه: «لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ». (ع٢). حين يُذكر اليوم أي نوع من التأديب الكنسي اليوم أو حتى مجرد النقد، يفكر الكثيرون في هذه الآية. غير أن جوهر ما ينهى عنه يسوع هنا ليس كون المرء ناقدًا، بل عمل ما ليس في سلطتنا أن نعمله. الانتقام الشخصي خطأ (انظر ٥: ٤٠)، لكن العدالة النهائية حق (انظر متى ١٩: ٢٨). من الخطإ أن نطلب من الناس أن يتوافقوا مع أهوائك ورغباتك، ولكنه حق - كل الحق - أن يطلب الله من خليقته أن يعكسوا شخصه القدوس. ليس لنا في أنفسنا الحق أو القدرة على الدينونة النهائية، لكن في يوم من الأيام، سيطلب الله من أتباعه أن يُعلنوا دينونته العظيمة، الهائلة، المخيفة على خليقته (١ كورنثوس ٦: ٢).

تطلب بعض الكنائس من أعضائها أن يتَّحدوا ويتعاهدوا معًا لتعزيز ليس فقط قداستهم الشخصية بل أيضًا قداسة إخوتهم وأخواتهم في المسيح. هل من الممكن اليوم أن سوء الفهم لنص متى ٧: ١ قد صار يحجب الخطية عن الأنظار، وأصبح يعمل لمنع الحياة الجماعية لجمهور المؤمنين الذي كان معروفًا عند الكنائس فيما مضى، ويمكن أن يُعرف لدينا اليوم؟

بالتأكيد إن تبني الشخص موقف إدانة مبني على افتراض أنه أكثر قداسة من غيره إنما يشير إلى جهل ذلك الشخص بمديونيته لنعمة الله ورحمته. وعلى المنوال نفسه، الأشخاص غير المكترثين للخطية في حياتهم ولا في حياة الأشخاص الذين يحبونهم لا يُظهرون بحياتهم ذلك النوع من المحبة المقدسة التي كانت عند يسوع والتي قال إن تلاميذه يتميزون بها.

نحن لا نستبعد شخصًا من الشركة في الكنيسة لأننا نعرف أن حالته النهائية ستكون الانفصال الأبدي عن الله. بل إننا نستبعده بناء على قلقنا من أنهم يعيشون

بطريقة لا ترضي الله. نحن لا نؤدِّب شخصًا لأننا نرغب في الانتقام منه. نحن نؤدِّب باتضاع وبمحبة لله وللشخص الذي نطبِّق عليه التأديب.

ينبغي أن نرغب في رؤية التأديب وقد صار يُطبَّق بهذه الطريقة في كنائسنا لأسباب أخرى أيضًا، وسنتأمل بإيجاز في خمسة منها:

١. لخير الشخص المؤدَّب (المطبق عليه التأديب)

كان الرجل في كورنثوس ضالًا في خطيته، ظنًا منه أن الله موافق على علاقته الغرامية بزوجة أبيه (انظر ١ كورنثوس ٥: ١ – ٥). ظن الناس في الكنائس في غلاطية أنه لا بأس من أن يتكلوا على أعمالهم بدلًا من الاتكال على المسيح وحده (انظر غلاطية ٦: ١ – ٥). فقد ظن الإسكندر وهيمينايُس أنه لا بأس في أن يجدفوا على الله (انظر ١ تيموثاوس ١: ٢٠). ولا واحد من هؤلاء كان في علاقة سليمة مع الله. من فيض محبتنا لمثل هؤلاء الناس نريد أن نرى التأديب الكنسي مُطبَّقًا. نحن لا نريد لكنائسنا أن تشجع المرائين، قساة القلوب، المُدلَّلِين، الذين طال زمن ممارستهم لخطاياهم. لا نريد أن نعيش ذلك النوع من الحياة لا بشكل فردي ولا ككنيسة.

٢. لخير مؤمنين آخرين، إذ يروا خطورة الخطية

قال بولس لتيموثاوس إنه إن أخطأ واحد من القادة، يجب أن يوبَّخ أمام الناس (١ تيموثاوس ٥: ٢٠). هذا ليس معناه أني في أي مرة، أنا راعي الكنيسة، أرتكب أي خطإ يجب على أعضاء كنيستي أن يقفوا في أثناء الاجتماع العام في الكنيسة ويقولوا: «انتبه يا مارك، ذلك كان خطأً». لكن معناه أنه حين يخطئ أحد خطية خطيرة (وبشكل خاص خطية لم يتب عنها)، فهذه الخطية يجب أن تُكشف أمام الشعب حتى يتحذَّر الآخرون برؤيتهم لفداحة طبيعة الخطية.

٣. من أجل صحة الكنيسة ككل

يناشد بولس المؤمنين في كورنثوس بأنهم لم يكن ينبغي أن يتفاخروا بأن لديهم مثل هذا التساهل مع الخطية في الكنيسة (١ كورنثوس ٥: ٦ – ٨). فسألهم سؤالًا بلاغيًا: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟» (ع ٦). تمثل الخميرة طبيعة الخطية النجسة وسريعة الانتشار. لذلك، يقول بولس:

> **إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. إِذًا لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.** (ع ٧، ٨).

كان اليهود يَذبحون خروفًا لوليمة الفصح، ويُعِدون فطيرًا غير مختمر ويأكلونه. أخبر بولس الكورنثوسيين بأن الخروف (المسيح) قد ذُبِحَ، وبأنهم يجب ألا يكون فيهم أي خمير خطية. عليهم ككنيسة بكاملها أن يكونوا ذبيحة مقبولة.

بديهي أن لا شيء من هذا يعني أن التأديب يجب أن يكون نقطة مركزية في الكنيسة. إن التأديب لا يُعد النقطة المركزية للكنيسة كما أن الدواء ليس هو النقطة المركزية للحياة. قد تأتي أوقات تكون فيها منشغلًا تمامًا بالتفكير في التأديب؛ لكن بشكل عام يجب ألا يكون التأديب أكثر من شيء يساعدك على مواصلة مهمتك الرئيسية. إنه بالتأكيد ليس المهمة الرئيسية نفسها.

٤. للشهادة الجماعية للكنيسة

يُعَدُّ التأديبُ الكنسي أداةً فعَّالةً من أدواتِ الكرازة. يلاحظ الناس حين تكون حياتنا مختلفة، وخاصة حين يكون هناك جماعة مؤمنين بكاملها حياتهم مختلفة، لا أناس حياتهم مثالية وخالية من العيوب، بل أناس يتسمون بمحاولاتهم الصادقة أن يحبوا الله ويحبوا بعضهم بعضًا. عندما ينظر العالم إلى الكنائس ويراها تحاول أن تشاكله، تزداد مهمتنا الكرازية صعوبة، وخاصة إذا أصبحنا

نشبه كثيرًا غير المؤمنين حتى لا يعد لديهم أي سؤال ليطرحوه علينا. ليتنا نحيا بطريقة تجعل الناس شغوفين بأن يطرحوا علينا الاسئلة.

٥. لمجد الله فيما نعكس قداسته

(انظر أفسس ٥: ٢٥ –٢٧؛ عبرانيين ١٢: ١٠ – ١٤؛ ١ بطرس ١: ١٥، ١٦؛ ٢: ٩ – ١٢؛ ١ يوحنا ٣: ٢، ٣). إن السبب الأكثر إلحاحًا لممارسة التأديب الكنسي هو تمجيد الله. لهذا نحيا! نحن البشر خُلقنا لنحمل صورة الله، ولنحمل صفاته لخليقته (تكوين ١: ٢٧). لذلك لا عجب في أنه في كل العهد القديم، كلما خلق الله بشرًا ليحملوا صورته، أوصاهم بأن يعيشوا في القداسة حتى تعكس صفاتهم صفاته على أفضل وجه (انظر لاويين ١١: ٤٤؛ ١٩: ٢). كان هذا هو أساس التقويم (التصحيح) وحتى الاستبعاد في أزمنة العهد القديم، لأن الله صنع شعبًا لنفسه؛ وقد كان أيضًا الأساس لتشكيل كنيسة العهد الجديد (انظر ٢ كورنثوس ٦: ١٤ – ٧: ١). المفروض في المسيحيين المؤمنين أن يكونوا قديسين بطريقة واضحة بل وملفتة للنظر، لا من أجل سمعتنا الشخصية، بل من أجل سمعة الله. علينا أن نكون نورًا للعالم، حتى حين يرى الناس أعمالنا الحسنة يمجدون الله (متى ٥: ١٦). يقول بطرس: «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمْ» (١ بطرس ٢: ١٢). لهذا دعانا الله وخلَّصنا وخصَّصنا (كولوسي ١: ٢١، ٢٢).

أي شيء آخر ينبغي أن نشابهه إن كنا نحمل اسمه؟ كتب بولس للكنيسة في كورنثوس:

> **أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا!. لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ. وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَهَكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا. (١ كورنثوس ٦: ٩ – ١١).**

أمر يسوع تلاميذه من البداية بأن يعلموا الناس أن يعملوا بكل ما أوصاهم به (متى ٢٨: ١٩، ٢٠). الله يريد له شعبًا مقدسًا ليعكس صفاته. إن صورة الكنيسة في نهاية سفر الرؤيا هي لعروس بهية مجيدة تعكس شخصية المسيح نفسه، بينما «خَارِجًا الْكِلاَبَ وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتَلَةَ وَعَبَدَةَ الأَوْثَانِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا» (رؤيا ٢٢: ١٥).

إذا أخذنا ١ كورنثوس ٥ نموذجًا، سنجد أن الكنائس أدركت التأديب الكنسي منذ زمن بعيد باعتباره أحد الحدود التي تعطي لعضوية الكنيسة معنى. الافتراض هو أن أعضاء الكنسية هم أشخاص يمكنهم أن يتناولوا من مائدة الرب على نحو لائق دون أن يجلبوا العار على الكنيسة، والإدانة على أنفسهم، ودون أن يُلحقوا الإهانة بالله وبإنجيله (انظر ١ كورنثوس ١١).

عندما نتأمل في هذا النص الكتابي، ومؤهِّلات القادة في الكنيسة، نلحظ أن المؤمنين عليهم مسئولية أن يكونوا أصحاب سمعة جيدة أكثر من الناس الذين في العالم. إن ساحات القضاء الدنيوية تضع عبء الإثبات، أي مسئولية تقديم البرهان على صحة الادعاء، على الذين يتهمون غيرهم بتهمة ما. والمتهم بريء حتى تثبت إدانته. لكن في الكنيسة، مسئوليتنا تختلف قليلًا، بل تختلف على نحو أهم. إن حياتنا هي واجهة العرض التي تُظهر شخصية الله في عالمه. نحن لا نستطيع أن نُقرِّر ما يظنه الآخرون فينا، ونحن نعلم أن علينا أن نتوقع صيحات الاستنكار بل وموجات الاضطهاد بسبب برنا. لكن فيما يتعلق بنا علينا أن نحيا الحياة التي تجلب المدح للإنجيل وتوصي به الآخرين. علينا مسئولية عملية هي أن نحيا الحياة التي تجلب المجد والتسبيح لله، لا العيب والمهانة.

من الممكن أن يشرح لاهوتنا الكتابي التأديب الكنسي. ومن الممكن أن وعظنا وتعليمنا يعلِّمان عنه. ومن الممكن أن يقوم قادتنا في الكنائس بالتشجيع عليه. لكن تبقى الكنيسة في النهاية الجهة الوحيدة التي من سلطتها فرض التأديب وتنفيذه.

التأديب الكنسي الكتابي هو الطاعة البسيطة لله والاعتراف البسيط بأننا بحاجة إلى المساعدة. لن نقدر أن نعيش الحياة المسيحية وحدنا؛ فهدفنا من التأديب الكنسي هدف إيجابي لمصلحة الشخص الخاضع للتأديب، وللمؤمنين الآخرين الذين يدركون الخطر الحقيقي الذي تُشَكِّله الخطية، وهو لمصلحة صحة الكنيسة ككل، ومن أجل الشهادة الجماعية للكنيسة لمن هم من خارجها. والأهم من الكل ينبغي لقداستنا أن تعكس قداسة الله. لا بد لعضوية المؤمن في الكنيسة أن يكون لها معنى، لا لغرض التباهي بها، بل من أجل سمعة اسم الله. التأديب الكنسي الكتابي هو علامة من علامات الكنيسة الصحيحة.

ماذا لو لم نمارس التأديب الكنسي؟

علينا أن نتساءل عن معنى أن نكون كنيسة لا تمارس التأديب الكنسي. في جوهر الأمر، هذا سؤال يتعلق بطبيعة كنائسنا.

كَتَبَ جريج ويلز ما يلي لعدد كبير من المؤمنين في الماضي: «الكنيسة بلا تأديب لا تكاد تحسب كنيسة»[١٥]. وكتب جون داج: «حينما يكون التأديب غائبًا عن الكنيسة، يغيب المسيح أيضًا معه»[١٦]. إن لم يكن بمقدورنا تمييز نقيض الشيء فسيتعذر علينا للغاية أن نذكر ماهيته الحقيقية. وإن تخلَّيْنا عن قدرتنا على ذِكر ما هو نقيض المؤمن، لن يكون بمقدورنا أن نذكر ماهية المؤمن بطريقة مُجْدِيَة.

يجب لحياتنا أن تدعم إقرار إيماننا. يلزمنا أن نحب بعضنا بعضًا، وأن نتفق على مساءلة بعضنا بعضًا، لأن جميعنا سنمر بأوقات يريد فيها الجسد أن يذهب في طريق غير تلك التي أعلنها الله في الكتاب المقدس. وجزء من تعبيرنا عن محبتنا لبعضنا هو أن نكون صادقين ونؤسِّس علاقات فيما بيننا نتكلم فيها بالحق في المحبة كل واحد للآخر. نحن بحاجة إلى أن نحب بعضنا بعضًا ونحب الذين من خارج كنيستنا، الذين سيتأثرون بشهادتنا. ونحن بحاجة إلى أن نحب الله، القدوس، الذي يدعونا لا لأن نحمل اسمه باطلًا، بل لأن نكون قديسين كما هو قدوس. يا له

من امتياز هائل ومسئولية كبيرة.

إن كنا نريد أن نرى كنائسنا وهي تنعم بالصحة، علينا أن نهتم بشكل عملي بعضُنا ببعض، حتى إلى درجة المواجهة. هل رأيت كيف يصبح الموضوع كله عمليًا، حين تأخذ كل جوانبه بعين الاعتبار، أعني كل هذا الحديث عن الكنيسة، والحياة الجديدة، والعهد، والعلاقة الملتزمة؟

ماذا سيكون الحصاد؟

نغرس البذرة على جانبي الطريـق،
نغرس البذرة على الصخور فتموت،
نغرس البذرة حيث تخنقها الاشواك،
نغرس البذرة في أرض خصيبة:
نغرس البــذرة بقـلب موجــوع،
نغرس والعيون تملؤها الدموع،
نغرس على رجاء يأتي الحصادون،
تُرى، الحصاد ماذا سيكون؟

مصادر أخرى

- للدراسة الجماعية:

Guarding One Another: Church Discipline

- دراسة استقرائية للكتاب المقدس مدتها ستة أسابيع من خلال "9Marks"

- للتطبيق الراعوي:

Church Discipline: How the Church Protects the Name of Jesus،

للمؤلف جوناثان ليمان

العلامة الثامنة

الاهتمام بالتلمذة والنمو

اللاهوت الكتابي للنمو

الممارسة الكتابية للنمو

- **الوعظ التفسيري**
- **اللاهوت الكتابي**
- **فهم كتابي للإنجيل**
- **فهم كتابي للاهتداء**
- **فهم كتابي للكرازة**
- **فهم كتابي لعضوية الكنيسة**
- **فهم كتابي للتأديب الكنسي**
- **فهم كتابي لقيادة الكنيسة**

آمال للنمو

- **الافتقاد الراعوي**
- **النمو معًا ككنيسة**

أهمية النمو الجيد

ماذا لو أننا لا ننمو؟

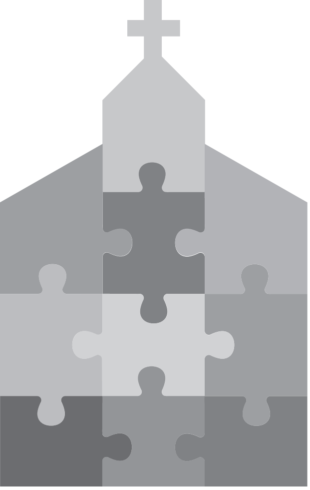

العلامة الثامنة

الاهتمام بالتلمذة والنمو

حين كان في السابعة عشرة من عمره، صلَّى روب ليقبل المسيح. وكان قد مرَّ ببعض الأشهر الصعبة، وشعر أنه منهكٌ للغاية. إن قلنا أن كيله طفح ربما نكون مبالغين كثيرًا، ولكن هذا ما كان يشعر به بشكل رئيسي. لم يكن روب من المترددين كثيرًا على الكنيسة، ولكنه لم يكن لديه شيء ضدها. لم يكن ملحدًا أو شيئًا من هذا القبيل. كان فقط من النادر أن تراه في الكنيسة.

ثم دعاه صديقه شون ليحضر معه اجتماعًا مسيحيًا، وكان روب بائسًا جدًا حتى أنه رأى أن ذلك ربما يفيده في حالته تلك. وفي ذلك الاجتماع أخذ روب يتكلم مع صديقه شون ومع شابة لطيفة اسمها سارة، حتى منتصف الليل تقريبًا.

بدأ الحوار خفيفًا، ولكن ما لبث أن صار جادًا حين ابتدأ شون وسارة يشاركان بأمور كانا قد اجتازا بها مؤخرًا. وفي النهاية جاء الدور على روب. لم يَنْهَرْ باكيًا ولكنه ببساطة انفتح وكان أمينًا مع هذين الاثنين أكثر حتى مما يفعل عادةً مع نفسه. وقال: «أشعر أن حياتي تخرج عن السيطرة، وكل شيء يبدو أنه يفشل. وحتى الأشياء غير الفاشلة، لا يبدو أنها تهمني».

وفي تلك اللحظة تم الأمر، إذ في خمس دقائق أو أقل، أخذ شون وسارة يخبرانه عن الحياة الرائعة التي يمكن أن يحظى بها كمؤمن، وعن العطية المجانية التي يمكن أن ينالها الآن؛ عطية غفران الله لكل شيء خاطئ فعله يومًا ما، وعطية الحياة الأبدية مع الله في السماء، بعد موته. بدا الأمر كأفضل عرضٍ تلقاه روب

منذ وقت بعيد، وبدا أمرًا جميلًا ولطيفًا أن يمكث هذان الشخصان ويستمعان إليه ويخبرانه عن كل هذه الأمور.

وحين سأل روب كيف يمكن أن «يشترك» في ذلك، ناوله شون وسارة كتيبًا صغيرًا وأشارا له إلى مقطع مكتوب بخط عريض، مطبوع على الغلاف الخلفي للكتاب. وكان المقطع عبارة عن صلاة. قال له شون: «كرِّرْ ورائي هذه الكلمات»، وفعل روب هكذا. وفي كل مرة قرأ فيها شون سطرًا ثم توقف، كان روب يُكرِّر وراءه هذا السطر. كان روب يقول هذه السطور لله، كان يصلي. وكان هذا ما حدث؛ أن شون وسارة أخبراه بحماس أنه أصبح مؤمنًا، لأن الله وعد أنه إن اعترف أحد بخطاياه، فإن الله سيغفر له. كان روب يعلم أنه قد ارتكب أمورًا رديئة، لذلك صلَّى. وهكذا كان الأمر وهكذا تمَّ، فهو قد نال الخلاص.

في السنوات التي أعقبت هذا، عاش روب حياةً مستقيمة إلى حد بعيد. حتى أنه في سن الأربعين، اعتبره بعض الناس عمودًا من أعمدة الكنيسة.

كما أنه انخرط في الكنيسة حيث كان الوعظ حماسيًا عادةً. وكانت العظات قصيرة، ومهدفة، ومليئة بالقصص الجيدة، والحكايات التي لا تُنسى، والصور الإيضاحية الملهِمة. أَحَبَّ روب حقًا الاستماع إلى العظات، وخاصة القصص.

لو أن أحدًا قد واجه روب بالأمر، لكان اعترف أنه لم يكن يعرف حقًا كتابه المقدس جيدًا. وبالرغم من أنه علَّم في مدرسة الأحد لسنوات عديدة، إلا أنه لم يكن باستطاعته أن يخبرك أين توجد أغلب أسفار الكتاب المقدس، أو لماذا كان خروج بني اسرائيل مهمًا، أو عن ماذا يدور سفر الرؤيا. كانت لدى روب أفكاره الخاصة عن الله، وكان يشارك الناس بها؛ ولكنه لم يحصل عليها حقًا من الكتاب المقدس. بل هي ببساطة الأشياء التي سمعها واعتقدها بنفسه.

لقد ظن أن الإنجيل هو عرضٌ واضح من الله لغفران خطايانا إن كنا فقط نعترف بها («نعم، هذه تخصني».) وعرف أن هناك أهمية ما ليسوع والصليب؛

لم يكن يعرف كيف ذلك على وجه التحديد، ولكنه عرف أن لهما أهمية ما.

إن جئنا للحق، فَكَّر روب في قرار الاهتداء كما يفكر في قرار شرائه سيارة جديدة، أو أي قرار مصيري آخر في الحياة. لقد كان ذلك أمر جلل، ومخيف بعض الشيء، ولكنه كان أمر لا بد أن تفعله. فقد ظن روب أن الجميع لا بد أن يفعلوا هذا الأمر في وقت ما، وكلما كان عاجلًا كان أفضل بدلًا من التأخر، لأنك لا تعرف أبدًا متى...

كانت الكرازة بالنسبة لروب هي ما فعله معه إخوة الكنيسة، وهي ما سبق وفعله هو نفسه ربما مرتان أو أكثر. فقد اضطر أن يفعل شيئًا من ذلك حين كان لديهم ذلك القس المتحمس لزيارات البيوت، ومرة أخرى حين ذهب كمشرف على رحلة كورال الشباب، وكان هناك بضعة أولاد لديهم أسئلة عن ماذا يعني أن تعتمد وتنضم إلى الكنيسة، ومن ثم فقد تكلم معهم عن هذا الأمر.

في الحقيقة روب نفسه لم ينضم إلى كنيسة، ولكن معظم الناس ربما لم يلاحظوا هذا الأمر. فقد كان في بعض المرات ينخرط في الكنيسة كثيرًا ومرات أخرى ينخرط فيها أقل. في بعض الأحيان كان يحضر كل أيام الأحد، بمواظبة لمدة عام، وفي أحيان أخرى لم يذهب هناك لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة شهور، وفي الحقيقة كان إلى حدٍ ما يُحب أن يبقى الأمر هكذا. كان قادرًا أن يختار الأشياء التي يريد أن يشترك فيها. ولكن في النهاية كان يرى دائمًا أن الانضمام إلى كنيسة هو بمثابة أن تعطي أحدهم شيكًا مفتوحًا (على بياض).

وبالعودة سنوات قليلة للوراء، كانت هناك أيضًا بعض المشكلات حين كانت ابنته التي في كورال الكنيسة، قد تعلمت بعض الأشياء التي ظن روب أنها جنونية تمامًا. فلماذا، إن استمر الوضع هكذا، ينتهي الحال بابنته كمرسلة لبلد أجنبي أو شيء من هذا القبيل. لذلك فقد منعها من الذهاب للكورال ومجموعات الشباب ودرس الكتاب، حتى أنه منعها من الذهاب إلى الكنيسة لفترة من الزمن، وهو

نفسه لم يذهب لقرابة السنة. ومع ذلك لم يقلقه هذا الأمر كثيرًا، إذ كان يؤمن بأنَّ «مَن خلَصَ مرةً، يظل مُخلَّصًا للأبد»، فهو عرف أنه قد خلص بسبب صلاته التي صلاها مع سارة وشون. فلم يكن لديه حقًا ما يقلقه.

بالإضافة إلى ذلك، كان لديهم في ذلك الوقت راعٍ للكنيسة لم تجر الأمور بينهما على ما يرام. ولكي أكون أمينًا، ظن روب أنه سينتظر حتى يرحل هذا القس. فقد رأى روب قساوسة يأتون وقساوسة يرحلون. وقد أزعجته حقًا بعض أشياء أراد هذا القس الجديد أن يفعلها. فلقد أراد أن يعطي الكثير من المال للإرساليات في حين أنه كان هناك الكثير من الأعمال التي لم تنته بعد في مبنى الكنيسة. وكان يتحدث عن تغيير بعض الأمور في الكنيسة، مثل أن يكون هناك شيوخ، وتحدث حتى عن «التأديب الكنسي» (الأمر الذي بدا لروب أمرًا مخيفًا وينطوي على دينونة للآخرين، وغير مسيحي). عرف روب أن غالبية القساوسة لا يدوموا طويلًا، ولا سيما لو أعلن روب أنه يتحاشى المشاركة في الكنيسة لفترة من الزمن، بسبب قس محدد.

هل يفاجئنا أن روب لم يكن ينمو حقًا كمؤمن؟ بل الأكثر من ذلك، هل يفاجئنا أن عدم نموه هذا لم يكن يزعجه؟

فحتى إن كان روب لا يكترث للنمو كمؤمن، فإن بولستر جورج بارنا يخبرنا بأن هناك الكثيرين ممن يكترثون. في نهاية العام ١٩٩٨، أصدر بارنا تقريرًا بأن ٨٢٪ من الأمريكيين قالوا إنهم يشعرون بالحاجة إلى أن يختبروا نموًا روحيًا. وتوصلت استطلاعات رأي أخرى إلى نتائج مشابهة. يرى بارنا أن مثل هذه النتائج تشير إلى تزايد الاهتمام بالروحانية وبالبحث عن معنى في الحياة. وفي ضوء هذه النتائج، دعنا نفكر في أربعة أسئلة:

١ - هل هذه الرغبات في النمو الروحي رغبات كتابية؟ أم أنه بإمكاننا أن نكون مكتفين ومرتاحين وآمنين مثلما كان روب؟

٢ - إن كنا نرغب في أن ننمو روحيًا، كيف يمكن أن نفعل ذلك كأفراد وككنيسة؟

٣ - هل النمو الروحي هو أمر ذو أهمية كبيرة حقًا؟

٤ - ماذا لو أننا لا ننمو؟

تتميز الكنيسة الصحيحة بأن لديها أعضاء يهتمون اهتمامًا بالغًا بنموهم الروحي. ففي الكنيسة الصحيحة، يحتاج الناس أن ينموا ويتغيروا إلى الأفضل في اتِّباعهم ليسوع المسيح.

اللاهوت الكتابي للنمو

أولًا، هل الرغبة في النمو الروحي رغبة كتابية، أم أنها مجرد نموذج للهوس الأمريكي المعاصر بالتقدم والنمو: حيث أننا نعبد التقدم في كل شيء، ومن ثم فإننا نُقحِم هذا المدلول في فهمنا للمسيحية؟ أم أن التركيز على النمو الروحي هو نوع روحيٌّ من حُب الذات، بحيث نصبح مؤمنين نرجسيين يبالغون في الاهتمام بقِيَمِهِم الروحية؟

فيما ندرس الكتاب المقدس، سنجد أن النمو الروحي ليس مجرد أمر يهتم به الأمريكيون محبو التقدم، بل هو أمر يهتم به الكتاب المقدس أيضًا.

ففي أول سفر في الكتاب المقدس، أوصى الله مخلوقات الأرض والبحر أن يتكاثروا: «وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلًا: أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». (تكوين ١: ٢٢) وبعدها بأعداد قليلة نجده يعطى هذه الوصية وأكثر لآدم وحواء: «وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». (تكوين ١: ٢٨).

وبعدها بأسفار قليلة، بعد أن محا الله العالم بقضائه بالطوفان، ما هو أول شيء أوصى به الله أبناء نوح أن يفعلوه؟ «وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا

وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ». (تكوين ٩: ١).

ثم لاحقًا في سفر التكوين أيضًا، وَعَدَ الله ابراهيم أن نسلَه سيكون عظيمًا وسوف يزيد. وحينما نزل بنو إسرائيل إلى مصر واستُعبدوا هناك، تضاعفوا وازدادوا في العدد. كانت هذه علامة على بركة الله لهم. ثم باركهم الله مرة أخرى حين ذهبوا إلى أرض الموعد. حتى عندما أُخذوا في السبي إلى بابل، ماذا حدث؟ أوصاهم الله من خلال إرميا: «خُذُوا نِسَاءً وَلِدُوا بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَخُذُوا لِبَنِيكُمْ نِسَاءً وَأَعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِرِجَال فَيَلِدْنَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَاكْثُرُوا هُنَاكَ وَلاَ تَقِلُّوا». (إرميا ٢٩: ٦)

إن الله لم يعتنق مبدأ المفكر الاقتصادي البريطاني إرنست فريدريك شوماخر بأن الصغير هو الجميل! فبالرغم من أنه أحيانًا يكون الأقل أكثر، لكن الأصغر ليس بالضرورة هو الأفضل. أنا لا أقول إن الله من تكساس (حيث يُقال أن كل شيء في تكساس أكبر وأفضل) وإنما أقول إنه يرى أن الوفرة بركة. فواحدة من الطرق التي كان يشجع بها الله البر في العهد القديم، كانت عن طريق وفرة البركات التي يسكبها من خلال النمو والرخاء. لذا نقرأ في مزمور ٩٢: ١٢-١٣:

«اَلصِّدِّيقُ كَالنَّخْلَةِ يَزْهُو، كَالأَرْزِ فِي لُبْنَانَ يَنْمُو مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلهِنَا يُزْهِرُونَ».

وفي سفر الأمثال، يعطي الربُّ وصايا عن الطرق التي يمكن أن ننمو بها. يخبرنا بشكل أساسي أن زيادة القوة تأتي بزيادة الحكمة، وزيادة الحكمة تأتي بأن نكون برفقة الحكماء. (أمثال ٢٤: ٥، ١٣: ٢٠).

بالطبع يجب ألا نسعى وراء النوع الخطإ من النمو. يجب ألا نبالغ في إعجابنا بزيادة الأمور المادية كالثراء والممتلكات. كما يُحذِّرُنا مزمور ٤٩: ١٦- ١٧:

«لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ؛ لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لاَ يَأْخُذُ. لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ».

فالموت ينتزع منَّا كل الممتلكات التي جمعناها في هذا العالم. فيجب ألا نبالغ في إعجابنا بها.

ومن الأشياء التي يعلمنا إياها الكتاب المقدس عن النمو، هو أن ملكوت السموات سوف ينمو. هذا ما تنبأ به العهد القديم وهو ما وعد به يسوع أيضًا. ونحن نغنِّي هذه النبوة الموجودة في إشعياء ٩: ٧، في مناسبة عيد الميلاد من كل عام، والتي فيها وعد الله أن مملكة مسيحه سوف تنمو:

«لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا».

تكلَّم الرب يسوع نفسه عن مملكته وكيف أنها ستنمو تتميمًا لهذه النبوة. إذ يقول أنها ستنمو من كونها أصغر جميع البذور إلى أكبر نبتة في الحديقة: «وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا». (متى ١٣: ٣٢).

البذرة، بالطبع، تقع على الأرض وتموت. ولكن بالرغم من أن المسيح قد صُلب ودُفن إلا أنه أُقيم ثانيةً، وملكوت الله الذي ابتدأ يبنيه حدث له تمامًا ما تنبأ به أنه سيحدث؛ ابتدأ ينمو. وفي سفر الأعمال تتكرر هذه الفكرة مرات ومرات:

«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ تَكَاثَرَ التَّلاَمِيذُ. . . وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو، وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإِيمَانَ». (أعمال ٦: ١، ٧).

«وَأَمَّا كَلِمَةُ اللهِ فَكَانَتْ تَنْمُو وَتَزِيدُ» (أعمال ١٢: ٢٤).

«وَانْتَشَرَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ فِي كُلِّ الْكُورَةِ» (أعمال ١٣: ٤٩).

«هكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ». (أعمال ١٩: ٢٠).

وهكذا نجد نموًا عدديًا مستمرًا في العهد الجديد كما كان في العهد القديم. ولكن النمو الذي يتم مناقشته، والحث عليه، والصلاة لأجله في العهد الجديد؛ ليس نموًا عدديًا فحسب. فإن كانت كنيستك مزدحمة الآن بالناس أكثر مما كانت عليه منذ سنوات قليلة، فهل هذا يعني أنها أصبحت كنيسة صحيحة؟[1] ليس بالضرورة. فهناك نوع آخر من النمو. إن فكرة العهد الجديد عن النمو لا تعني فقط مزيدًا من الناس، بل أيضًا أناسًا ينمون وينضجون ويتعمقون في الإيمان. فنقرأ في أفسس ٤: ١٥– ١٦: «بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِل، حَسَبَ عَمَل، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ».

كيف يحدث هذا النمو؟ في النهاية هو يحدث عن طريق عمل الله. نحن ننمو باعتبارنا جسد المسيح حين يصنع الله النمو. وبحسب كولوسي ٢: ١٩، فإن المسيح هو «الرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِرًا وَمُقْتَرِنًا يَنْمُو نُمُوًّا مِنَ اللهِ».

ليس الواعظ في النهاية هو من يجعل الكنيسة تنمو. قد يستخدم الله الواعظ، فهذا أمر عائد له هو. كتب بولس لمؤمني كورنثوس عن هذه النقطة بالتحديد؛ فقد كانوا يميلون لتقديس الوعاظ فصيحي الكلام. لذلك ذكَّرهم بولس بأنه غرَسَ «وَأَبُلُّوسُ سَقَى، لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي، إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي». (١كورنثوس ٣: ٦، ٧).

كان بولس تلميذًا جيدًا ليسوع، الذي علَّم هو نفسه أنَّ نموَّ ملكوت الله يأتي من الله نفسه ولا يعتمد علينا في الأساس. وفي مرقس ٤ يقارن يسوع ملكوت الله بالمحصول الذي بينما ينام الزارع؛ يواصل هذا المحصول نموه، سواء كان الزارع سيستيقظ أم لا. لم يكن مغزى يسوع من المثل هو أن نكون كسالى ومتبلِّدين، بل أنَّ نموّ ملكوت الله لا يعتمد علينا في الأساس. الله نفسه ملتزم بأن يضمن نمو

كنيسته. «وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ». (مرقس ٤: ٢٧). الله هو الذي يجعلُ الزرعَ ينمو.

لهذا السبب حين كتب بولس لأهل تسالونيكي، لم يكن بالحري يهنئهم على نموِّهم: «رائع! لقد نموْتم جيدًا جدًا»، بل كان بالحري يشكر الله على ذلك. فالنمو ليس بالضرورة يسبب فخرًا. بل يمكن أن يسبب تواضعًا وعرفانًا بأن الله هو من يعطي النمو: «يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ كَمَا يَحِقُّ، لأَنَّ إِيمَانَكُمْ يَنْمُو كَثِيرًا، وَمَحَبَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ جَمِيعًا بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ تَزْدَادُ». (٢تسالونيكي ١: ٣).

ولهذا السبب عندما أراد بولس أن تنمو جماعة المؤمنين، كان يصلي لأجلهم. إذ أدرك أن النمو يأتي من الله. وفي رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي، نجده يصلي:

> **«وَاللهُ نَفْسُهُ أَبُونَا وَرَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ. وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ، كَمَا نَحْنُ أَيْضًا لَكُمْ، لِكَيْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ بِلاَ لَوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا فِي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ». (١تسالونيكي ٣: ١١-١٣).**

وفي كولوسي، نجد بولس يصلي لقارئي الرسالة لكي ينموا روحيًا: «لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ». (كولوسي ١: ١٠).

والآن، أنا لا أقصد أن أقترح أن أمر نمونا الروحي لا يتعلق بنا. فتلك الحقيقة التي اجتهدتُ أن أكتب عنها، تعني أنه لا بد أنني أومن أن نمونا الروحي يتعلق بنا بطريقة ما. ففي ٢بطرس ٣: ١٨، ينهي بطرس رسالته بنصيحته: «انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». لقد جاءت الكلمة في صيغة الأمر، إذ

يقول: «انْمُوا».

ينبغي أن نرغب في النمو روحيًا. لكن كيف نفعل ذلك؟ في الأصحاح الأول من هذه الرسالة، يقول بطرس: «لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». (٢بطرس ١: ٨)

ماذا يقصد بطرس بكلمة «هذه»؟

> **«وَلِهذَا عَيْنِهِ - وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ - قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً. لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». (الأعداد ٥ - ٨).**

ينبغي أن نرغب في أن ننمو. ونحن ننمو عن طريق الاهتمام بهذه الفضائل. ويشدِّد بطرس في موضع آخر على أهمية معرفة كلمة الله. فهو يقول إن أردتَ أن تنمو، فعليك أن تفعل هكذا:

> **«وَكَأَطْفَال مَوْلُودِينَ الآنَ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. الَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ، حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ - كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ - بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ». (١بطرس ٢: ٢-٥).**

إن النمو الروحي هو مفهوم كتابي تمامًا. فليس الأمريكيون وحدهم هم من يهتمون بالنمو؛ فهو ليس مجرد شيء يتعلق بثقافة أُمَّتنا، بل هي فكرة قائمة في الكتاب المقدس، وهي قديمة قدم الخليقة نفسها.

الممارسة الكتابية للنمو

إذًا كيف ننمو نحن المؤمنين؟ وأي نوع من الكنائس سوف تشجع مثل هذه التلمذة بين أعضائها؟ فمن جهة، هذا هو ما كنا ندرسه طيلة هذا الكتاب. ولكن كيف تؤثر كل علامة من العلامات الثمانية الأخرى المدروسة في هذا الكتاب، على نمونا كمؤمنين، فرديًا وجماعيًا؟ أنا على قناعة بأن كل علامة من هذه العلامات يمكن أن تساهم بدور في اتِّباعنا المسيح بشكل أفضل. فمن أجل الصحة الروحية للمؤمن الفرد، ومن أجل فائدة المؤمنين الآخرين، ومن أجل صحة الكنيسة ككل، ومن أجل شهادتنا أمام غير المؤمنين، ولأجل مجد الرب، فإن كل علامة من هذه العلامات لديها إسهام خاص تسهم به.

الوعظ التفسيري

إن الكنيسة التي بها وعظ تفسيري عادة ما تكون الكنيسة التي تشجع المؤمنين على النمو. فكلمة الله هي ما نحتاجه إن كنا نريد أن ننمو. فالثقافة من حولنا لن تخبرنا ما هو أكثر شيء نحتاجه. ولا نستطيع حتى أن نفتش في قلوبنا على معرفةٍ مثل هذه. كتب أوس جينيس هذه الكلمات:

> **«إن نصف الحقيقة المبالغ فيها بشأن «حاجة الكنيسة لتسديد الاحتياجات». . . يُسفر عن نتائج غير مقصودة. فكما أن الشغف المعاصر المتعلق بنمو الكنيسة من أجل «الملاءمة» سيصبح هو طريقها إلى عدم الملاءمة، كذلك شغفها المعاصر «بالاحتياجات الملموسة» سيُحول الكنيسة إلى غرفة تعكس صدى الاحتياجات العصرية الشائعة، فيختفي الصوت الذي يتناول الاحتياج البشري الحقيقي، خلف هذه الاحتياجات الملموسة. وفي النهاية، لو أن الاحتياجات الحقيقية هي خطوة أولى نحو الإيمان والصلاة، فإن الاحتياجات المزيفة هي العكس تمامًا. وكما علَّقَ جورج ماكدونالد: «إن ذلك الاحتياج الذي هو ليس باحتياجٍ، هو شيطان يستهلك ينبوع حياتك»** (٢).

لنعرف أكثر ما نحتاجه في حياتنا، نحتاج أن نرجع إلى الله نفسه. نحتاج أن نسمع كلمته يُوعَظ بها تفسيريًا – كلمته كلها – ومن ثم لا نسمع فقط بعض الموضوعات الانتقائية. هناك بعض الأمور في الكتاب المقدس التي نريد أن نتجنبها. فليس منا من هو مقدس أو كامل أو مبني روحيًا جيدًا لدرجة أن يُبدي حفاوة وسعادة بكل كلمة في الكتاب المقدس. ليحفظنا الرب من أن نكون في كنيسة تُوعَظ فيها كلمة الله بانتقائية. وينبغي أن نصلي أن يمد الله كنيسته بالوعاظ الذين يعظون بكلمته بكاملها.

بينما ندرس كلمة الله، نرى معونته واعتناءه بخاصته على مدار التاريخ. ونصير مدركين لروعة خطة الله. ونرى مجد الإنجيل. ونرى كيف يقوِّمنا الله. والطريف في الأمر، أنه عندما نسمع الوعظ التفسيري نصبح أقل اعتمادًا على الواعظ، ونصير مهتمين أكثر بكلمة الله. ولذلك إن كان راعي الكنيسة متغيبًا ووقف شخص آخر على المنبر، فلا بأس بذلك. نحن نحب خدامنا، ولكننا نحب كلمة الله أكثر. هذا ما نريد أن نسمعه. فهذا ما بُنِيتْ عليه الكنيسة: سماع كلمة الله تتحدث إلينا بينما يستخدمها الروح القدس في قلوبنا. فمن خلال كلمته، نتعرف أكثر على الله وعلى شخصيته، أكثر مما يمكننا أن نخمن أو نفترض.

كن حريصًا جدًا قبل الانضمام إلى كنيسة لا تشدد على الوعظ التفسيري، أو تدْعو واعظًا لا يعظ بالوعظ التفسيري، وليس ملتزمًا بالوعظ من كلمة الله بكاملها، مهما يكن بها من أجزاء تجعلنا نشعر بعدم الراحة.

اللاهوت الكتابي

نحن ننمو حين نفهم أكثر حقيقة الله وحقيقة أنفسنا. وننمو حين نفهم أكثر رعايته وشخصيته. وننمو حين نقرأ السجل الكتابي لاختيار الله لأناس ثم العمل معهم خلال ظروف صعبة للغاية. نحن نتشجع حين نرى الصورة الكبيرة، والخطة، والمغزى. ونبدأ في النمو في معرفتنا به. ونبدأ في الثقة فيه أكثر.

كيف تنمو قدرتنا على الثقة في الله؟ تنمو قدرتنا هذه جزئيًا من خلال الصعوبات التي يسمح الله لنا أن نجتاز فيها. ولكن الخبرة هي فقط نصف الأمر. هذا ما يمنحنا فرصة لنثق فيه. ولكن لماذا نثق فيه؟ نحن نثق فيه لأنه أظهر وبصورة مثالية أنه جدير بالثقة. فإعلان الله عن نفسه في كلمة الله بكاملها، وعلى مدار التاريخ، يُظهر إنه جدير بثقتنا، بغض النظر عما يضعه في طريقنا.

فهم كتابي للإنجيل

فيما ندرك أكثر فأكثر عمق احتياجنا، نتدرب على الاتكال على المسيح. كتب جون نيوتُن، مؤلف ترنيمة Amazing Grace «ما أعجب النعمة»، قصيدة عن الثقة في المسيح وعن محاولة النمو كمؤمن:

> **سألتُ الرب أن أنمو في الإيمان والمحبة، وكل نعمةٍ. وأن أعرف المزيد عن خلاصه، وأطلب بكل جدٍ وجهه. وتَمَنَّيتُ أن في ساعةٍ تروق له، يستجيب على الفور طلبتي، وبقوة محبته الهائلة يقمع خطاياي، ويمنحني راحةً. وبدلًا من ذلك، جعلني أشعر بالشر المستتر في قلبي؛ وجعل قُوَى الجحيم الغاضبة تَنْقَضُّ على كل ما في نفسي** (٣).

حالما يكون لدينا فهم كتابي أعمق لحالتنا كبشر، فإنه بالرغم من أننا نحزن ونتألم لمآسٍ مثل الهجمات الإرهابية أو القتل الجماعي العشوائي، إلا أننا لا يمكن أن نقول إننا مصدومون بالطريقة عينها التي ربما يُصدَم بها غير المؤمنين. فنحن ندرك شيئًا عن قدراتنا الهائلة كحاملين لصورة الله، وكيف أن هذه القدرات يمكن أن تنحرف بشدة بعيدًا عن الحق إن لم نستخدمها بالخضوع لله. وحين نبدأ نفهم المزيد عن طبيعة ضعفنا، وعصياننا الآثم، فبالرغم من غرابة الأمر إلا أننا سنبدأ في أن نفهم المزيد عن محبة الله. بعض الناس يُفرقون بين الوعاظ الذين يُحذِّرون من «نار الجحيم» من جهة والوعاظ الذين يفهمون محبة الله من جهة أخرى. غير أن هذه التفرقة لا تعدو كونها صورة كاريكاتيرية مبالغ فيها. فالوعاظ الذين

يتحدثون فقط عن محبة الله، يتحدثون عنها أقل فأقل مع كل عظة يلقونها، لأن تلك الأشياء التي يحبنا الله بالرغم منها قد تضاءلت في أذهانهم شيئًا فشيئًا. وتضاءلت شيئًا فشيئًا المشكلة التي كان قد تعامل معها الله، وتضاءل شيئًا فشيئًا الحِملُ الثَّقيل الذي قد حمله يسوع. وتضاءل مدى الألم الذي قاساه يسوع من أجل محبَّته لنا. ومن ناحية أخرى، حين نبدأ نفهم حقيقة عصياننا الآثم ضد الله، نبدأ نفهم وبشكل أعمق محبة الله لنا في المسيح.

إن الكنيسة الواضحة بشأن الإنجيل ستساعدك أن تنمو كمؤمن. ستساعدك أن تنمو في الثقة فيما تزداد معرفتك لمحبة الله. فلا يمكنك حقًّا إلا أن تنمو حين تفهم أكثر فأكثر ما الذي فعله الله لأجلك في المسيح. هل تريد أن تنمو كمؤمن؟ تأمل كلمات ترنيمة تشارلز ويسلي العظيمة And Can It Be? «أيمكن أن يكون لي نصيبًا؟» وعُدْ لانبهارك بالإنجيل.

للاهتداء (الإيمان بالمسيح)

حين تُدرك حالتك الروحية ومدى اعتمادك على الله من أجل حياتك المسيحية، فأنت لا تصبح غير مبالٍ، بل تصبح ممتنًا، وتصبح بشكل عميق ومتأصل شاكرًا لله من أجل رحمته لك أنت وآخرين كثيرين. ويصبح رجاؤك راسخًا أكثر، إذ تدرك أن رجاءك ليس مبنيًا على أمانتك أنت بل على أمانة الله. ينبغي أن يكون هذا تشجيعًا هائلًا لأي شخص يعرف نفسه أنه خاطئ. إن الله يحبنا انطلاقًا من طبيعته المُحبَّة.

وحين نبدأ ندرك أن خلاصنا هو ثمرة عمل الله في حياتنا، لا يُغوينا أي شعور بالفخر الخطإ في حياتنا الروحية، لأننا نفهم من الكتاب المقدس ما هو التغيير. فنفهم أكثر كيف يكون المؤمن الحقيقي وكيف نصير مؤمنين حقيقيين، بنعمة الله.

فهم كتابي للكرازة

إن الافتقار إلى النمو الروحي في حياة الأشخاص الذين يدعون أنفسهم مؤمنين هو غالبًا دليل على أنه كُرز لهم بطريقة خاطئة. نحن نجعل غير المؤمنين يظنون أنهم مؤمنون. زَعَمَ مؤخرًا أحد الخبراء في مجال نمو الكنيسة أن «ما بين خمسة إلى عشرة ملايين من مواليد فترة الطفرة السكانية (الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية)، سيأتون إلى حظيرة الخراف من جديد في خلال شهر لو تبنَّت الكنيسة ثلاثة تغييرات بسيطة: ١. تقوم بالدعاية. ٢. تُعرِّف الناس بفوائد المنتج. ٣. تكون لطيفة تجاه الناس الجدد»[٤]. أهذا كل ما في الأمر؟ القيام بالدعاية، إظهار فوائد المنتج بوضوح، وأن تكون لطيفة تجاه الناس الجدد، وما بين خمسة إلى عشرة ملايين فرد سيأتون إلى الكنيسة في غضون شهر؟ ربما يكون كذلك. لكنني لا أعرف إن كنا سنراهم يهتدون.

لا تُسِئْ فهمي. فالأمر ليس أنني أريد أن أُنحِّيَ اللافتات جانبًا وأتوقف عن الدعاية والإعلان. وليس أنني لا أريد أن أخبر الناس عن مزايا أن تكون مؤمنًا، أو أني أريد أن أُبقي هذا الأمر سرًّا لنفسي. والأمر ليس أني أريد أن نكون قساة تجاه الأشخاص الجدد حين يأتون إلى الكنيسة. ولكننا يجب أن نفهم أن الكرازة هي أكثر من كل هذه الأشياء. الكنيسة ليست مؤسسة دعم. نحن نخبر الناس رسالة جدية عن حالتهم أمام الله، وعن الأخبار الرائعة الخاصة بالحياة الجديدة التي يمنحها لهم الله في المسيح. وندعوهم للدخول في هذه الحياة بوسائل مؤلمة ونابعة من شعور المرء باحتياجه الشديد؛ ألا وهي التوبة والإيمان.

حين نبدأ نفهم أكثر ما يعلِّمه الكتاب المقدس عن الكرازة، نبدأ نثق في الله لمساعدتنا في نشر الأخبار السارة. وسنشعر أكثر أننا نطيعه حين ندرك أن واجبنا ليس أن نغيِّر أحدًا بل ببساطة أن نخبره هذه الأخبار بكل أمانة. هناك حرية رائعة في ذلك. أنا لست مضطرًا أن أشعر بأنني ملزم بأن أجاوب كل واحد عن كل

سؤال. أنا فقط ملزم بأن أخبرهم الحق عن يسوع المسيح، وأن أحبهم، وأن أصلي لأجلهم. لقد دُعيتُ ببساطة أن أكون أمينًا في توصيل الرسالة، وهذا يجلب لي حرية رائعة. إن مزيدًا من الفهم الكامل لعمل الله في التجديد، يشجعني أن أثق بالله.

فهم كتابي لعضوية الكنيسة

أن نحيا الحياة المسيحية يعني أن نكون ملتزمين أحدنا تجاه الآخر. وذلك يقتضي أن نكون جزءًا من مجتمع مسيحي مركزه يسوع المسيح. إن التعامل أحدنا مع الآخر، يجبرنا أن نتعامل مع تلك المناطق في حياتنا التي كنا سنتحاشى التعامل معها لولا ذلك؛ وبسبب تعهدنا بالمحبة أحدنا تجاه الآخر، فإننا نصلي ونفكر في هذه المناطق التي نتحاشاها ونتوب. فمن خلال التزاماتنا ومسئولياتنا كأعضاء في الكنيسة، نتعلم المزيد عن معنى المحبة المسيحية الحقيقية. ونتشجع حين نرى عمل الله في حياة الآخرين. ونتشجع حين نرى الأعضاء القدامي يتم الاعتناء بهم، والمؤمنين الجدد ينضجون. وحتى إن كانت بعض الأمور في حياتنا ليست بأفضل حال، فيمكننا أن نتشجع من خلال عمل الله في حياة الآخرين. هكذا يُفترض أن يكون. وهذا واحد من الأسباب التي من أجلها لا يدعونا الله أن نخوض هذا السباق بمفردنا. فتأصلّك في الكنيسة يشجعك أيضًا على المحاسبة، ويساعدنا بطرق كثيرة متنوعة أن ننمو كمؤمنين.

فهم كتابي للتأديب الكنسي

واحدة من النتائج غير المقصودة لإهمال الكنيسة للتأديب الصحيح؛ هو أنه يصير من الصعب جدًا أن نصنع تلاميذ. ففي كنيسة ليس بها تأديب، تكون القدوة غير واضحة والمثل الأعلى مشوشًا.

«السيد فلان هو عضو بالكنيسة منذ أربعين سنة. ولكن انظرْ ما الذي يفعله».

«حسنًا، نعم ولكنه عضو في كل اللجان».

الزوان ليس شيئًا محببًا، فليس هناك مُزارع يقصد أن يزرع زوانًا. فقد يكون له آثار ضارة على النباتات من حوله. وخطة الله للكنيسة المحلية لا تشجعنا على ترك الزوان بدون فحص. لقد قصد الله لمجده أن تتألف الكنيسة من أناس غير كاملين، ولكنه قصد أن هؤلاء غير الكاملين ينبغي أن يكونوا أناسًا يحبون الله، ويستطيع الله أن يعمل في حياتهم؛ ليجعلهم أكثر قداسة.

فلفائدة المؤمن الواقع تحت التأديب، ولفائدة المؤمنين الآخرين الذي يرون في التأديب إنذارًا، ولأجل صحة الكنيسة ككل، ولأجل شهادتنا لغير المؤمنين، ولأجل مجد الله، سنجد عونًا للنمو حين نمارس التأديب الكنسي.

فهم كتابي لقيادة الكنيسة

سنجد أيضًا عونًا كمؤمنين في فهمنا الكتابي للقيادة. فحينما يُحضِر الله أناسًا في حياتنا وقد دعاهم للقيادة الروحية، فإننا نفوز حينها بقدوةٍ عملية ورؤية إلهية. وسوف نركز على ذلك أكثر في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

هذه بعض من الطرق التي من خلالها تسهم هذه «العلامات الثمانية الأخرى التي تميز الكنيسة الصحيحة» في نمونا الروحي كمؤمنين.

آمال في النمو

قبل الدخول في مناقشة أهمية النمو الروحي، دعوني أشارككم ببعض من آمالى لخدمتي وحياتي وكنيستي، بشأن قضية النمو الروحي.

الافتقاد الراعوي

خلال قيامي بدوري الراعوي، آمل على وجه التحديد أن أكون قادرًا – ربما ببطء ولكن بثبات – على القيام بالافتقاد الراعوي بصورة منتظمة وبالطريقة القياسية التي كانت سارية في سنوات ماضية[٥]. حين جئت لكنيسة كابيتول هيل

المعمدانية، للمرة الأولى، بدأت في مقابلة الأعضاء الحاليين من شعب الكنيسة. وأقوم أنا أو أحد الشيوخ الآخرين بمقابلة كل الأعضاء الجدد المحتملين، للتحقق من فهمهم للإنجيل، ومن شهادتهم كيف صاروا وكيف يسلكون كمؤمنين. فنحن نأمل من خلال ذلك أن نكتسب فهمًا لهؤلاء يتجاوز فهمنا الذي يمكن أن نكتسبه من خلال الأوقات القصيرة التي تُتاح لنا مع كل واحد منهم، والتي تكون أحيانًا مجرد لقاءات عند باب الكنيسة في صباح الأحد. بعض القساوسة يسعون وراء ذلك عن طريق وضع جدول للزيارات والافتقاد، ومقابلة كل عضو من أجل الصلاة والسؤال عن حياتهم. وأسئلة مثل الأسئلة التالية، التي شاركني بها راعٍ آخر، تساعدنا في التعرف على أعضاء كنيستنا:

- **ما هي بالتحديد النواحي التي حققتَ فيها نموًا في فهمك للحياة المسيحية، منذ أن تقابلنا آخر مرة؟**
- **كيف حققتَ نموًا في ممارستك للحياة المسيحية، منذ أن تقابلنا آخر مرة؟**
- **أية مناطق بالتحديد تشعر أنك بحاجة لتوجيه فيها؟**
- **هل أنت محبط في سعيك نحو القداسة؟ وإن كان كذلك، وضِّحْ!**
- **ما الذي تريدَني بالتحديد أن أصلي لك من أجله؟**

هذا ما أود أن أراه في الكنيسة التي أخدم بها، وأصلي أن يكون ذلك أمرًا معتادًا أكثر في كنيستك أيضًا.

النمو معًا ككنيسة

آمل أكثر فأكثر أن نعيش في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية ما تعهدنا به لله ولبعضنا البعض في ميثاق كنيستنا، والذي جاء فيه:

> **إذ نثق أننا أُحضرنا بالنعمة الإلهية لنتوب ونؤمن بالرب يسوع المسيح، ولنسلم له ذواتنا، وإذ اعتمدنا حين اعترفنا بالإيمان، باسم الآب والابن والروح القدس، الآن، ونحن متكلون على سخاء معونته، نجدد بكل**

وقار وفرح ميثاقنا مع بعضنا البعض. سنعمل ونصلي من أجل وحدانية الروح برباط السلام. سنسلك معًا في محبة أخوية، إذ نصبح أعضاء كنيسة مسيحية؛ نمارس الرعاية المُحبَّة والاعتناء بعضنا ببعض، ونعاتب وننصح أحدنا الآخر بكل أمانة، كلما دعت الحاجة. لن نترك اجتماعنا معًا، ولن نهمل الصلاة لأجل أنفسنا والآخرين.

وسنسعى جاهدين أن نُربِّيَ، في تأديب الرب وإنذاره، كل من يأتي تحت رعايتنا في أي وقت، ومن خلال القدوة الطاهرة المُحبة، حتى نسعى لأجل خلاص عائلتنا وأصدقائنا.

سنفرح لسعادة بعضنا البعض، وسنحاول بكل حنوٍ وتعاطف أن نحمل أثقال وأحزان بعضنا البعض.

سنسعى بمعونة الرب أن نعيش بتدقيق في العالم، وأن ننكر الفجور والشهوات العالمية، وأن نتذكر أنه إن كنا دُفنًا طواعيةً بالمعمودية وقمنا ثانيةً من الموت الرمزي، فعلينا التزام خاص الآن بأن نعيش حياةً جديدة ومقدسة.

سنعمل معًا من أجل استمرار الخدمة الإنجيلية الأمينة في هذه الكنيسة، إذ نصون العبادة، والفرائض، والتأديب، والعقائد. وسوف نساهم بسرور وبصورة منتظمة في دعم الخدمة، ومصروفات الكنيسة، وإعانة الفقراء، ونشر الإنجيل في كل الأمم.

وحين نرحل عن هذا المكان، سوف نتحد بأسرع ما يمكن بكنيسة أخرى حيث نستطيع أن نحقق فيها روح هذا الميثاق ومبادئ كلمة الله.

نعمة الرب يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعنا. آمين.

في كل مرة نجتمع فيها حول مائدة الرب، وفي كل اجتماع نعقده للأعضاء، يقف أعضاء الكنيسة ونقرأ معًا وبصوت عالٍ هذا الميثاق. إنه يعبّر عن التعهد المحدد الذي نتخذه تجاه ولأجل بعضنا البعض، كجزء من تعهدنا تجاه الله.

وهذا الميثاق يعكس بوضوح فهمنا أن النمو كمؤمن ليس مسئولية الفرد وحده. كما أنه ليس مسئوليتي وحدي كراعٍ للكنيسة. فأعضاء الكنيسة يجب أن يعلِّموا بعضهم البعض. وهذا جزء مما يربطنا معًا كجسد المسيح. ويتضمن ميثاق كنيستنا ما نتعهد به ككنيسة بأن نفعله لنساعد بعضا البعض في أن ننمو كمؤمنين. سوف نفعل ذلك بصورة غير مكتملة – لا شك في ذلك– ومع هذا فأننى آمل أننا في كنيستنا (وأنك في كنيستك) نعمل ونصلي معًا بصورة متزايدة، وأن نسير معًا، وألا نترك اجتماعنا، وأن نجتهد في أن نربّي أولئك الذين يعطينا إياهم الرب في مشيئته وطرقه، وأن نفرح ونحزن مع بعضنا البعض، وأن نسعى لنعيش بالتدقيق، وأن نعمل معًا في الخدمة، ونساهم في المصروفات، ونساهم في احتياجات الإنجيل في كل الأمم، وأن نعرف أنه حين نرحل عن هذا المكان فإننا سنتحد بكنيسة أخرى نستطيع أن نواصل فيها فعل هذه الأمور. هذه هي الأمور التي نتعهد بها لمساعدة بعضنا البعض لننمو كمؤمنين.

أهمية النمو الجيد

هل النمو مهم؟ نعم، أن ننمو كمؤمنين هو أمر هام جدًا. هذه هي الطريقة التي نشهد بها لله. فعندما نرى كنيسة مؤلفة من أعضاءٍ ينمون في تشبههم بالمسيح، من الذي سيحظي بالتقدير هنا؟ لقد رأينا الإجابة مسبقًا في الكتاب المقدس: «لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي». (١كورنثوس ٣: ٦) وكما كتب بطرس: «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، في مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرّ، يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا». (١بطرس ٢: ١٢).

من الواضح أن بطرس كان يتذكر كلمات يسوع التي قالها في الموعظة على الجبل: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ..». لو كان يسوع قد توقف عند هذا، لكان من الطبيعي أن نسقط في فخ الإعجاب بالنفس، ولكن يسوع أكمل قوله: «... وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السموات». (متى ٥: ١٦).

فالعمل من أجل تعزيز التلمذة والنمو المسيحيين هو عمل من أجل جلب المجد ليس لأنفسنا بل لله. هذه هي الطريقة التي يعلن الله بها عن نفسه للعالم.

هذا وإن الكنيسة الصحيحة لديها اهتمام بالغ بنمو الكنيسة؛ ليس مجرد أرقام تنمو بل أعضاء ينمون. فكنيسة مليئة بمؤمنين ينمون هو ذلك النوع من نمو الكنيسة الذي أريده كراعٍ للكنيسة. يبدو أن البعض اليوم يظنون أن الفرد يمكن أن يكون «مؤمنًا طفلًا» طوال حياته. ويُنظَر للنمو باعتباره خيارًا إضافيًا للتلاميذ المتحمسين على وجه الخصوص. احذر جدًا هذا النوع من التفكير. إن النمو علامة على الحياة. فالأشجار النامية هي أشجار حية، والحيوانات النامية هي حيوانات حية. وعندما يتوقف شيءٌ ما عن النمو، فإنه يموت.

قد لا يعني النمو أن تنجح في عبور منحدرات نهر في نصف الوقت الذي استغرقته في عبور منحدرات سابقة؛ بل ربما يعني ببساطة أن تكون قادرًا على الاستمرار في الاتجاه الصحيح كمؤمن، مهما كانت الظروف المعاكسة. تَذَكَّرْ أن الكائنات الحية فقط هي التي تسبح ضد التيار؛ بينما الكائنات الميتة كلها تطفو مع التيار.

كان بولس يأمل في أن ينمو مؤمنو كورنثوس في إيمانهم المسيحي (٢كورنثوس ١٠: ١٥). وعبَّر عن أمله لمؤمني أفسس بالقول: «نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ» (أفسس ٤: ١٥؛ قارن كولوسي ١: ١٠؛ ٢تسالونيكي ١: ٣). في بعض المرات يكون مغريًا لبعض القساوسة أن يقللوا من حجم كنائسهم إلى أعداد يسهل السيطرة عليها فيما يخص الحضور، والمعمودية، والعطاء، والعضوية، بحيث يكون النمو ملموسًا ويمكن تسجيله وإثباته ومقارنته. ومع ذلك، فإن هذه الأعداد لا ترقى إلى النمو الحقيقي الذي يصفه بولس في هذه الآيات، والتي يريدها الله. وبدلًا من التفكير في النمو باعتباره رسمًا بيانيًا، أو سجلًّا متصاعدًا، أو حتى قياسات متراجعة: إجمالي الاجتماعات التي تم حضورها، والأموال المدفوعة،

والكتب التي قُرئت، ربما يكون من الأفضل أن تفكر في النمو المسيحي كنوع من ألعاب الفيديو، حيث يُعطى لك كل يوم تحدٍ جديد لتعيش ذلك اليوم كمؤمن.

في أطروحته حول «الشعور الديني» (Treatise Concerning Religious Affections) يرى جوناثان إدواردز أن النمو الحقيقي في التلمذة المسيحية ليس في النهاية مجرد حماسة، أو زيادة في استخدام المرء للمصطلحات الدينية، أو معرفة متزايدة بالكتاب المقدس. وليس حتى ازديادًا ملحوظًا في الفرح أو المحبة أو الاهتمام بالكنيسة. فحتى الزيادة في الغيرة والحماس والتسبيح لله، وثقة المرء في إيمانه الشخصي، ليسوا دليلًا معصومًا على النمو المسيحي الحقيقي. فما هو الدليل إذًا على النمو المسيحي الحقيقي؟ وفقًا لإدواردز، في حين أن كل هذه الأشياء قد تكون دليلًا على النمو المسيحي الحقيقي، إلا إن العلامة الأكيدة التي يمكن ملاحظتها لهذا النمو هي حياةٌ تنمو في القداسة، ومتأصلة في إنكار الذات المسيحي. ينبغي أن تتميز الكنيسة بالاهتمام الحيوي بهذا النوع من التقوى النامية في حياة أعضائها.

إن التأثيرات الجيدة لمجتمع مؤمنين يربطهم ميثاق، يمكن أن تكون أدوات بين يدي الله ليُنمِيَ شعبه. وكما أن شعب الله مبنيون وينمون معًا في القداسة والمحبة الباذلة للنفس، فإنهم ينبغي أن يطوروا قدراتهم على تطبيق التأديب، وتشجيع التلمذة. فالكنيسة لديها التزام بأن تكون وسيلة لتنمية شعب الله في النعمة. ولو كانت الكنيسة، بدلًا من ذلك، هي مكان يتم فيه تعليم أفكار القساوسة فقط، ويتم فيه التشكيك في الله أكثر من عبادته، ويتم فيه تخفيف الإنجيل، وتنحرف فيه الكرازة، وتَفقِد فيه عضوية الكنيسة معناها، ويُسمح فيه للثقافة الدنيوية المتمثلة في تأليه الهوية الذاتية بأن تنمو حول راعي الكنيسة، فحينئذ لا يمكن للمرء أن يتوقع أن يجد مجتمعًا مسيحيًا متماسكًا أو بنَّاءً. وكنيسة مثل هذه بالتأكيد لن تمجد الله. لذلك كانت بركة بطرس الختامية للمسيحيين الأوائل الذين كتب إليهم هي صلاة صيغت في صورة أمر: «انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ. آمِينَ». (٢بطرس ٣: ١٨).

من بين العلامات التسع التي تناولها هذا الكتاب، هذه هي أولى العلامات التي صرتُ مهتمًا بها. فكم منا رأوا كنائس كبيرة بها آلاف الأعضاء الذين لا يحضرون البتة، ومئات الأعضاء ممن يحضرون ولكنهم لا يُبدون اهتمامًا حقيقيًا بالله؟ في أي كنيسة سيكون هناك الكثير من الناس اللطفاء ممن يعيشون حياة أخلاقية؛ ولكن سيكون هناك حينئذ البعض ممن يبدون على وجه الخصوص أنهم يحبون الرب، وعادة سيكونوا «متميِّزين» عن الباقين. سيبدون مختلفين عن بقية الكنيسة. كنت أتساءل لمدة تزيد عن ثلاثين سنة، لماذا تكون الكنائس على هذه الحال. ما الذي حدث في كنائسنا حين يبدو الأشخاص الذين يعيشون بحق حياة المؤمنين، غير عاديين، حتى بالمقارنة بأعضاء الكنيسة الباقين؟ في هذا الكتاب، تتبعتُ أثر الأشياء التي قد لاحظتها في هذا الشأن، وصولًا في النهاية إلى مصدر نشاط الله بيننا، أي كلمته.

إن كنا نريد أن ننمو كمؤمنين أفرادًا وكنيسة، فلا بد أن نخضع للكلمة. لا بد أن نصلي ليزرع الروح القدس حقول قلوبنا وينقيها من الزوان. هذا النمو الروحي ليس اختياريًا؛ بل هو حيوي، لأن النمو الروحي هو مؤشر على الحياة. فالكائنات التي هي بالحقيقة حية، تنمو.

ماذا لو أننا لا ننمو؟

في النهاية، ماذا لو أننا لا ننمو روحيًا؟ ماذا عن روب الذي ذكرناه آنفًا؟ لماذا كان واضحًا أن روب لا ينمو في حياته المسيحية؟ ألعل روب غير مؤمن على الإطلاق؟

ربما تفكر، إن هذا صعب بعض الشيء. فربما روب هو واحد من المؤمنين «الجسديين» ممن يتحدث عنهم بولس في مكان ما في الكتاب المقدس.

نعم، ففي كورنثوس الأولى يشير بولس إلى «مؤمنين جسديين». فهو يكتب: «وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَال فِي الْمَسِيحِ». (١كورنثوس ٣: ١). لكن من هم هؤلاء الناس؟ هل هؤلاء المؤمنون الجسديون هم «فئة متوسطة» من الناس الذين لديهم يسوع في حياتهم ولكنه ليس متربعًا على عرش حياتهم؟ تبدو فكرة غريبة، أليس كذلك؟ فمن جهةٍ، هناك مؤمنون لديهم المسيح ربًا متربعًا على العرش. ومن جهة أخرى، هناك غير مؤمنين. ولكن قد يجادلك أحدهم بفكرة أن هناك فئة متوسطة مثيرة للاهتمام، حيث يكون المسيح حقًا في حياة الشخص، ولكن ليس على عرش حياته. هؤلاء هم المؤمنون «الجسديون». أظن أن ثمة طريقة طبيعية أكثر لقراءة هذه الآية، وهي أن بولس أراد أن يخجِّل قارئي هذه الرسالة بالحديث عن هؤلاء الذين يدعون أنفسهم مؤمنين، بأنهم جسديين. وبدعوتهم «جسديين» أو «دنيويين» يستخدم بولس عمدًا التناقض اللفظي. فالتناقض اللفظي هو اجتماع لفظين متناقضين. وبهذا المعنى، يصبح لفظ مؤمن جسدي كلفظ ثلج ساخن. فهذا لا يُفترض أن يعني أي شيء. من خلال الكتابة بهذه المصطلحات، فإن بولس بشكل أساسي يخبر قارئي الرسالة: «ألم يحن الوقت لتتخذوا قراركم! فأنتم تعيشون بطريقة مغايرة لما تدَّعونه. لا يصح هذا. هذان الحصانان يسيران في اتجاهين معاكسين – لذلك اختاروا واحدًا من الاثنين!».

من خلال الاستخدام الخاطئ لهذه الآية، اقتنع كثيرون بأنهم نوع من الأشخاص المخلَّصون حقًا، ومؤمنون حقيقيون، بالرغم من أنهم لم يتوبوا حقًا أو يؤمنوا حقًا. فلا عجب إذًا أن تكون حياة كثيرين ممن يدَّعون أنهم مؤمنون عبارة عن فوضى عارمة، حين تكون الكنائس التي هم جزء منها مشوَّشة ومتحيرة بشأن هذا الأمر الجوهري.

فكِّرْ فيما يعنيه أن تكون مؤمنًا. إنه لا يعني أن تكون بلا عيب، بل يعني أن قلبك عازم على طلب الرب. فإن كنت مؤمنًا، فهذا لأن الله، بواسطة عمله الكريم

في حياتك، قد نمَّى بداخلك رغبةً في أن تحيا حياةً تُرضيه أكثر وأكثر. مثل هذا النمو هو مؤشر على حياة روحية حقيقية، وعلامة أخرى من علامات الكنيسة الصحيحة.

مراجع أخرى

- للدراسة في مجموعات:

“Growing One Another: Discipleship”

- دراسة استقرائية مقسمة على سبع أسابيع من خلال”9Marks“

- لأفكار أعمق:

انظر:

The Life of God in the Soul of the Church، by Thabiti Anyabwile

العلامة التاسعة

القيادة الكتابية في الكنيسة

قيادة الكنيسة وعلاقتها بجماعة المؤمنين المحلية

المؤهِّلات الكتابية لقيادة الكنيسة

الطبيعة الكاريزماتية لقيادة الكنيسة

تَشبُّه قيادة الكنيسة بالمسيح

أربعة أوجه للقيادة (BOSS):

مدير Boss

في الصدارة Out front

يوفر الإمداد Supply

يخدم Serve

علاقة قيادة الكنيسة بطبيعة الله وشخصيته

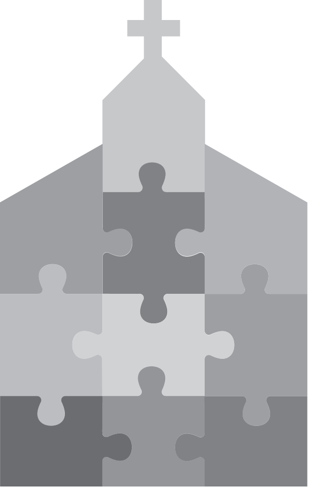

العلامة التاسعة

القيادة الكتابية في الكنيسة

«جميع الحيوانات متساوية، ولكن بعض الحيوانات أكثر تساويًا من غيرها». بهذا السطر في الفصل الأخير من روايته «مزرعة الحيوانات»، عبَّر جورج أورويل عن نقده لكارل ماركس وللحكومة الروسية السوفيتية[١]. وهي قصة معروفة جيدًا: مجموعة من الحيوانات يثورون، وينظمون، ويقومون بتهجير آل جونز (مالكو المزرعة البشريون)، ويبدأون في إدارة المزرعة لمصلحتهم الخاصة. ولذلك فالاسم هو مزرعة الحيوانات، تديرها الحيوانات لمصلحة الحيوانات.

بالطبع، بعد السقوط، كان لا بد لتجربة مثالية وحالمة كهذه أن تسقط، وقد سقطت بالفعل. ففي النهاية، تَبرز طبقةٌ حاكمة جديدة، هي الخنازير. وفي خاتمة الكتاب، يضعون لافتات مكتوب عليها: «جميع الحيوانات متساوية، ولكن بعض الحيوانات متساوية أكثر من غيرها».

فضلًا عن أنَّ استغلال السلطة صار ببساطة جزءًا من اقتصاد ما قبل الشيوعية كما علَّم ماركس، لكن أورويل يضيف أن المشكلة كانت في الحقيقة أعمق من ذلك. لقد كانت المشكلة في طبيعة العلاقات البشرية، والواقع، والقلب البشري.

بدا نقد أورويل للسلطة لاذعًا ونافذًا حين ظهر للمرة الأولى منذ ما يزيد عن خمسين عامًا. ولكنه يبدو بديهيًا اليوم. فنحن أصبحنا معتادين أن نفكر في الاستغلال والسلطة كليهما في الجملة ذاتها، وكلما فكرنا في السلطة يتبادر إلى أذهاننا الاستبداد.

فمهما اختلف السبب، هناك ارتياب متفشٍ ومتأصل في مجتمعنا بشأن السلطة. ربما يتعلق الأمر بحقيقة أن حكومتنا الوطنية قد تأسست من خلال التمرد ضد مزاعم ومطالب البرلمان في لندن. أو ربما، بالنسبة للعديد من الأمريكيين، يتعلق الأمر بحقيقة أن الحكومة التي تعمل الآن لتضمن لهم فرصًا متكافئة، هي ذاتها الحكومة التي كانت تعمل في الماضي لتضمن ألا يكون لهم ذلك. وربما للأمر علاقة بنظرية النُبل الإنساني، ذلك التفاؤل الأمريكي الذي يؤمن بأن الناس خيِّرون جدًا حتى أننا لو تُركنا لأنفسنا، «نحن، الناس» سوف نكون أفضل ما يمكن.

أو ربما يكون تفسير مقاومتنا للاستبداد أبسط من ذلك. ربما يكون للأمر علاقة بالأنانية.

دائمًا ما أقرت المسيحية بحاجتنا للسلطة في المجتمع، وفي البيت، وفي الكنيسة أيضًا؛ وهذه الأخيرة ستكون هي موضوع فصلنا هذا: القيادة الكتابية في الكنيسة. هذه هي آخر علاماتنا التي تميِّز الكنيسة الصحيحة. إن هذه العلامة لها أهمية خاصة، ولا سيما مع تزايد النماذج السيئة للسلطة التي يبدو أنها موجودة في كل مكان حولنا اليوم.

ماذا يقول الكتاب المقدس عن السلطة والقيادة في الكنيسة؟ للإجابة عن هذا السؤال، سوف نركِّز على خمسة أوجه لقيادة الكنيسة:

١. علاقتها بجماعة المؤمنين المحلية؛

٢. مؤهلاتها الكتابية؛

٣. طبيعتها الكاريزماتية؛

٤. تشبُّهها بالمسيح؛

٥. علاقتها بطبيعة الله وشخصيته.

قيادة الكنيسة وعلاقتها بجماعة المؤمنين المحلية

إن أول الموضوعات التي يلزم أن نتأملها عند مناقشة القيادة الكتابية في الكنيسة، هي دور الأعضاء، أي جماعة المؤمنين المحلية. فمناقشة الكتاب المقدس لموضوع قيادة الكنيسة يفترض دائمًا سياقًا من جماعة المؤمنين المحلية.

انقضت عقود وقرون من حياة الكنيسة في الجدل حول مَن بالضبط الذي قصد اللهُ أن يكون له القول الفصل فيما يتم تعليمه أو فعله داخل الكنيسة. فقال البعض إن الأساقفة هم المنوط بهم ذلك. وقال البعض الآخر إنه ينبغي أن يكون أسقف محدد هو من يفعل ذلك. في حين قال البعض إنه يجب أن يكون الخدام أو شخص ما يمثلهم. وقال البعض الآخر إنه يجب أن يكون هو القس المحلي أو بعض القادة ممن يُقيمهم الرب، الموهوبون بطريقة خاصة.

يمكننا أن نتفهم هذا الالتباس. فلو بدأتَ النظر في العهد الجديد بشأن كيفية تنظيمنا الكنيسة، لن تجد كُتيِّبًا واضحًا للإرشادات بشأن قيادة الكنيسة؛ فلا يوجد دستور مثالي للكنيسة. ولكن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس ليس لديه ما يقوله عن الكيفية التي ينبغي أن ننظم بها أنفسنا. واحد من أهم المقاطع الكتابية عن حياة الكنيسة هو متى ١٨: ١٥-١٧، حيث قال يسوع:

> **«وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ»**.

لاحظ إلى من يحتكم المرء في النهاية في مثل هذه المواقف. أي محكمة لها الكلمة الأخيرة هنا؟ إنها ليست الأسقف، أو البابا، أو شيخ الكنيسة؛ وليست جمعية، أو مجلسًا، أو مَجمعًا، أو طائفة. وليست القس حتى، أو مجلس الشيوخ، أو مجلس الشمامسة، أو لجنة الكنيسة. ببساطة شديدة هي الكنيسة، جماعة الأفراد المؤمنين

الذين يُكوِّنون الكنيسة.

في أعمال ٦: ٢-٥ نقرأ عن حدث في حياة الكنيسة الأولى له أهمية في هذا النقاش. كان من الواضح أن هناك مشكلة في توزيع موارد الكنيسة، ومن الملاحَظ أن هذه المشكلة استحقت قدرًا كبيرًا من انتباه الرسل:

«فَدَعَا الاثْنَا عَشَرَ جُمْهُورَ التَّلاَمِيذِ وَقَالُوا: «لاَ يُرْضِي أَنْ نَتْرُكَ نَحْنُ كَلِمَةَ اللهِ وَنَخْدِمَ مَوَائِدَ. فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَال مِنْكُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ، فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هذِهِ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ». فَحَسُنَ هذَا الْقَوْلُ أَمَامَ كُلِّ الْجُمْهُورِ».

ويكمل لوقا فيسمِّي أولئك الرجال الذين اختارتهم الكنيسة لهذه الخدمة.

إن واحدة من التعقيدات المرتبطة باستخدام العهد الجديد كدليل لمعرفة كيف يجب أن ننظم الحياة داخل كنيستنا هو وجود الرسل في هذه الكنائس. فإلى أي مدى يمكن لنا، نحن شيوخ وقساوسة ورعاة فترة ما بعد الرسل، أن نتخذ من ممارسات الرسل دليلًا لنا في ممارساتنا الخاصة؟ هل يمكننا أن نستخلص عقيدة، أو نعلن عن خطإ، أو نتذكر كلمات المسيح مثلما استطاع هؤلاء الذين كانوا مع المسيح طوال خدمته الأرضية، الذين تعلَّموا منه وأخذوا وصايا منه، والذين تم تفويضهم بشكل خاص منه ليكونوا الأساس لكنيسته؟ هل أسماء هؤلاء الذين أصبحوا شيوخًا بيننا اليوم، ستُكتب على أساسات أورشليم الجديدة، كما هو الحال مع أسماء الرسل (رؤيا ٢١: ١٤)؟ الإجابة لكل هذه الأسئلة وبكل وضوح هي لا.

إن مشكلتنا مع نموذج الرسل هو أننا حين نتبعه، نحن قادة الكنيسة المعاصرة، قد ننسب لأنفسنا قدرًا مُبالغًا فيه من السلطة، دون أن نستحقها. ومع ذلك نرى هنا في أعمال ٦، هؤلاء الرسل أنفسهم يسلِّمون المسئولية لجماعة المؤمنين في الكنيسة؛ فالأمر يكاد يبدو وكأنهم كانوا في اجتماع الكنيسة يقرُّون بالنوع ذاته من السلطة العليا – تحت سلطة الله، التي أقرَّ بها يسوع في كلامه في متى ١٨: ١٥-١٧.

في النهاية، لكي نعرف أكثر عن حياة الكنيسة من العهد الجديد، لا بد أن نتوجَّه إلى رسائل بولس. فنجد فيها استمرارًا لتعليم المسيح وممارسة الرسل. فنرى في رسائل بولس أن التأديب والتعليم داخل الكنيسة المحلية قد أُودعا بالكامل – بالخضوع لسلطة الله – لجماعة مؤمني الكنيسة. فصار التأديب والتعليم، بشكل نهائي مسئولية جماعة المؤمنين في الكنيسة، بالخضوع لسلطة الله.

وفيما يتعلق بمسئولية التأديب على سبيل المثال، انظر كيف يحثُّ بولس جماعة مؤمني كنيسة كورنثوس كلهم في (١كورنثوس ٥: ٤، ٥):

> **«بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ – إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ، لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ».**

يوصي بولس الكنيسة كلها – وليس القادة فقط – بأن يتخذوا إجراءً. فقد كان غاضبًا حقًا من الكنيسة كلها – وليس القادة فقط – لأنهم لم يكونوا قد اتخذوا أي إجراء، وتساهلوا بشأن هذه الخطية.

ونرى في ٢كورنثوس ٢: ٦ شيئًا عن كيفية استجابة هذه الكنيسة لتوجيهات بولس. ومن الواضح أن الرجل الذي سقط في هذه الخطية المشينة (الذي من المرجَّح أنه هو الشخص ذاته المشار إليه في كورنثوس الأولى) قد تاب. ولكن لاحظ كيف وصف بولس هذا القرار الذي اتخذته الكنيسة: «مِثْلُ هذَا يَكْفِيهِ هذَا الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ». (٢كونثوس ٢: ٦). كلمة «الأَكْثَرِينَ» في اليونانية يبدو أنها تفترض أنه كان هناك عدد محدَّد من الناس، وأن غالبية هذه العدد المحدد من الناس قد اتخذوا هذا القرار. ربما سمعتَ بعض الناس يقولون أن العهد الجديد لم يسجِّل أية عمليات تصويت بالكنائس. ومع ذلك في هذا المقطع، يبدو في المشهد أن هناك تصويت من «الأَكْثَرِينَ». عرف بولس أن جماعة المؤمنين في كنيسة كورنثوس كانت مؤهَّلة لتتدبر أمر تأديب نفسها.

كان بولس يؤمن بأن كل جماعة مؤمنين على حدة تقع عليها المسئولية النهائية حتى بالنسبة للتعليم الذي تسمعه. ففي غلاطية، بولس بشكل أساسي يسلِّم عليهم، ويقدم صلاة موجزة من أجل قارئي الرسالة (أعداد ١–٥)، ثم يقول بعدها:

«إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ! لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»! كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!» (غلاطية ١: ٦–٩).

وطوال هذه الرسالة المكتوبة إلى أهل غلاطية، يخبر بولس الكنيسة بأنهم هم المسئولون عن الحكم بمدى صحة أية رسالة تُقدم لهم من قبل آخرين. ويخبرهم أن الرسائل التي كانوا يسمعونها ليست هي الإنجيل حقًا. ومن ثم فعليهم أن يتحملوا مسئولية رفض هذه الرسائل ورفض مَن سلَّموها.

يوجد دلالة هامة هنا، وهي أن بولس في معركته ضد هذا الإنجيل المزيف، لم يكتب ببساطة لراعي الكنيسة أو الشيوخ، أو يكتب للأسقف، أو للمجلس، أو للمجمع، أو لدارسي اللاهوت. كلا، بل كتب للكنيسة. كتب للمؤمنين الذين تتألف منهم الكنائس، والذين اختبروا كل واحد في حياته قوة الإنجيل. وهذا هو السبب الذي لأجله يجب أن يكون أعضاء الكنيسة، من الذين ولِدوا ثانية. هناك حاجة أن يسكن روح المسيح في جسد المسيح. فالروح يرشد الكنيسة، ولكن فقط حين تتألف الكنيسة من الذين يسكنهم الروح.

ناشد بولس هؤلاء المؤمنين الغلاطيين، وأوضح لهم ليس فقط أنهم مؤهلون للحكم على الرسائل التي قُدِّمت لهم باعتبارها الإنجيل، بل أنهم ملزَمون أن يفعلوا ذلك. فإن أتى شخص ما في أي وقت وقدم شيئًا آخر ودعاه "الإنجيل"، فإن جماعة مؤمني الكنيسة سيتحتم عليهم أن يتخذوا قرارًا. فكان لديهم واجب لا مفر

منه أن يعطوا حُكمًا، حتى بشأن من يزعمون أنهم رسل.

جعل بولس هذه النقطة أكثر وضوحًا في تيموثاوس الثانية، حيث نصح تيموثاوس، راعي كنيسة أفسس، بشأن كيفية التعامل مع المعلمين الكذبة. وحين وصف بولس الموجة القادمة من المعلمين الكذبة في الكنيسة، لم يذكر المعلمين أنفسهم فحسب، بل وجَّه لومًا على وجه الخصوص لأولئك الذين «حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ» (٢تيموثاوس ٤: ٣). فإن كنتَ في كنيسة لا يُوعظ فيها بالإنجيل، فأرجو أنك من خلال هذه الآية تكتسب إحساسًا قويًا بالمسئولية التي على عاتقك. فسواء في اختيار المعلمين أو في الصلاة لأجلهم، أو في قبول تعليمهم، أو في الموافقة على الاستماع لهم بصورة متكررة وبسرور، فإن جماعة المؤمنين في الكنيسة الذين يصورهم بولس هنا هم ملومون على التعليم المزيف الذي استمروا يطيقونه ويرعونه. كان لا بد أن يَدعوهم بولس مذنبين، تمامًا مثل أولئك الذين قدموا بالفعل هذا التعليم المزيف. مرة أخرى نرى أن المسئولية النهائية تُركت لجماعة الكنيسة أنفسهم.

هل استمعت يومًا إلى عظة كانت سيئة جدًا حتى أنك أردت أن تغادرها؟ أنا غادرت عظة ذات مرة، غادرت في صخبٍ، لأني ظننت أن ما قيل فيها كان هدَّامًا للإنجيل بصورة مروعة، لدرجة أنه ما كان ينبغي أن يُطاق. لم أرد لحضوري الجسدي، أي جلوسي هناك وفمي مقفل، أن يشجع أحدًا على الاستماع إلى هذا المتكلم. (كان المتكلم يناقض مباشرةً عقيدة الخطية الأصلية).

إن كنت تجلس وتستمع إلى هراءٍ يُقدم على أنه كلمة الله، فإنك ستتحمل مسئولية ذلك. في الواقع لو أنك جالس وتستمع إلى تعليمي، فإنك ستتحمل بعضًا من المسئولية عن ذلك.

إن كل كنيسة محلية، داخل العالم المسيحي، بدءًا من الأرثوذكسية اليونانية (الروم الأرثوذكس) إلى الخمسينية، ومن كنيسة الروم الكاثوليك إلى المعمدانية،

ومن الأسقفية إلى اللوثرية، ومن المشيخية إلى الميثودية، جميعها لديها جماعة من الأعضاء بطبيعة الحال. هي موجودة فقط كجماعة من الناس المستمرين في المشاركة في أنشطتهم. وحين يصوِّت الناس - سواء في اجتماع أعضاء الكنيسة أو (حيثما كان ذلك غير مسموح به) يصوتون بأموالهم أو بعزوفهم عن المشاركة والحضور؛ فسواء بهذا أو بذاك، لا بد لقادة هذا الجمع أن يصغوا لهم. والقادة ليسوا ملزمين أن يوافقوهم، ولكن لا بد أن ينصتوا لهم. فأعضاء الكنيسة سيقولون كلمتهم. هذه حقيقة مجردة.

ومع ذلك، وبعيدًا عن الحتمية البديهية في أن يدير أعضاء الكنيسة أمورهم بأنفسهم، فإن جماعة أعضاء الكنيسة لديها مسئولية رائعة ينبغي الإقرار بها والتشجيع عليها وتنميتها. فكأعضاء الكنيسة، نحن مسئولون عن أنْ يكون لدينا تعليم صحيح. ففي ميثاقنا في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية، نحن نتعهد أننا سوف نعمل على ضمان استمرار الخدمة الإنجيلية الأمينة في وسطنا. فنحن لدينا مسئولية أن نتأكد أن الله يُكرَم بيننا بوعَظ كلمته بصورة صحيحة، وأن تُطاع وصاياه، وتنعكس شخصيته في حياتنا معًا. هذه هي مسئولية كنيستنا ومسئولية كل كنيسة محلية أخرى حول العالم.

إن جماعات المؤمنين أعضاء الكنائس اليوم لا بد أن يتخذوا قراراتهم معًا بشأن التأديب والتعليم، حتى على طريقة التلاميذ الأوائل. هل يعني ذلك أنَّ إدارة أعضاء الكنيسة شئون الكنيسة بأنفسهم، هو نوع من الديمقراطية؟ ربما تكون كذلك في بعض الطرق التي يتخذ بها الشعب القرارات. ولكن هناك مفارقات أيضًا. فالكنيسة ليست مجرد ديمُقراطية صريحة، لأن الكنائس تُدرك وتُقر بطبيعتنا الساقطة، وميلنا للخطإ، وكذلك عصمة كلمة الله. ولذلك فإن أعضاء الكنيسة المحلية ربما يكونوا ديمقراطيين، فقط إذا كان المقصود هو أنهم يعملون معًا كجماعة المؤمنين بالكنيسة، ليحاولوا أن يفهموا كلمة الله.

بالطبع أنا لا أومن بعصمة تصويت أعضاء الكنيسة. فقبل أن أصبح قسًا لهذه الجماعة، أخبرتهم أنني لو صرت قسًا لهم، فإننا نحتاج جميعًا أن نفهم أنني سأعمل في الأساس لدى الله، وليس لدى الناس. يمكن لجماعة المؤمنين المحلية أن تخبر راعي الكنيسة أن يفعل هذا أو ذاك، ولكن ينبغي على راعي الكنيسة ألا يختلط عليه الأمر فيعتبر بالضرورة رأي هذه الجماعة إرشادًا إلهيًا.

كقادة وكجماعة أعضاء الكنيسة، نحن نجاهد من أجل وحدانية الروح برباط السلام؛ فنعمل معًا من أجل ما نؤمن أنه سيكون الأفضل للكنيسة. ونحن نعمل معًا ما دام فهم كلٍّ منا لكلمة الله ومشيئته، متوافقًا – و"متزامنًا" – بشكل كافٍ مع الآخر، ليتسنى لنا أن نفعل ذلك.

فهل إدارة أعضاء الكنيسة شئون الكنيسة بأنفسهم، هو نوع من الديمقراطية؟ على الرغم من أن هناك تشابهات مهمة ومبادئ مشتركة بين الديمقراطية وإدارة أعضاء الكنيسة لشئونهم، إلا أن الإجابة البسيطة عن هذا السؤال لا بد أن تكون لا، ليس على الإطلاق. ربما قاموس كامبريدج لسنة ١٦٤٨ يصيغها بشكل أفضل:

> **إن الحُكم في الكنيسة هو حكم مشترك (وهذا أمر مسلَّم به حتى قبل أن يُسمع عن تعبير الاستقلالية، بوقت طويل): ففيما يتعلق بالمسيح، الرأس والملك على الكنيسة، الذي منه تكون السلطة السيادية، وبه تُمارس؛ فحكم الكنيسة هو حكم مَلكيٌّ. أما فيما يتعلق بالجسد، أو جماعة المؤمنين في الكنيسة، والسلطة الممنوحة لهم من المسيح؛ فحكم الكنيسة يشبه الديمقراطية. وفيما يتعلق بالشيوخ، والسلطة المسلَّمة لهم، فحكم الكنيسة هو كحكم الطبقة الأرستقراطية أو طبقة النبلاء**[٢].

ينبغي أن يشارك الأفراد بفاعلية في كنائسهم، ليس فقط بالحضور والصلاة والعطاء (وإن كان يجب أن يفعلوا هذه كلها)، ولكن بالتعرف النشط على أسرة الكنيسة. لا بد أن تصلي مستخدمًا قائمة أسماء هؤلاء الناس الآخرين، الذين قطعتَ

معهم عهدًا بأن تخدموا الله. لا بد أن تُصغي حين يخبرك الأعضاء الآخرون في جسد المسيح عمَّا يفعله الله في حياتهم أو عمَّا يقلقهم – ثم تصلي معهم بعدها. لا بد أن تعي أن دورك في الالتزام والامتياز النابعَيْن من كونك عضوًا في الكنيسة، هو أن تتعرف على المؤمنين الآخرين وتجعلهم يعرفونك أيضًا. ادرسوا كلمة الله معًا. تعلَّموا أن تفكروا في كلمة الله ككنيسة. يجب أن تنمو في النعمة أنت شخصيًا، وفي معرفة كلمة الله، وفي معرفة قلبك وقلوب إخوتك وأخواتك، وفي إدراك الفرص التي يضعها الله أمام كنيستك.

ومع ذلك فإن الله لا يريدنا أن نتصرف دائمًا مثل «اللجنة العامة بالبرلمان». نحتاج أن نثق بأن الله يعطي أناسًا معينين مواهب ليخدموا كقادةٍ للكنيسة. ومن ثم ينبغي أن نرغب في أن نرى في كنائسنا توازنًا صحيحًا بين السلطة والثقة. إنه خلل خطير في كنائسنا، أن يكون لدينا قادة غير جديرين بالثقة، أو أعضاء غير قادرين أن يثقوا في قادتهم. فنحن كأفراد أعضاء في الكنيسة، لا بد أن نكون قادرين على أن نشكر الله على القادة الذين يضعهم الله بيننا، وأن نُقرَّ بأنهم موهوبون جدًا، وأنْ نثق بهم. يتحدث بولس في أفسس ٤ عن هؤلاء القادة كعطايا من الله للكنيسة. وبالتالي، علينا أن نُنمِيَ ثقافةً كنسيةً يكون فيها هؤلاء القادة مكرَّمين وموقَّرين.

تبدو خاتمة (عبرانيين ١٣) غريبةً على آذاننا العصرية. صلِّ أن يساعدنا الله لكي نفهمها ونطبقها جيدًا على قلوبنا: «أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ». (عبرانيين ١٣: ١٧).

فكِّرْ في راعي الكنيسة الموجود بكنيستك منذ فترة. هل عملت فجعلت قيادته لك ومسئوليته عن نفسك فَرَحًا له؟ أم جعلتها ثقلًا؟

يحتوي هذا المقطع الكتابي على عدة ألفاظ لم نعتد سمعها هذه الأيام: أَطِيعُوا واخْضَعُوا. ومع أننا لا نسمعها كثيرًا، إلا أنها جزء من كلمة الله. وتتطلب منَّا

قدرًا معينًا من الثقة.

كثيرًا ما يقال إن الثقة لا بد أن تُكتسب، وأنا أفهم ما الذي يعنيه ذلك. فحين تأتي حكومة جديدة، وحين يكون لدينا مدير جديد في العمل، أو حتى حين نبدأ صداقة جديدة، فإننا نريد أن نرى بالتجربة كيف سيجتاز هذا الشخص أو هؤلاء الناس الصعوبات، كيف سيصمدون، وهل سيساهمون في خير كل الأطراف المعنية. ولذلك نقول أن الثقة هي أمرٌ يُكتسَب. «أرني مؤهلاتك للقيادة، وأنا سأمنحك ثقتي بأن أتبعك».

ولكن هذا التوجه هو في أحسن الأحوال صحيح جزئيًا فقط. طبعًا، نحن نريد أن نرى أن هؤلاء القادة في الكنائس، وفي كل نواحي الحياة؛ قادرون على الاضطلاع بهذه المسئوليات. يضع بولس نفسه بعض المؤهلات للشيوخ والشمامسة حين كتب لتيموثاوس وتيطس.

ومع ذلك، وفي الوقت ذاته، فإن نوع الثقة الذي نحن مدعوون أن نمنحه في هذه الحياة لرفقائنا غير الكاملين من البشر، سواء كانوا عائلة أو أصدقاء، موظفين أو مسئولين حكوميين، أو حتى قادة في الكنائس؛ هذا النوع من الثقة لا يمكن مطلقًا أن يُكتسب. بل لا بد أن يُمنح كعطية – عطية بالإيمان، من خلال الثقة بالله الذي يعطي، أكثر مما نثق في القادة الذين أعطاهم الله لنا. (أفسس ٤: ١١-١٣).

هذه هي علاقة جماعة المؤمنين المحلية بالقيادة الكتابية في الكنيسة.

والآن سوف نركز على القادة أنفسهم.

المؤهلات الكتابية لقيادة الكنيسة

كراعيَ كنيسة، أصلي بانتظام أن يمدَّنا الله بالقادة الرائعين في كنيستنا المحلية. وأصلي بالأخص أن يضع الله بين إخوتنا رجالًا ممن تشير مواهبهم الروحية واهتماماتهم الراعوية إلى أن الله قد دعاهم ليكونوا شيوخًا ونظارًا (تُستخدم هذه

الكلمات في الكتاب المقدس بالتبادل؛ انظرْ أعمال ٢٠ على سبيل المثال). إن صار واضحًا أن الله جعل رجلًا موهوبًا هكذا في الكنيسة، وأن الكنيسة، بعد الصلاة، أقرَّت بمواهبه؛ فإن هذا الرجل حينئذٍ يجب أن يُفرَز كشيخٍ في الكنيسة.

كل الكنائس لديها أفراد أدّوا وظيفة الشيوخ حتى وإن لم يُطلق عليهم لفظ شيوخ. والاسمان الأكثر شيوعًا في العهد الجديد لهذا المنصب هما أسقف (episco-pos) و شيخ (presbuteros). وحين يسمع الإنجيليون كلمة شيخ، فإن الكثيرين يفكرون على الفور في كلمة «مشيخي» (Presbyterian). ومع ذلك، حين نهض المنادون بضرورة إدارة أعضاء الكنيسة شئون الكنيسة بأنفسهم، للمرة الأولى في القرن السادس عشر، شدَّد هؤلاء على فكرة الشيوخ أيضًا.

يمكن أن نجد الشيوخ في الكنيسة المعمدانية في أمريكا طوال القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر. كتب و.ب. جونسون، أول رئيس للمجمع المعمداني الجنوبي، كتابًا عن حياة الكنيسة يدافع فيه بقوة عن فكرة تعدد الشيوخ في الكنيسة المحلية. وبطريقة ما أُهملت هذه الممارسة بشكل كلي تقريبًا، بين المعمدانيين (فهي لم تكن شائعة في كل العالم قط). وسواء كان بسبب إهمال الكتاب المقدس أو بسبب ضغوط الحياة (حيث كانت تُولد كنائس بمعدلات مذهلة)، توقفت ممارسة تنمية هذه القيادة المحلية بين الكنائس المعمدانية. ولكن النقاش حول إحياء هذا المنصب الكتابي، استمر من خلال المطبوعات المعمدانية. وفي وقت متأخر من بداية القرن العشرين، كانت المطبوعات المعمدانية تشير إلى القادة بلقب شيخ، ولكن مع نهاية القرن العشرين، بدت الفكرة وكأنها اختفت، وإلى يومنا هذا صار من النادر أن يكون لدى الكنائس المعمدانية شيوخ.

ومع ذلك، هناك نزعة متزايدة للعودة إلى هذا المنصب الكتابي – ولسبب وجيه. فهذا المنصب كانت له حاجة في زمن العهد الجديد، وهناك حاجة له اليوم.

يُظهر الكتاب المقدس بوضوح مبدأ تعدد الشيوخ في كل كنيسة محلية. وعلى الرغم من أنه لم يقترح قط عددًا محددًا من الشيوخ لأعضاء الكنيسة، إلا أن العهد الجديد يشير إلى "الشيوخ" في الكنائس المحلية، بالجمع (مثل: أعمال ١٤: ٢٣؛ ١٦: ٤؛ ٢٠: ١٧؛ ٢١: ١٨؛ تيطس ١: ٥؛ يعقوب ٥: ١٤).

على الأرجح، كان الشيء الأكثر فائدة لي في خدمتي الراعوية هو الإقرار بمجموعة من الرجال في كنيستنا شيوخًا. فمعرفة أن هناك أناسًا معروفين لدى أعضاء الكنيسة بأنهم موهوبون وأتقياء، ساعدني كثيرًا في عملي الراعوي. فنحن نتقابل ونصلي ونتحدث حول قضايا، ومن خلال ذلك، هم يكمِّلون حكمتي. ومن ثم فإن تجربتي الخاصة تبرهن على فائدة اتِّباعنا ممارسة العهد الجديد؛ بأن يكون لدينا بقدر المستطاع مزيد من الشيوخ في الكنيسة المحلية، بدلًا من مجرد راعٍ وحيد للكنيسة، وأن يكونوا راسخين في انتمائهم لجماعة مؤمني الكنيسة، وليسوا مجرد موظفين توظفهم الكنيسة من الخارج.

هذا لا يعني أنني ليس لديَّ أي دور مميز كراعٍ للكنيسة، بل أنا في الأساس واحد من الشيوخ، واحد من الناس الذين أعطاهم الله موهبة، ليقودوا الكنيسة معًا. كيف نجد مثل هؤلاء القادة في الكنيسة المحلية؟ نحن نصلي لطلب الحكمة. وندرس كلمة الله، وبخاصة رسالتي تيموثاوس الأولى وتيطس. ونرى مَن تتوفر فيه تلك المؤهلات. نحن لا نبحث فقط عن أناس لهم نفوذ في المجتمع المحلي.

نجد في العهد الجديد علامات على أن الواعظ الرئيسي متمايز عن باقي الشيوخ. وهناك عدد من الإشارات في العهد الجديد إلى الوعظ والوعاظ، لا تنطبق على كل الشيوخ الموجودين في جماعة المؤمنين المحلية. على سبيل المثال، نجد بولس في كورنثوس قد كرَّس نفسه حصريًا للوعظ على نحو لا يستطيعه الشيوخ من غير المتفرغين لهذه الخدمة. على الأرجح تستطيع الكنيسة أن تدعم عددًا محدودًا فقط من الشيوخ المتفرغين (قارن أعمال ١٨:٥؛ ١كورنثوس ٩:

١٤؛ ١تيموثاوس ٤: ١٣، ٥: ١٧). كما يبدو بكل وضوح أن الوعاظ ينتقلون لمنطقة ما ليعظوا (رومية ١٠: ١٤-١٥)، في حين أن الشيوخ يبدون بالفعل جزءًا من جماعة المؤمنين المحلية (تيطس ١: ٥).

ومع ذلك، لا بد أن نتذكر أن الواعظ (أو راعي الكنيسة) هو في الأساس واحد من الشيوخ ضمن أعضاء كنيسته. وهذا يعني أن العديد من القرارات التي تختص بالكنيسة، والتي لا تتطلب اهتمام كل الأعضاء، فإنها ينبغي ألا تقع على عاتق راعي الكنيسة وحده بل على عاتق الشيوخ ككل. ومع أن هذا في بعض الأحيان يكون مرهقًا، إلا أنه ينطوي على فوائد جمة في تعزيز مواهب الراعي، وتعويضٍ عن بعض نقائصه، وتدعيم حكمه وآرائه، وتوفير دعم جماعي للقرارات، وجعل القادة أقل تعرضًا للانتقاد المجحف. ويجعل القيادة أيضًا أكثر رسوخًا وثباتًا، ويسمح باستمرارية أكثر نضوجًا. هذا يشجع الكنيسة أن تضطلع بمزيد من المسئولية الخاصة بالنمو الروحي لأعضائها، كما أنه يساعد في جعل الكنيسة أقل اعتمادًا على موظفيها.

العديد من الكنائس العصرية أصبحت تميل إلى الخلط بين دور الشيوخ وأدوار موظفي الكنيسة أو الشمامسة. فالشمامسة أيضًا يشغلون منصبًا منصوص عليه في العهد الجديد، واحد منهم تمتد جذوره لأعمال ٦. وفي حين أن هناك صعوبة في التمييز التام بين المنصبين، تنصب اهتمامات الشمامسة على التفاصيل العملية لحياة الكنيسة: كالإدارة، وأعمال الصيانة، والاعتناء بسد الاحتياجات المادية لأعضاء الكنيسة. في العديد من الكنائس اليوم، اتخذ بعض الشمامسة أدوارًا روحية، في حين لم يتبق الكثير لراعي الكنيسة. سيكون من المفيد لهذه الكنائس أن تعمل مرة أخرى على تمييز الأدوار التي تخص الشيوخ من تلك التي تخص الشمامسة.

حين تفكر في أحد قادة الكنيسة اليوم، ما الذي يتبادر إلى ذهنك؟ في كتابه «عشاء مع الشيطان» يرثي أوس جينيس حال العديد من الكنائس التي سقطت

فريسة للتأثيرات العلمانية في طريقة اختيارهم لقادتهم، فكتب:

> **«في مفارقة تامة مع مغالطة المحافظين التي انتشرت في الثمانينيات، فإن التحدي الأعنف الناتج عن الحداثة ليس هو العلمانية (بمعنى فصل الدين عن الدولة)، وإنما هو العلمنة (بمعنى إقصاء الدين تمامًا). فالعلمانية فلسفةٌ ومبدأ، بينما العلمنة هي عملية فعلية. ففي حين أن الفلسفة واضحٌ أنها تعادي وتؤثِّر على قليلين فقط، إلا أن العلمنة هي بشكل كبير غير مرئية، وتؤثِّر على كثيرين. فإن العلمانية، لأجل عدائها الظاهر، نادرًا ما تخدع المؤمنين. بينما العلمنة بسبب رقتها الزائدة، فإنها غالبًا ما تخدع المؤمنين قبل أن يفطنوا لها، بما في ذلك الذين في حركة «نمو الكنيسة»** (church-growth movement)**. وإلا فكيف يمكن أن نُفسِّر هذا التعليق الذي أبداه رجل أعمال ياباني كان يزور أستراليا؟ «كلما قابلتُ رجل دين بوذيًا، أرى رجلًا مقدسًا. وكلما قابلت رجل دين مسيحي، أرى مديرًا»**[٣].

بدلًا من البحث عن قادة ذوي مؤهلات علمانية، ينبغي أن نبحث عن أناس لديهم شخصية مميزة، وصِيت حسن، وقدرة على التعامل مع كلمة الله، وإظهار ثمر الروح في حياتهم.

وجزء من إيجاد قادة جيدين للكنيسة هو إيجاد أولئك الذين نستطيع أن نثق بهم والذين يثقون بنا كأعضاء للكنيسة، الذين يستطيعون أن يكون لديهم إيمان كافٍ في قرارات وتعهدات أعضاء الكنيسة، للدرجة التي يشعرون معها أن بمقدورهم أن يعملوا معنا، ويعملوا بعضهم مع بعض. وهذا في رأيي هو سبب تشديد بولس في (١تيموثاوس ٣) على الطريقة التي يتعامل بها الشيخ مع أسرته، لأنها تكشف الكثير عن شخصيته وعن الكيفية التي سيعمل بها كشيخ في الكنيسة. ومن المثير للاهتمام أيضًا ملاحظة أن العديد من تلك المؤهلات تتعلق بتكريس المرء نفسه لخدمة الآخرين. فينبغي أن يكون الشيوخ غيريين، أي أن ينصب اهتمامهم على الآخرين. ينبغي أن يكونوا بلا لوم ولا سيما فيما يتعلق بسلوكهم الظاهر. وينبغي

أن يكون حياتهم الزوجية والأسرية مثالًا يُحتذى به، وأن يكون الشيخ معتدلًا في كل شيء، «عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ»، ولا ضرَّاب ولا مخاصم ولا طامع بالربح القبيح، وغير حديث الإيمان، وله شهادة حسنة من الذين هم من خارجٍ الكنيسة.

ينبغي أن تكون هذه حالة الذين يرغبون في أن يكونوا رعاةً في كنيسة الله. وكرعاة جيدين، ينبغي ألا يستغلوا القطيع لتحقيق مصلحة شخصية، بل يرعوا ويعتنوا بكل واحد من الخراف.

مؤهل آخر للرعاة أو الشيوخ هو أن يكونوا رجالًا (١تيموثاوس ٢: ١٢، ٣: ١-٧، تيطس ١: ٦-٩). ويجب ألا يُساء فهم هذه العبارة. من غير ريب، أخذ كل المؤمنين موهبة من الله ليبنوا جسد المسيح (١بطرس ٤، ١كورنثوس ١٤). كل المؤمنين يُعلِّمون بعضهم بعضًا بالتسابيح والمزامير والأغاني الروحية، وبالعلاقات التي أوضحها بولس في تيطس ٢.

لكن ماذا عن مسألة النوع (ذكر أو أنثى) في الأدوار القيادية بالكنيسة؟ هل، بممارساتنا، نخاطر بأن نجعل عقيدتنا تبدو تعسفية؟ قد نُثابِر أن نصون تعيين الشيوخ مِن الرجال فقط (بحسب ١تيموثاوس ٣، وتيطس ١)، لكننا نُخاطِر بالتقليل مِن أهمية وقوة هذا التعليم المُقدّس عَمليًا حين نطلب مِن النساء أن يخدِمنَ كمعلِّماتٍ في المجموعات الصغيرة والاجتماعات الكنسية.

المرأة مكرَّمة جدًا في الكتاب المقدس. والرجل والمرأة كلاهما مخلوقٌ على صورة الله. علاوة على ذلك، استخدم الله النساء بمفردهن في التعبير عن حقيقته. فمريم رنمت (خروج ١٥)، وحَنَّة صلتْ (١صموئيل ٢)، والعذراء مريم مجدت الرب (لوقا ١: ٤٦-٥١). وأُقيمت دبورة قاضية لإسرائيل في العهد القديم (قضاة ٥) (على الرغم من أن ذلك التعيين لم يكن معتادًا للنساء). وأليصابات وحنة كلتاهما تنبأتا علانيةً عن مجيء المسيح (لوقا ١: ٤٢-٤٥،

٢: ٣٨). (من المدهش أن العديد من هذه الأمثلة تتعلق بالولادة، وهو جزء من الدور المميز الذي منحه الله للمرأة؛ انظرْ ١تيموثاوس ٢: ١٥). لا يقدم الكتاب المقدس أي اعتراض على تعليم النساء للرجال من خلال الصلاة والتنبؤ اللذيْن يحدثان بشكل عرضي (١كورنثوس ١٢)، أو من خلال الأحاديث الشخصية (كما حدث مع أكيلا وبريسكلا وأبولوس في أعمال ١٨: ٢٦).

لكن اختيار الرجال كوعاظ بكلمة الله لجماعات الناس هو أمر يتسق مع الدور الذي خصَّ به اللهُ الرجال، في حمل صورته كشيوخ وكأزواج. معظم الرجال ليسوا شيوخًا. والعديد من الرجال (مثل بولس، وحتى يسوع نفسه) ليسوا متزوجين. ولكن الأزواج والشيوخ كلاهما ينبغي أن يمثلا شيئًا من سلطة الله الخاصة، وهذا لا يُنقَض، بل بالحري يتسق، حين تُمارس خدمة تعليم البالغين في الكنيسة على يد رجال مؤهلين وموهوبين.

في عصرنا المساواتي هذا، لا بد أن نقبل فكرة النوع (الذكر والأنثى) كعطية من الله بلا أدنى شعور بالخجل، كما يُظهر لنا تكوين ١ و ٢ بوضوح. علاوة على ذلك، فإن كلا النوعين، الذكر والأنثى، في أدوارهما المرتبطة ببعضها البعض، يمثلان علامة وإشارةً للمعنى الأكبر للحياة. وهذا ما يقوله بولس في أفسس ٥. فهو حقًّا يبدو كأنه يقول إن الله لم يعطنا الكنيسة ليعلمنا عن الزواج بل أعطانا الزواج ليعلمنا عن حب المسيح للكنيسة.

يتحالف مبدأ المساواة اليوم على الأرجح تحالفًا وثيقًا مع مبدإ مقاومة الاستبداد والسلطوية، حتى أن السلطة نفسها صارت مُدانة. ولكن الكتاب المقدس يقدم السلطة باعتبارها آتية من الله. فهو وحده الرب ذو السيادة، وكل سيادة تأتي منه (انظر أفسس ٣: ١٥). فإساءة استخدام شيء حسن، لا تعني أن هذا الشيء نفسه سيئ. فالسلطة نفسها، كما قصد لها الله أن تكون، هي حسنة، بل ومانحة للحياة. وكذلك الخضوع اللائق الذي بحسب الكتاب يمكن أن يكون مانحًا للحياة

أيضًا. فخضوع الأولاد للآباء، والزوجات للأزواج، والأعضاء للشيوخ، كلها تشير إلى خضوع البشر لله. ونحن في النهاية لدينا حياة بسبب الخضوع الأبدي من الابن لمشيئة أبيه السماوي. إنها أكذوبة الشيطان بأن نقول إن الخضوع هو في الأصل شيء مهين.

ومن ثم فإنه من اللائق أن تقصر الكنائس دور التعليم العام لجماعة المؤمنين على الرجال، كرمز لشيء من السلطة التي دعا الله الرجال بالطبيعة ليحملوها. وبحسب ١تيموثاوس ٢: ١٢ فإن هناك أهمية خاصة في أن يُظهر الرجال سلطتهم في الكنيسة من خلال التعليم العام بالكلمة: «وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ».

والسؤال عما إذا كان ينبغي للرجال فقط أن يصيروا رعاة وشيوخًا، صار بشكل متزايد مسألة فاصلة، تميِّز بين هؤلاء الذين يُكيِّفون الكتاب المقدس مع الثقافة، وأولئك الذين يحاولون أن يشكِّلوا حياتهم وفقًا للكتاب المقدس.

أنا أقارن خطأ المساواة (الفكرة القائلة بأنه لا يوجد اختلاف بسبب النوع، في المناصب الكتابية في الكنيسة) أقارنها مع ما أعتبره أنا - كمعمداني - خطإٍ آخر؛ ألا وهو معمودية الأطفال الرُضع. فمعمودية الأطفال الرضع ليست بالفكرة الجديدة. فهي إن كانت في الحقيقة خطأٌ، فهي خطأٌ قديم جدًّا! فلديها تاريخ حافل. فلمدة تزيد عن خمسمئة عام، ظل العديد من المؤمنين الإنجيليين الذين اعتقدوا أن الكتاب المقدس يعلِّم بمعمودية الأطفال الرضع، أمناء لهذا الاعتقاد في ظل ظروف مختلفة. في الواقع، كانت أمانتهم هذه في مرات كثيرة تجعلنا نشعر بالخجل، نحن الذين ربما لدينا تعليم أفضل عن المعمودية!

أما المساواة فليست هكذا. بل هي فكرة جديدة. ليس لديها كل هذا التاريخ الحافل. وإن هذا الذي جمعته في سجلها في العقود القليلة الماضية غير مشجِّع.

طبعًا هناك قضايا أخرى أكثر محورية للإنجيل من قضية النوع. ومع ذلك، قليلون جدًا (إن وُجدوا) يُقوِّضون سلطة الكتاب المقدس في بعض الكنائس الإنجيلية اليوم، بالقدر ذاته مثلما يفعل دعاة المساواة. وعندما تُقوَّض سلطة الكتاب المقدس، فإن الإنجيل لا يعود مُعترفًا به. ومن ثم، فإننا من أجل محبتنا لله، ومن أجل الإنجيل، ومن أجل الأجيال القادمة، علينا أن نقدم بكل عناية تعليم الكتاب، بأن القيادة في الكنيسة المحلية، كالرعاة والشيوخ هي للرجال.

الطبيعة الكاريزماتية لقيادة الكنيسة

ثالثًا، ينبغي أن نلاحظ الطبيعة الكاريزماتية للقيادة الكتابية للكنيسة. وكلمة «كاريزماتية» لا أعني بها خبرة معينة فائقة للطبيعة كالتكلم بالألسنة مثلًا. فالكلمة اليونانية «كاريزما» (وجمعها كاريزماتا) تعني ببساطة هبة أو عطية بالنعمة، هبة نعمة الله. ومن الواضح في الكتاب المقدس أن روح الله يعطي كنيسته مواهب لبنيان شعبه في الإيمان. حتى خلاصنا كمؤمنين يُشار له بأنه كاريزما، عطية بالنعمة. إن عطايا ومواهب الروح القدس هي أمثلة محددة لنعمة الله، سواء خلاصنا على وجه التحديد أو أية عطية أخرى من الله لأولاده. يتحدث بولس عن عطية بر المسيح (رومية ٥: ١٧) وعطية الحياة الأبدية في المسيح (رومية ٦: ٢٣). بر المسيح هو كاريزما من الله لنا.

ولكننا أيضًا نقرأ عن أمثلة أكثر تحديدًا لعطايا الله. في رومية ١١ يتكلم بولس عن العطايا والهبات التي منحها الله لإسرائيل شعبه على وجه الخصوص (آية ٢٩، وقارن ٩: ٤، ٥). وفي رومية ١٢: ٦-٨ يذكر بولس بعض العطايا المحددة التي أعطاها الله للكنيسة:

> **«وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ».**

(لاحظ أن كل هذه المواهب هي لفائدة الآخرين.)

في كورنثوس الأولى يشير بولس إلى التعليم، والتشجيع، والعطاء بسخاء، والقيادة، وإظهار الرحمة؛ باعتبارها مواهب بالنعمة. فيخاطب مؤمني كورنثوس باعتبارهم الذين في كل شيء قد صاروا أغنياء في كل شيء، والذين ليسوا ناقصين في موهبة ما (١كورنثوس ١: ٥، ٧). وحين نقرأ هذه الرسالة، نجد أنه مذكور عدد من هذه المواهب الروحية. وفي ٧: ٧ يعتبر بولس أن حتى البتولية والزواج مواهب روحية.

في الواقع، واحد من أسباب كتابة بولس هذه الرسالة هو أن يعلِّم هؤلاء المؤمنين عن «الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ» (١٢: ١). وفي هذه الأصحاح (ابتداءً من عدد ٧) يواصل بولس سرد «المواهب الاستثنائية» كما سمَّاها الكاتب البيوريتاني (التطهُّري) من القرن السادس عشر؛ جون أوين. يقول بولس: «قَاسِمًا [أي الروح القدس] لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ». (عدد ١١). وفي الأعداد من ٢٧ – ٣١ يسرد بولس قائمة أخرى من المواهب الروحية، ثم يختتم وصاياه لمؤمني كورنثوس بهذه العبارة: «جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى».

ويشير بولس في ٢كورنثوس ١: ١٠ إلى نجاته من الموت على أنها كاريزما، هبة بالنعمة. وفي ١تيموثاوس ٤: ١٤ و٢تيموثاوس ١: ٦ يشير إلى دعوة تيموثاوس إلى الخدمة باعتبارها موهبة. وكما قال لأهل أفسس، إننا لدينا «كُلّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ» (١: ٣).

كل هذه العطايا والمواهب لديها هدف مشترك. فقد فهم بولس أن المواهب الروحية أُعطيت لتشجيع بعضنا بعضًا، ولبنيان بعضنا بعضًا (رومية ١: ١١، ١٢). ونرى بوضوح في ١كورنثوس ١٢: ٤–٧ أن هذه المواهب أُعطيت «لِلْمَنْفَعَةِ العامة».

تُقَدِّم كورنثوس الأولى ١٤ أكثر التعاليم وضوحًا عن هدف المواهب الروحية. لاحظْ في عدد ٤، الذي غالبًا ما يُساء فهمه: «مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ يَبْنِي نَفْسَهُ، وَأَمَّا مَنْ

يَتَنَبَّأُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ». يظن البعض أن هذه الآية إنما تعبِّر عن رأي محايد، كما لو أن بولس يعطي تعقيبًا ببساطة بأن هناك نوعين من البنيان الجيد: فإن أردتَ أن تبني نفسك ينبغي لك أن تسعى للتكلم أو الصلاة بالألسنة، بينما إن أردت بنيان الكنيسة، فعليك إذًا أن تطلب النبوة. ولكني لا أظن أن هذا هو ما قصده بولس هنا. في عدد ١ يشجع بولس هؤلاء المؤمنين على أن يطلبوا النبوة بالأَوْلى. ثم في عدد ١٢، يقول: «إِذْ إِنَّكُمْ غَيُورُونَ لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ، اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَزْدَادُوا». وفي عدد ١٩ يقول: «وَلكِنْ، فِي كَنِيسَةٍ، أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ خَمْسَ كَلِمَاتٍ بِذِهْنِي لِكَيْ أُعَلِّمَ آخَرِينَ أَيْضًا، أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلاَفِ كَلِمَةٍ بِلِسَانٍ». يقول بولس إنك يجب أن تكون قادرًا على فهم الشيء حتى تُبنى به. فوضوح الأمر وقابلية فهمه ضروريان لبنيان الكنيسة! وهذا، كما يقول بولس، هو هدف المواهب الروحية.

في كل المرات التي أُستخدمت فيها كلمة «كاريزما» في العهد الجديد، كان السياق هو استخدام المواهب لبنيان جسد المسيح. فمن نجاة بولس من تحطم السفينة إلى القائمة التي في ١كورنثوس ١٤، كل هذه الكاريزماتا كانت لبنيان الكنيسة بطريقة ما.

الهدف من كل هذه المواهب الروحية، كما يعلن بولس بوضوح، هو "تقْوِيَة" الكنيسة (١كورنثوس ١٤: ٢٦). وهذا هو السبب الذي لأجله يعطي الروح القدس هذه المواهب في الكنيسة. وبالتالي فإن بولس في (١كورنثوس ١٤: ٤) لا يذكر نوعين مختلفين من البنيان، بل ينتقد أي استخدام للمواهب يكون من شأنه خدمة الذات. ويعيد بولس تعريف أهداف هذه المواهب، فيعيد توفيق أغراض مؤمني كورنثوس مع غرض الروح القدس، الذي هو بنيان الكنيسة.

في تعليقه على ١كورنثوس ١٤: ١٢ كتب جون كالفن: «كلما كان المرء حريصًا أن يكرس نفسه للبنيان والنمو، ينال تقديرًا أعلى، حسبما يتمنى له بولس»(٤).

وكما كتب بطرس: «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ». (١بطرس ٤: ١٠).

إن كان البنيان هو هدف المواهب الروحية التي أعطاها المسيح لكنيسته، فما الذي يعنيه ذلك لنا ولكنائسنا؟ إنه يعني أن نُقدِّر بالأَوْلى قيمة المواهب الروحية التي تبني الكنائس بوضوح. علاوة على ذلك، ينبغي أن ندرك أهمية ذلك الجزء من حياتنا المسيحية، أي بنيان الكنيسة، ليس فقط تنظيميًا، بل بناء أحدنا الآخر في المحبة والاهتمام والصلاة. فنحن جميعًا مدعوون لنبادر بالمشاركة كل واحد في حياة الآخر. وكما ذكرتُ، أننا في كنيسة كابيتول هيل المعمدانية، نتعاهد معًا أن نعمل ونصلي من أجل الوحدة، وأن نسير معًا في المحبة، وأن نمارس الاعتناء وملاحظة بعضنا بعضًا، لنُنذر وننصح أحدنا الآخر كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وأن نجتمع معًا، وأن نصلي بعضنا من أجل بعض، ونفرح ونحتمل بعضنا بعضًا، وأن نصلي من أجل معونة الله في كل الأمور.

تخيل معي أن هناك مجموعتين من المؤمنين المحليين: مجموعة بها أناس كثيرون يتكلمون بالألسنة، والأخرى بها العشرات من الشباب يحضرون جنازة رجل مسن، كانوا قد تعرفوا إليه كعضو معهم في الكنيسة. الكنيسة الثانية تبدو لي أكثر "كاريزماتية" (أو كاريزماتية بالمعنى الكتابي للكلمة). فهذه الكنيسة الثانية تبدو متوافقة أكثر مع ما أفهمه أنا بشأن ما يدعو إليه العهد الجديد أن تكونه الكنيسة: مجتمع تَعلَّمَ فيه الناس أن يحبوا ويعتنوا بعضهم ببعض. هذا هو المجتمع الجديد الذي يدعونا الله نحن المؤمنين لنكون جزءًا منه.

المسيحية ليست مجرد قرار فردي للمجيء إلى الكنيسة لرؤية ما الذي يمكنني أن أستفيد منها. «سوف أستخدم الواعظ كمُحاضر شعبي، وكمدرب روحيٍ خاص بي، وبقدر ما يفيدني، سيكون لي حياة أفضل». هذا ليس من المسيحية في شيء. فالمسيحية في العهد الجديد تتعلق كثيرًا جدًا بعلاقاتنا بالناس الجالسين من حولنا في

كنائسنا. والاعتناء والاهتمام الذي نتبناه كمجموعة يربطهما ميثاق، واستعدادنا لتقديم التزام لله، يتجسد في التزاماتنا بعضنا نحو بعض. هذا هو ما يُميِّز الكنيسة الصحيحة بحسب العهد الجديد.

الطبيعة الكاريزماتية للكنيسة تعني أن روح الله القدوس يعمل بيننا حتى نحب ونعتني بعضنا ببعض. إنها من مواهب النعمة (كاريزما) لبعض الناس أن ينهضوا ويقودوا العبادة. ومن مواهب النعمة للبعض الآخر أن يقرأوا الكتاب المقدس للناس في المستشفيات. ومن مواهب النعمة أن تدوِّن وقائع الجلسة في اجتماعات الكنيسة. ومن مواهب النعمة أن تُعلِّم اليونانية. ومن مواهب النعمة أن تتصل براعي الكنيسة الخاص بك وتخبره بأنك تصلي لأجله. هذه الأمور، وفقًا للعهد الجديد، هي مواهب كاريزماتية. لم يقصد بولس مطلقًا أن يعطينا قائمة شاملة لكل الكاريزماتا في السبعة عشرة موهبة التي ذكرها. حين تعمل الكنيسة بقوة الروح القدس لأجل بنيان الجسد، فإن مواهب الروح ستكون حاضرة. وأي فهم لنا للقيادة الكتابية للكنيسة، ينبغي أن يُرى في هذا الإطار.

ككنيسة، تُمارس القيادة وسط جماعة المؤمنين المحليين الذين يربطهم ميثاق، الذين يجهزهم الله على نحو خاص. هذه هي الطبيعة الكاريزماتية للقيادة الكتابية للكنيسة.

تشبُّه قيادة الكنيسة بالمسيح

بالتأكيد، المسيح نفسه هو «رَأْسُ الْجَسَدِ، الْكَنِيسَةِ» (كولوسي ١: ١٨، قارن أفسس ١: ٢٢-٢٣). هو وحده حجر الزاوية ورأس الزاوية (١ بطرس ٢: ٦-٧). فالمسيح في الأساس هو قائد الكنيسة الكونية الجامعة، وكل جماعة مؤمنين محلية.

ليس من المفاجئ إذًا، أن القادة بداخل كل جماعة مؤمنين محلية، عليهم أن يعكسوا شخصية المسيح، يعكسوا شيئًا من أدواره ومسئولياته. لقد طورتُ وسيلة

مقوية للذاكرة لتساعدك على تذكُّر الأوجه الأربعة لقيادة المسيح. ودعوتها "BOSS" (تمثل الحروف الأولى من كل دور)؛ ويُمكن شرحها بواسطة أربعة مثلثات موجَّهة في اتجاهات مختلفة. "BOSS" تمثل أربعة أدوار تولَّاها يسوع كقائد، وهو يدعو قادة الكنيسة اليوم أن يتولوها.

الأوجه الأربعة للقيادة (BOSS)

(رسم توضيحي) ٢٥١

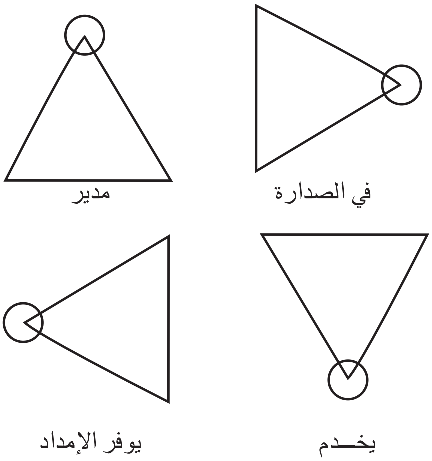

في حين أن أوجُه القيادة هذه قد تنطبق على العديد من مناحي الحياة، إلا أنني أناقش هذه الأوجه في سياق كوننا مؤمنين ونمارس القيادة وسط جماعة المؤمنين المحلية.

مديـــر

المسيح نفسه أوصى بأشياء كثيرة. على سبيل المثال، أوصانا أن نعلِّم آخرين (متى ٢٨: ٢٠). بولس أيضًا أوصى بأشياء. فهو أخبر المؤمنين أن يعلِّموا آخرين ماذا يجب أن يفعلوا. وأوصى الشيوخ أن يقرروا ما الذي يجب أن يُعلَّم، على

أن يفعلوا هذا بكل وداعة وترفق (٢تيموثاوس ٢: ٢٤-٢٥) وبصبرٍ وطول أناة (٢تيموثاوس ٤ :٢). فالشيوخ ينبغي أن يعلِّموا بدقة، لأن الله سيحاسبنا على القدر الذي كنا به أمناء تجاه كلمته (انظر يعقوب ٣: ١). ومن الواضح أن قادة الكنائس – كما هو الحال مع أي قادة – ينبغي أن يوصَوا بأشياء في بعض الأحيان، ويتخذوا قرارات، ويتحملوا مسئوليتها.

هذا الأمر لا يعجب بعضهم اليوم. لكن يسوع أوصى أتباعه (وهذا يشملنا أيضًا) بكل وضوح أن يفعلوا الشيء ذاته: أن يُعلِّموا، وأن يعطوا وصايا، وأن يكونوا على استعداد لممارسة السلطة حين يدعونا هو لفعل ذلك. ينبغي ألا نحيد عن هذا النوع من القيادة. ومع أن هذه السلطة قد يُساء استخدامها، فالسلطة في حد ذاتها أمر حسن، ونحن يمكننا أن نستعيد الاحترام الورع للسلطة عن طريق ممارستها بعناية.

في الصدارة

الشكل الذي وضعتُه لفكرة «الصدارة» هو مثلث موجَّه ناحية اليمين، مع دائرة على طرفه في أقصى اليمين. وهذا يمثل جزءًا آخر من القيادة، أن تكون في المقدمة والصدارة، تأخذ المبادرة وتكون قدوة. فجزء كبير من القيادة هو عبارة عن توفير القدوة واتخاذ المبادرة. في العمل الأدبي الكلاسيكي لجون كيجن، قناع الوصية، The Mask of Command قدَّم الكاتب الإسكندر الأكبر كشخص عظيم في الأساس بسبب أنه قاد قواته بنفسه ودون خوف، إلى أكثر الأماكن خطورة في المعركة [٥]. ومن المرجح أن القائد العسكري الأكثر إثارة للرعب في الحرب العالمية الثانية قد حذا حذو الإسكندر. كان قائد قوة المدرعات الألمانية روميل «ثعلب الصحراء» في أغلب المرات في طليعة قواته، الأمر الذي لم يكن معتادًا بالنسبة لقادة الجيوش في الحرب العالمية الثانية. فحين كانت تبدأ معركةٌ، كان يذاع الخبر أن «روميل في صدارة قوَّاته، روميل في طليعة الجيش!» هذه الرسالة كانت تثير قواته وتدفعهم

دفعًا لاتباعه. فالقادة الجيدون يأخذون المبادرة.

جزء آخر من القيادة الكتابية هو تقديم المثال والقدوة. قال يسوع في يوحنا ١٣: ٣٤ «كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا». وكتب بولس «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا» (فيلبي ٢: ٥). ونَصحَ بطرس بعض المسيحيين الأوائل أن يتذكروا أن «الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١بطرس ٢: ٢١). وكتب بولس لمؤمني كورنثوس «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١كورنثوس ١١: ١).

ويقول بولس على وجه الخصوص لمؤمني تسالونيكي إنه اشتغل بيديه حتى يقدم نفسه مثالًا يمكنهم أن يتبعوه (٢تسالونيكي ٣: ٧–٩). هو عمل بإرادته الحرة حتى يحيا حياة نموذجية، ليس حياة مثالية، لكنها تظل نموذجية. عرَضَ بولس حياته الخاصة كمثال، متقدمًا في الصدارة ليُظهر كيف ينبغي أن يكون الأمر.

وهذا هو ما ينبغي أن يفعله القادة في الكنائس اليوم. كجزء من قيادتنا، لا بد أن نكون مثالًا (انظر يوحنا ١٣: ١٥، فيلبي ٣: ١٧، ١تيموثاوس ٤: ١٢، تيطس ٢: ٧، ويعقوب ٥: ١٠).

يوفر الإمداد

الشكل الذي وضعته لفكرة «الإمداد» هو مثلث موجَّه ناحية اليسار، مع دائرة موضوعة على طرفه في أقصى اليسار. هذا الشكل يذكِّرنا بأن جزءًا آخر من القيادة هو الإمداد.

فكِّرْ في جيش لديه خطوط إمداد حيوية تصل إلى القوات الموجودة على جبهة القتال. تعمل القيادة الجيدة استراتيجيًا لتعطي شكلًا وتركيزًا وحرية للعمل الذي دُعيَ الآخرون ليقوموا به. القادة يوجِّهون حركة سير الكنيسة، ويقسِّمون الخدمة لأجزاء صغيرة جدًا حتى يستطيع الآخرون أن يقوموا بها.

إن كنا مدعوين لنوفر هذا الإمداد، فإننا سنعبر خلف خطوط العدو لنعطي الناس الأدوات التي يحتاجونها حتى ينطلقوا بأنفسهم. بعد أن أعدَّ يسوع تلاميذه وجهَّزهم، أرسلهم (لوقا ٩-١٠). هم أخفقوا في لوقا ٩، ولكن يسوع أرسلهم ثانية في لوقا ١٠، ونجحوا هذه المرة. فيسوع في هذا المثال، كان موجودًا خلف الخطوط، يمدّ ويجهِّز آخرين.

بالتأكيد نحن لا نستطيع أن نذهب مع الناس الذين أرسلناهم، مثلما يستطيع يسوع بروحه. ولكن موقفنا يشبه بالأكثر موقف بولس في رسالته الأخيرة، حين أوصى تيموثاوس بأن يعلِّم أناسًا يكونوا أكْفاء أن يعلِّموا آخرين (٢تيموثاوس ٢: ٢). لقد أدرك بولس أنه يستطيع أن يضاعف خدمته بصورة كبيرة، حين يمدُّ الآخرين بالموارد حتى يؤدوا خدماتهم.

يخدم

في الشكل الذي عنوانه «يخدم»، نجد المثلث موجهًا للأسفل، مع دائرة حول طرفه الأدنى. وهذا يُمثّل دور الخدمة. Serve وهي تُمثّل الحرف الأخير من كلمة "BOSS"، وربما هذا هو أكثر وجه يمكن أن نميِّز أنه مسيحي بين أوجه القيادة. فنحن نراه أكثر اكتمالًا في المسيح إذ بذَلَ نفسه لأجلنا على الصليب، ومات عنّا حتى نستطيع أن نحيا له. ونجد وصفًا مؤثرًا لهذه الخدمات المضحية بالذات، في كل إنجيل من الأناجيل الأربعة، مع مزيد من التأملات عنها في كل العهد الجديد. وفيلبي ٢ و١بطرس ٢ على نحو خاص واضحان ومؤثِّران.

هذا هو نموذج القيادة الذي تركه لنا المسيح. وهذا بالأخص هو الحال، ما إن دُعينا لنكون قادة وسط جماعة من المؤمنين المحليين، فيقول بطرس:

«أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى

الأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ. وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى». (١بطرس ٥: ١-٤).

هذه الأوجه الأربعة المختلفة للقيادة: المدير الذي يعطي الأمر، والقدوة الذي في الصدارة، ومن يمِدُّنا بما نحتاجه، ومن يخدِم، ستكون جزءًا من قيادة الكنيسة الكتابية.

علاقة قيادة الكنيسة بطبيعة اللّه وشخصيته

ونحن نختتم نظرتنا على قيادة الكنيسة، ينبغي أن نفكر كيف تتعلق ممارسة هذه القيادة بطبيعة الله وشخصيته.

فالقيادة ليست في النهاية مجرد أمر يتعلق بسياسات الكنيسة. في إحدى المرات حينما كنت في كامبريدج، وكنت أتناول العشاء مع صديق لي، عبَّر لي عن غضبه من قرار اتخذه مجلس المدينة مؤخرًا ببيع بعض الأراضي المجاورة لمدرسةٍ تقع بالقرب من منزله. وفيما هو يتكلم، تذكرتُ كيف أن هذا الأمر هي عادةٌ نمطية لدي صديقي. إذ كان دائمًا ما يعبِّر عن غضبه من شيء هنا أو هناك فعلته سلطة ما. ولذلك طَرحتُ عليه سؤالًا بسيطًا مباشرًا قاطعًا: «هل تظن أن السلطة هي أمر سيئ؟» ظننت أنه سيعطيني إجابة مصوغة بعناية، مغلَّفة بمعانٍ رقيقة. ولكن صدمتني إجابته العفوية البسيطة المباشرة القاطعة: «نعم، السلطة هي أمر سيئ».

إن الإقرار بالطبيعة الساقطة للسلطة البشرية وبحقيقة أن هذه السلطة يمكن أن يُساء استخدامها، هو أمر جيد وصحي. ولا شك في أن السلطة التي لا تخدم أغراض الله هي دائمًا شيطانية. ولكن الارتياب في كل أنواع السلطة هو أيضًا شيء سيئ جدًا. فهذا يكشف الكثير عن طبيعة الشخص الذي يشكك، أكثر مما يكشفه عن طبيعة السلطة التي يشكك فيها. فلكي نحيا كما قصد لنا الله أن نحيا، ينبغي أن نثق به، وأن نثق بأولئك المخلوقين على صورته.

هذا لا يعني أن التقوى سذاجة، بل يعني أن القدرة على الثقة عنصر جوهري لانعكاس صورة الله، وللعمل في إطار علاقات الحياة، التي تظهر فيها هذه الصورة ويعبَّر عنها.

في أفسس ٣: ١٤ حين كان بولس يصلي لمؤمني أفسس، أخبرهم أنه صلى «لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السموات وَعَلَى الأَرْضِ». والمغزى الذي قصده بولس هنا ليس ببساطة أن الله هو أبٌ لعائلة كنسيته، أي الكنيسة الجامعة الشاملة (وإن كان ذلك صحيح بكل تأكيد)، ولكن المغزى هو أن الله هو الخالق الذي صنعنا على صورته، وأن كل البنيان الاجتماعي للسلطة في عائلاتنا، هو مستمدٌ من الله ومن سلطته. ومن ثم فإن السلطة والقيادة ليستا مسألتين غير جوهريتين بالنسبة لنا كمؤمنين، بل هما مسألتان ذوَي أهمية عظمى، لأنهما تشكلان جزءًا من صورة الله التي يجب أن نعكسها في حياتنا.

عالَمٌ بلا سلطة سيكون مثل رغبات جامحة، سيارة بلا مكابح، مفترق طرق بلا إشارة مرور، لعبة بلا قواعد، بيت بلا والدين. قد يستمر الأمر لبرهة من الوقت، ولكن قبل أن يمضي وقت طويل، سيبدو الأمر عبثيًا، ومن ثم يصير مأساة قاسية لا توصَف.

يطرح يوجين كينيدي وسارة تشارلز في كتابهما "**السلطة: أكثر فكرة أسيء فهمها في أمريكا**» Authority: The Most Misunderstood Idea in America، فكرة أن «العامل الذي يحفظ ثبات ممارسة السلطة ممارسة صحية هو الشيء المفقود. وأن عودته هي ما ستجعلنا أكثر ثقة وأقل قلقًا في إدارة حياتنا»[٦]. ويقترحان أن «الممارسة الصحية للسلطة تتوافق مع احتياجات العلاقات الحميمة الجادة وأهدافها، لأن اهتمامها ليس هو التغلب على الآخرين، وإنما تعزيز نمو الأشخاص الذين يشعرون بالأمان بعضهم مع بعض»[٧].

ووفقًا لهذين الكاتبين، في أفلام مثل "Pleasantville":

إن مزيدًا من الحرية الجنسية، في حد ذاته، يُنظر له باعتباره ثمرة التمرد النبيل على القوى القمعية اللاإنسانية. وأمرٌ كهذا مصدَّق عليه في الثقافة الشعبية، باعتباره غاية في حد ذاته. فالتحرر الجنسي غير المقيَّد، والذي هو عبارة عن ممارسات جنسية بمعزل عن العلاقات الإنسانية، يصبح ركيزة أساسية في الحكمة الشعبية(٨).

ومع ذلك أن تُخرِج الحميمية خارج تركيبة الالتزام، والسلطة، والخضوع، والحب ذي العهد، فأنت تقتلع جذور شيءٍ من أهم الدروس التي يمكن أن نتعلمها كمخلوقات خُلقت على صورة الله، ألا وهو كيفية التواصل بعضنا مع بعض ومع الله.

أتذكر وعظي ذات مرة من سِفرَي صموئيل الأول والثاني، عندما وقعت عيناي على كلمات داود الأخيرة في (١صم ٢٣)، اندهشتُ، وتعجَّبْتُ كيف أنني لم أنتبه لها كثيرًا من قبل: «إِذَا تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ بَارٌّ يَتَسَلَّطُ بِخَوْفِ اللهِ، وَكَنُورِ الصَّبَاحِ إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ. كَعُشْبٍ مِنَ الأَرْضِ فِي صَبَاحٍ صَحْوٍ مُضِيءٍ غِبَّ الْمَطَرِ». (٢صم ٢٣: ٣-٤). يا له من وصف رائع لممارسة السلطة بطريقة صحية وثمار هذه الممارسة!

أظن أنني لاحظت كلمات داود أكثر في ذلك الوقت، لأنني أصبحت حينها رجلًا يمارس سلطة متزايدة، سواء في أسرتي أو في كنيستي. وهذا جعل حقيقة هذه الآيات أكثر وضوحًا لي، وأكثر أهمية وقيمة.

يُفترض في الأسرة أن تكون هي أرض التدريب على ممارسة السلطة المُحِبَّة. إنها مكان «للارتقاء بالمستوى» أعطاه الله لنا لنتعلم الحب، والاحترام، والإكرام، والطاعة، والثقة، حتى يتسنى لنا أن نُعدَّ أنفسنا للتواصل مع الآخرين، وفي النهاية نتواصل مع الله نفسه.

حين نمارس السلطة بطريقة حسنة ولائقة، من خلال القانون، وحول مائدة الأسرة، وفي وظائفنا، وفي فِرَق الكشافة، وفي بيوتنا، وبالأخص في الكنيسة، فإننا نساعد على إظهار صورة الله لخليقته.

إن سلوكنا في الكنيسة فيما يتعلق بمسألة القيادة يجب أن يَئُول إلى أن الإنجيل لا يُجدَّف عليه بل بالأحرى يُرفع ليكون النور المجيد للرجاء والحق في العالم. وينبغي أن تكون حياتنا معًا نقية بقدر المستطاع، حتى يسطع قلبُ الله المحب للعالم بوضوح من خلالنا.

هذه دعوة عظيمة دعانا الله إليها، أن نقرَّ بالسلطة التقية في الكنيسة ونحترمها. هذه علامة من علامات الكنيسة الصحيحة والمؤمنين الأصحاء. هذه دعوتنا. وهذا امتيازنا. وهناك عالم يحتاج أن يرى أناسًا مخلوقين على صورة الله يعيشون هذه الصورة بهذه الطريقة. فدعونا نصلي أن نَقْدِرَ أن نفعل ذلك معًا في كنائسنا، من أجل صحة كنائسنا ومن أجل مجد الله.

مراجع أخرى

- للدراسة في مجموعات:

Leading One Another: Church Leadership

- دراسة استقرائية مقسمة على ستة أسابيع من خلال "9Marks".

- لتطبيقات راعوية:

Faithful Elders and Deacons, by Thabiti Anyabwile

ملحق (١)

نصائح لقيادة الكنيسة في اتجاه صِحِّيّ

الاتجاه الصِّحِيّ

عندما يمكننا حقًا افتراض أن غالبية هؤلاء الموجودين في الكنيسة هم مجدَّدون وأن لديهم التزامًا تجاه الكنيسة، فحينئذ يمكن لصورة الكنيسة حسب العهد الجديد، كجسد وعائلة، أن تكون حقيقةً حية وحيوية.

إن الله في صلاحه دعانا لنحيا الحياة المسيحية معًا. فلكوني جزءًا من الكنيسة، فإني قد نَمَوْتُ، إذ إنَّ الله يعمل من خلال إخوتي وأخواتي. وأظن أن هذا طبيعي، ولا يُفترض أن يكون غير ذلك. فالله يقصد أن يعمل فينا بروحه، من خلال بعضنا البعض. فالعلاقات بمفهوم العالم تنطوي على التزام، وبالتأكيد فإن العلاقات في الكنيسة لن تنطوي على أقل من ذلك.

في الوصية الثالثة (خروج ٢٠: ٧، تثنية ٥: ١١) حذَّر الله شعبه ألا ينطقوا باسم الله باطلًا. وهو لا يقصد بذلك تجنب التجديف فقط. بل وأكثر من ذلك، إنه يقول: «لا تنسب نفسك لاسمى، ولا تدَّعِ أنك تابع لي، ما دمت لن تعيش كواحد من أتباعي». هذا، شأنه شأن التجديف، هو استخدام اسم الله باطلًا.

تلك الوصية موجَّهة لنا ككنيسة أيضًا. فالعديد من الكنائس اليوم، يخلطون بين المكاسب الأنانية والنمو الروحي. فنحن نخلط بين ما هو مجرد شعور بالإثارة، والعبادة الحقيقية. نحن نُفضِّل قبول العالم لنا، على أنْ نحيا بطريقة تجلب معارضةً

من العالم (انظر ٢تيموثاوس ٣: ١٢). العديد من الكنائس، بغض النظر عن صورتها إحصائيًا، يبدو غير مبالٍ بالعلامات الكتابية المحددة التي يجب أن تميِّز الكنيسة الحية النامية.

إن صحة الكنيسة ينبغي أن تكون مثار اهتمام كل المؤمنين، لأنها تشمل الحياة الروحية لكل من هو مؤمن وعضو في الكنيسة، خاصةً هؤلاء الذين دُعيوا ليكونوا قادة بالكنيسة. فكنائسنا تُظهر إنجيل مجد الله، لخليقته، من خلال التنوع المدهش لكل الشخصيات المختلفة التي يضعها الله في الكنيسة، ومن خلال الطرق التي يسمح بها الله أن يرتبطوا بعضهم ببعض ويُظهروا مجده. هذا ما دُعينا له، أن نُظهر الله وشخصيته لخليقته بطريقة مجيدة (أفسس ٣: ١٠). فنحن ينبغي أن نمجد الله بحياتنا معًا.

نصائح للقيادة

كنت قد فكرتُ ذات مرة أن أكتب كتابًا لرعاة الكنائس، بعنوان كيف تجعلهم يطردونك.. وسريعًا! كان بإمكاني أن أُوجز الفكرة الأساسية لهذا الكتاب غير المكتوب، في عبارة واحدة تناسبًا مع كتابات بولس: وهي أن راعي كنيسة دخل إلى اجتماع أعضاء الكنيسة، مشكِّكًا في إيمان البعض منهم، ورافضًا أن يعمِّد الأطفال، ومناديًا بإعطاء الأولوية لترنيم أعضاء الكنيسة، أكثر من الموسيقة المعزوفة، ومطالبًا بإزالة كل الأعلام والشارات المسيحية والوطنية وأن تتوقف جميع أنواع الدعوات إلى التقدم ناحية منبر الكنيسة، وأن يحل الشيوخ محل لجان الكنيسة (حتى لجنة الترشيح)، ومتجاهلًا هذا التناوب العلماني لعيد الأم، وعيد الأب، وعيد العمال، وعيد جميع القديسين (هالويين)، ويوم المحاربين القدامي، ورأس السنة الجديدة، وعيد ميلاد مارتن لوثر كينج، وعيد الحب، واليوم التذكاري للشهداء، وحفلة تخرج المدرسة الثانوية المحلية، وعيد الاستقلال، ومبتدئًا في ممارسة التأديب الكنسي، ومُنَحِّيًا المرأة من المناصب الكنسية التي تليق

بالشيوخ، ومُصَرِّحًا بأن لديه اعتراض لاهوتي على تعدد الاجتماعات في صباح الأحد. فمن المحتمل أنَّ قسًّا كهذا لن يُسمح له بالاستمرار لوقت أكثر من اجتماع الأعضاء التالي.

في حين كان بإمكاني أن أكتب كتابًا كهذا، إلا أني أظن أنني يجب أولًا أن أتبع طريقة بنَّاءة أكثر. إذ أخشى أن يقرأ البعض هذا الكتاب فيذهبوا على الفور إلى كنائسهم وهم متلهفون لرؤية تغييرات جذرية. ولكن مع قليل من الحكمة والصبر والصلاة والتعليم المتأني والمحبة، قد يفاجئنا مقدار ما نستطيع أن نصل إليه بكنائسنا. قصة السلحفاة المثابِرة والأرنب المتعجل تصبح هنا مثلًا لرعاة الكنائس.

إليك أربع خصائص يجب كراعٍ للكنيسة أن تُنمِّيَها، لتساعد في تحقيق التغييرات التي تشعر أن كنيستك في احتياج إليها.

١- كن صادقًا

اطلب إلى الرب أن يحفظك مخْلِصًا لكلمته المكتوبة. فلا تستهن البتة بقوة تعليم الحق. صلِّ أن يكون لديك استقامة في داخلك، في تفكيرك الخاص. صلِّ أن تكون أمينًا مع الجميع، في الإجابة عن الأسئلة، بل بصورة أكثر نشاطًا، في العمل على مساعدة الناس أن يعرفوك.

٢- كن نزَّاعًا إلى الثقة

اتَّكِلْ على الله أكثر من اتكالك على مواهبك وقدراتك. اقضِ وقتًا في الصلاة بمفردك، ومع آخرين، ومع أعضاء الكنيسة، كن صبورًا. تذكر كلمات بولس لتيموثاوس في (٢تيموثاوس ٤: ٢): «اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ».

سلِّم طموحاتك لله، وكن مستعدًا أن تستأمنَه على حياتك. كن مستعدًا أن تصلي لأن يتركك الرب في مكان خدمتك الحالي لبقية حياتك. فالعمر الطويل قد

وضعه الله في الحسبان، في مسألة تنشئة الأبناء حتى البلوغ؛ فطول العمر هو أمرٌ ميَّز العديد من الخدمات المثمرة. قال القس البيوريتاني (التطهري) ويليام جوج أكثر من مرة إن أقصى طموحه هو أن يخرج من كنيسته إلى السماء مباشرة. كان جوج راعيًا للكنيسة ذاتها من يونيو ١٦٠٨ حتى وفاته في ١٢ ديسمبر ١٦٥٣. كان راعيًا للكنيسة ذاتها لمدة ستة وأربعون سنة. صلِّ أن يُزيد الله إيمانك ويساعدك لكي ترى أن اهتمامه بالكنيسة أكبر من اهتمامك أنت.

٣- كن إيجابيًا:

صلِّ ألا تكون كثير الانتقاد في الأساس، ولا أن يُنظر إليك باعتبارك هكذا. فلتكن لك أجندة ايجابية. وضِّح رؤية الله لكنيسته، وكذلك خططك المحددة؛ فيما يتعلق بالأهداف طويلة الأمد وتلك العاجلة أكثر. صلِّ أن يساعدك الله على بناء علاقات شخصية متينة. وصلِّ على وجه الخصوص أن يساعدك الله على تنمية مزيد من القادة داخل الكنيسة (٢تيموثاوس ٢: ٢). صلِّ أن يجعل الله منك مثالًا شخصيًا ومدافعًا رئيسيًا عن الكرازة والإرساليات. صلِّ أن يزيد الله من غيرتك – وغيرة كنيستك – لمجد لله.

٤- كن محدَّدًا

تأمل السياق والظروف المحيطة التي تُظهر كيف اهتم الله بكنيسته. استفد من المصادر الجيدة لتاريخ كنيستك. اعرف تاريخ كنيستك من الأعضاء الأكبر سنًا. كن دارسًا للأشجار التي تحمل كنيستك. في كاتدرائية لينكولن، أخبرني مرشد سياحي أن عالِمًا للأشجار كان قد أخذ عينات من لُب عوارض البلوط ذات الستة وأربعين قدمًا التي كانت تدعم سقف الكاتدرائية لقرون من الزمن، واكتشف التاريخ الذي زُرعت فيه هذه الأشجار والتاريخ الذي اقتُلعت فيه. والعينات التي أظهرها لنا كانت لأشجار تم اقتلاعها قبل أكثر من ١٥٠ سنة، وكثير منها كان قد زُرع في القرن العاشر واقتُلع في القرن الثاني عشر.

كن أكثر التلاميذ دراسة لتاريخ كنيستك. بفعلك هذا ، أنت تُظهر الاحترام، وكذلك تتعلم.

ربما تصير أنت الرجل الذي يستعيد أفضل ما كان في ماضي الكنيسة، والرجل الذي يقود الكنيسة إلى الأمور العظيمة التي أعدها الله للكنيسة في المستقبل، وهي تُظهر شخصية الله لخليقته. إن عبء إظهار ذلك إنما هو مسئوليتنا الجليلة وكذلك امتيازنا الهائل. أُصلِّي أن يجعل اللهُ كنيستك كنيسةً صحيحة، ويسكب روحه على الكنائس عبر بلادنا وحول العالم كله، حتى يفعلوا الأمر نفسه، لمجد الله. وليباركك الرب في محاولتك لفعل ذلك.

ملحق (٢)

«لا تفعلوا ذلك!»

لماذا لا ينبغي أن تمارس التأديب الكنسي

«لا تفعلوا ذلك». هذا هو أول شيء أقوله لرعاة الكنائس حين يكتشفون أن التأديب الكنسي موجود في الكتاب المقدس. فأقول لهم: «لا تفعلوا ذلك، على الأقل ليس الآن». ولكن لماذا هذه النصيحة؟

دعنا نفكر فيما يحدث عند اكتشاف هذا الأمر. حين يسمع الرعاة عن التأديب الكنسي للوهلة الأولى، غالبًا ما يظنون أنها فكرة سخيفة. فهي تبدو فكرة خالية من المحبة، وضد الإنجيل، وغريبة، ومتسلطة، وناموسية (متقيدة بحرفية القانون)، وتنطوي على الحكم على الآخرين. ومن المؤكد أنها تبدو غير عملية. حتى أنهم يتساءلون إن كانت غير قانونية.

يفتحون كتبهم المقدسة

قد ينظر هؤلاء الرعاة خُلسة إلى كتبهم المقدسة. ويأتون إلى مقاطع كتابية مثل (٢تسالونيكي ٣: ٦) أو (غلاطية ٦: ١) أو إلى النص الكلاسيكي عن التأديب (١كورنثوس ٥). هم يتأملون الخلفية الموجودة في العهد القديم عن عقوبة الحرمان الكنسي، ويتذكرون أن الله دائمًا ما كان يهدف إلى جعل شعبه صورةً تعكس قداسته هو شخصيًا (تثنية ١٧: ٧، لاويين ١٩: ٢، إشعياء ٥٢: ١١، ١ بطرس ١: ١٦).

ثم يرجعون إلى تعليم يسوع نفسه، ويكتشفون أن في الأصحاح نفسه الذي أدان فيه يسوع الحُكمَ على الآخرين (انظر متى ٧: ١)، يحذر فيه أيضًا التلاميذ بأن يحترزوا من الأنبياء الكذبة ومن الذين يزعمون أنهم يتبعونه بينما لا يطيعون كلمته (متى ٧: ١٥-٢٠، ٢١-٢٣). وفي النهاية يرجع هؤلاء الرعاة إلى (متى ١٨) حيث يوصي يسوع أتباعه بأن يستبعدوا أولئك الذين في مواقف معينة يخطئون ولا يتوبون (ع ١٧). ألعله ينبغي أن تمارس الكنيسة التأديب الكنسي؟

أما ما يدفع هؤلاء الرعاة اللطفاء الطبيعيين المتكيِّفين الذين كانوا سابقًا محبوبين، إلى هذه الحالة من انعدام الحيلة هو أنهم يكتشفون أن هناك بعض الكنائس في الواقع تمارس التأديب الكنسي. ليست كنائس غريبة أو غير متوافقة، بل كنائس سعيدة ونامية وكبيرة ومنهجها هو النعمة، مثل كنيسة «جريس كوميونيتي» في مدينة صن فالي بكاليفورنيا، أو الكنيسة المشيخية العاشرة Tenth Presbyterian في فيلادلفيا، أو المعمدانية الأولى First Baptist في دورهام بولاية كارولينا الشمالية، أو كنيسة فيليدج Village Church بالقرب من دالاس.

الآن أصبح هؤلاء الرعاة في مأزق. فهم يدركون أنه ينبغي أن يكونوا مطيعين. ويشعرون أنهم مجبرون أمام الصورة الكتابية للكنيسة المقدسة المُحبة المتحدة، الكنيسة التي تعكس الله الواحد القدوس المحب. وهم يفهمون أن إخفاقهم في ممارسة التأديب الكنسي يضرُّ بكنائسهم ويضرُّ بشهادة هذه الكنائس أمام العالم.

تلك هي اللحظة التي غالبًا ما يُتخذ فيها قرار عنيد، مثل «سوف أقود أعضاء هذه الكنيسة ليكونوا كتابيين في هذا الصدد، حتى وإن كان هذا آخر شيء أفعله!» وغالبًا ما يكون ذلك هو آخر شيء يقوم به فعلًا.

فجأةً ودون سابق إنذار

في وسْط الحياة المسالمة حسنة النية لأعضاء الكنيسة الأبرياء المؤمنين بالكتاب المقدس، تضرب الصاعقةُ الرعدية للتأديب الكنسي! قد يحدث ذلك خلال عظة، أو خلال محادثة بين راعي الكنيسة وأحد الشمامسة. أو ربما خلال اقتراح متعجِّل في اجتماع أعضاء الكنيسة. ولكن في مكان ما ستضرب تلك الصاعقة، وغالبًا ما يصحبها جدية شديدة وسيل جارف من الاستشهادات بالنصوص الكتابية.

وبعدها يتم اتخاذ الإجراء الصادق.

ثم تأتي ردة الفعل، فينتَج عن ذلك سوء فهم ومشاعر جريحة، وتنشأ اتهامات مضادة، وتتم مهاجمة خطيةٍ ما والدفاع عنها، وتُذكر أسماء، وتعمُّ المرارة، وتتحول سيمفونية جماعة المؤمنين المحلية إلى نشازٍ من الحُجج والاتهامات. ويصرخ الناس: «متى سينتهي هذا؟» وكذلك: «وهل تظن أنت أنك شخص مثالي؟».

ماذا يجب أن يفعله راعي الكنيسة؟ نصيحتي هي «لا تضع نفسك في هذا الموقف، من بادئ الأمر. فبمجرد أن تكتشف أن ذلك التأديب الكنسي التصحيحي هو أمر كتابي، تمهَّل بعض الوقت قبل ممارسته». (التأديب الكنسي هو أمر تقويمي وتشكيلي، والصفة الأخيرة تشير إلى عمل الكنيسة في تعليم أو تشكيل المؤمنين).

والآن عند تلك اللحظة قد تفكر هكذا: «مارك، هل تطلب منا أن نكون غير طائعين للكتاب المقدس؟».

في الواقع، لا لست أطلب ذلك. أنا أحاول أن أساعدكم أن تفعلوا ما أَوصَى به يسوع تلاميذه أن يفعلوه (انظر لوقا ١٤: ٢٥-٣٣): احسب حساب النفقة، قبل أن تبدأ. تأكد أن أعضاء كنيستك يفهمون ويقبلون هذا التعليم الكتابي بشكل كافٍ. فهدفك ليس الحصول على امتثال فوري يعقبه انفجار، بل بالحري أن

يتشكَّل أعضاء الكنيسة بكلمة الله. أنت تريدهم أن يذهبوا في الاتجاه الصحيح. وهذا يتطلب قيادة متأنية.

كيف تقود كنيستك نحو التأديب

أولًا، شجِّعهم على التواضع. ساعد الناس أن يروا أنهم قد يكونوا مخطئين بشأن حالتهم الروحية. فكِّر في مثال الرجل الموجود في (١كورنثوس ٥) وكذلك نُصْح بولس لأهل كورنثوس الأكثر تفصيلًا في (٢كورنثوس ١٣: ٥). إذ يوصينا بولس أن نمتحن أنفسنا لنرى هل نحن في الإيمان. هل يدرك أعضاء كنيستك أنه يتوجب عليهم أن يساعدوا بعضهم بعضًا على فعل ذلك؟

ثانيًا، تأكد أن أعضاء كنيستك لديهم فهم كتابي لعضوية الكنيسة. لا يفهم الناس أمر التأديب لأنهم لا يفهمون أمر العضوية. العضوية هي علاقة جماعة المؤمنين المحلية. فهي لا تنشأ أو تستمر أو تنتهي بفعل الفرد وحده؛ فالفرد لا يستطيع أن ينضم إلى كنيسة كخطوة أُحادية من جانبه بدون موافقة أعضاء الكنيسة. وبالمثل، لا يستطيع أن يستمر الفرد في عضويته في جماعة معينة أو يترك هذه العضوية، إلا من خلال موافقة صريحة أو ضمنية من هذه الجماعة (ما عدا في حالة الموت). هذه كانت جملة طويلة جدًا، ولكن ما أحاول أن أقوله في الأساس، هو أن مِن مسئولية الكنيسة أن تقرر من هم أعضاؤها. والأعضاء لا يمكن أن يرحلوا ببساطة حين يكونوا واقعين في خطية لم يتوبوا عنها[١].

ومع ذلك، ينبغي أن تُقدَّم هذه الرؤية الخاصة بالعضوية بطريقة إيجابية. افهم ما يُعلِّمه الكتاب المقدس عن عضوية الكنيسة. تأكد أنك تعرفت على العديد من النقاط والمقاطع الكتابية الحاسمة، التي تستطيع أن تُذكِّر بها الأعضاء حين يسألون. ابحث عن فرص في عظاتك لتعلِّم عن التمييز بين الكنيسة والعالم، وكيف أن التمييز بينهما له أهمية خاصة بالنسبة لطبيعة الكنيسة وإرساليتها. ساعد

أعضاء كنيستك على أن يُكوِّنوا صورة عن خطة الله لكنيسته بحيث تبدأ الخطوط العامة للتأديب الكنسي تصير واضحة، من خلال غيابهم عن الممارسات الكنسية الاعتيادية. تذكَّر أن الأعضاء لا بد أن يفهموا العضوية والتأديب الكنسي، لأنهم هم الأفراد المفروض فيهم تطبيق ذلك.

ثالثًا، صلِّ أن يساعدك الرب على تجسيد الخدمة لمؤمنين آخرين في كنيستك من خلال تعليمك العلني وخدمتك الخاصة مع الأُسَر والأفراد. اعمل على خلق «ثقافة التلمذة» والمساءلة في كنيستك، حيث يفهم المؤمنون أن جزءًا جوهريًا من تبعيتهم ليسوع يكمن في مساعدة الآخرين على أن يتبعوا يسوع (بالكرازة، وتلمذة مؤمنين آخرين). ساعدهم على أن يفهموا المسئوليات الخاصة التي على عاتقهم تجاه الأعضاء الآخرين. وعلِّمهم أن الحياة المسيحية هي حياة شخصية، ولكنها ليست حياة خصوصية منعزلة.

رابعًا، جهِّز الدستور والعهد المكتوبَيْن الخاصَّيْن بجماعة المؤمنين في كنيستك. راجع مقال كين ساند على موقع 9Marks، من أجل مزيد من النصائح القانونية العامة. ابدأ في تعليم فصول ما قبل العضوية، والتي يتم فيها تعليم موضوعات تتعلق بالعضوية والتأديب الكنسي بشكل صريح.

خامسًا وأخيرًا، من خلال خدمتك المنبرية، لا تمَلّ البتة من التعليم عن ماهية المؤمن المسيحي. عرِّف بانتظام ما هو الإنجيل وما هو التغيير. علِّم صراحةً أن الكنيسة قُصِد لها أن تكون مؤلَّفة من خطاة تائبين يثقون في المسيح وحده، ويعلنون بمصداقية عن هذه الثقة. صلِّ أن يكون الإنجيل هو محور اهتمامك. قرِّر، بمعونة الله، أنك ستقود أعضاء كنيستك، ربما ببطء ولكن بثبات، نحو التغيير. صلِّ أنه بدلًا من أن يكون من المستغرب في كنيستك أن تسأل الناس للاطمئنان عن حالتهم الروحية، أن يكون من المستغرب أن لا يسأل أحدهم عن حياتك.

ستعرف أنك جاهز عندما...

ستعرف أن أعضاء كنيستك جاهزون لممارسة التأديب الكنسي عندما:

- **يفهم قادة الكنيسة التأديب الكنسي، ويتفقون معه، ويستوعبون أهميته. (فالقيادة الناضجة المشتركة بين العديد من الشيوخ هي نموذج القيادة الأكثر اتساقًا مع الكتاب المقدس، وهي مفيدة جدًا في قيادة الكنيسة خلال النقاشات المتفجِّرة المحتمل حدوثها).**
- **يكون أعضاء كنيستك متَّحِدين في فهم أن مثل هذا التأديب هو أمر كتابي.**
- **تشمل عضوية كنيستك بشكل كبير أناسًا ممن يستمعون لعظاتك بانتظام.**
- **تأتي حالة واضحة محددة، يدرك الأعضاء بشأنها وبصورة موحَّدة وتامة، أن الحرمان الكنسي هو الإجراء الصحيح. (على سبيل المثال، احتمالية حصول الحرمان الكنسي بسبب الزنا على موافقة بين الأعضاء، هي أكبر من احتمالية ذلك في حالة الحرمان الكنسي بسبب عدم المواظبة).**

ولذلك يا صديقي راعي الكنيسة، مع أنك قد تكون فكرت ذات مرة أن فكرة التأديب الكنسي هي فكرة سخيفة، إلا أنني أُصلي أن يساعدك الله على أن تقود أعضاء كنيستك ليروا أن التأديب الكنسي تطبيقٌ للطاعة والرحمة، تطبيق محب، ومُنبِّه، وجذاب، ومميَّز، وجدير بالاحترام، ورءوف، وأنه يساعد على بناء كنيسة تمجد الله.

لكن تذكَّر أنك حين تقتنع للمرة الأولى بالوضع الكتابي للتأديب الكنسي، فمن المرجح أن خطوتك الأولى في جماعة مؤمنين مؤسَّسة جيدًا هي أن تبدأ بعدم ممارسة التأديب الكنسي، لكي تستطيع ذلك يومًا ما.

ملحق ٣

رسالة الـ ٩ علامات الأصلية

هذه هي الرسالة التي أرسلتها لشيوخ الكنيسة التي كنت قد زرعتها وقمت برعايتها منذ سنوات في مدينة ماساتشوسيتس، وكان الشيوخ في ذلك الحين يبحثون عن راعٍ لها. وفي هذه الرسالة قدمت لأول مرة موضوع «٩ علامات للكنيسة الصحيحة».

٣٠ أكتوبر ١٩٩١

الإخوة والأخوات الأعزاء،

كنت أفكر منذ فترة في كتابة رسالة لكم، وكنت أصلي لأجل هذا. رسالتي هذه سأوجهها إلى الشيوخ، بما أنكم المسئولون كتابيًا عن الصحة الروحية للقطيع، ومع ذلك ليست لدي أية مخاوف من أن يتم المشاركة بهذه الرسالة على نطاق أوسع من هذا.

أنا مسرور للغاية لأجل الاستقرار والنمو اللَّذَيْن أنعم الله بهما عليكم بنعمته ككنيسة على مدار السنوات الخمس الماضية. وأشعر أن هذا يرجع بدرجة كبيرة إلى وجود شيوخ أمناء وملتزمين، وبالأخص إلى التزام «زين» بالوعظ السليم والكتابي. وفيما تقتربون من هذه الفترة الانتقالية الصعبة، لدي لكم بضعة أفكار تخص ما يجب أن تبحثوا عنه في أي راعٍ. ولكن لاحظوا هذا جيدًا، أن الالتزام بالعلامات التسع التي أنوي أن أضعها هنا لن يضمن لكم أن يكون هذا الشخص راعيًا صالحًا، لكني أشعر أيضًا أن غياب أي من هذه العلامات سيشكل نقصًا يؤثر

على الكنيسة سلبيًا ببطء لكن على نحو تراكمي. وهكذا سأعتبر جميع هذه العلامات أساسية، لكنها ليست كافية في ذاتها ومن ذاتها. على سبيل المثال، ربما يكون أتاكم شخص قد التزم بشدة بجميع هذه العلامات المترابطة، ومع ذلك لم يكن ببساطة يملك الموهبة أو الدعوة كي يكون راعيًا. وفي الحقيقة أثق أن هذا هو حال الغالبية العظمى من الأعضاء حاليًا في كنيسة نيو ميدوز. على الصعيد الآخر، ليكن رجل ما موهوبًا موهبة غير مسبوقة في مجال العلاقات الشخصية والتواصل، بل وملتزمًا تمامًا بسلطان كلمة الله وبممارسة الصلاة الشخصية، ومع ذلك يفتقر إلى واحدة أو اثنتين من الأمور التالي ذكرها، فأنا أثق حينئذ أن كنيسة نيو ميدوز مع الوقت ستصير دلوًا مثقوبًا، مثلها مثل الكثير جدًا من الكنائس اليوم، لا تحتفظ بالماء الحي أكثر من العالم الذي حولها. وأنا أخبركم بهذه الأشياء بعد الكثير من التفكير والصلاة، لأنها مع الأسف نادرًا ما تنال التقدير بين من يدَّعون كونهم مدعوين اليوم لأن يكونوا رعاة. وهكذا، كي أوجز حديثي، أقول إني لست أقدم لكم هنا قائمة فحص شاملة عما أظن أنكم ينبغي أن تبحثوا عنه في الراعي، فإن ما يحكم في هذا الاختيار يفوق هذا بكثير. لكني أقدم لكم قائمة بالسِّمات المطلوبة، ولكنها للأسف نادرة، التي أُصلِّي لله كي تثقوا أنكم ستجدونها بفضله في الراعي الذي يُعيِّنه لكم.

السمة الأولى التي أود أن تتأكدوا من وجودها في أي شخص قد تفكرون في دعوته ليشغل منصب الشيخ، وبالأخص ليشغل منصب الراعي، هي التزامه بالوعظ التفسيري. هذه السمة تسلِّم بوجود إيمان بسلطان الكتاب المقدس، لكنها تتعلق بما هو أكثر من هذا. فأنا على قناعة بأن التزامًا بالوعظ التفسيري هو التزام بالاستماع إلى كلمة الله. فإن وُجد لديكم راعٍ يقبل بسرور سلطان كلمة الله، ومع ذلك لا يعظ (سواء عمدًا أو سهوًا) عمليًا وعظًا تفسيريًا، فهو إذن لن يعظ قط بأكثر مما يَعلَمه بالفعل. فحين يتناول أحدهم جزءًا من كلمة الله، ثم يُحرِّض الجماعة بشأن موضوع هام، لكن لا يعظ حقًا فكرة ذلك النص، حينئذ سينحصر السامعون

في الاستماع من الكتاب المقدس إلى ما كانوا يَعلَمونه قبل بداية اقترابهم من هذا النص. في التزامنا بالوعظ من الكتاب المقدس في سياقه، وشرحه شرحًا تفسيريًا، نجعل من موضوع النص موضوع رسالتنا، حينئذ نستمع من الله إلى تلك الأشياء التي لم نكن ننوي سماعها منذ البداية. وبدءًا من الدعوة الأولى إلى التوبة، إلى آخر شيء بكَّتنا عليه الروح القدس، يكمن خلاصنا بكامله في الاستماع إلى الله على نحو لم نكن لنخمنه قط قبل أن نستمع إليه. فأن تضع مسئولية الإشراف الروحي على القطيع على عاتق رجل ما لا يُبدي عمليًا التزامًا بالاستماع إلى كلمة الله وبتعليمها، فهو على أقل تقدير كوضع عائق، أو على الأغلب تغلق نمو الكنيسة بغطاء فلا تصل إلى أعلى من مستوى الراعي. وهكذا فإن الكنيسة شيئًا فشيئًا ستصير مشابهة لفكر الراعي، وليس لفكر الله.

أما السمة الثانية التي أرجو أن تطالبوا بها في أي شخص قد تدعونه لشغل منصب الشيخ هو أن يكون سليمًا في نظامه اللاهوتي بكامله. وهذا يعني أن يكون ما صار يُطلَق عليه مُصلحًا (reformed). إن سوء فهم الراعي لعقائد أساسية مثل الاختيار (هل قضية خلاصنا تتعلق برمتها بالله أم بنا؟)، وطبيعة الإنسان (هل البشر في الأساس صالحون أم أشرار؟ هل يحتاجون للتشجيع وتعزيز احترامهم لذواتهم فحسب، أم إلى الغفران والحياة الجديدة؟)؛ وطبيعة عمل المسيح على الصليب (هل أتاح المسيح لنا مجرد خيار؟ أم كان هو بديلنا؟)، وطبيعة الاهتداء (المزيد عن هذا ستجدونه لاحقًا بشيء من التفصيل)؛ واليقين الذي يمكن أن يكون لدينا بشأن عناية الله المستمرة بنا المبنية في الأساس على صفاته وليس على صفاتنا؛ فهذا ليس أمرًا بسيطًا نضحك ونتحدث عنه في أوقات الراحة في كلية اللاهوت، بل هو أمر ذو أهمية حقيقية من حيث الأمانة تجاه المكتوب، ومن حيث قضايا راعوية حقيقية تنشأ باستمرار. لأي مؤمن، ولكن بالأخص لأي شيخ، تُعد مقاومته لفكرة سيادة الله الأساسية على كل الحياة بينما يمارس المسيحية، كالعبث مع الوثنية المتدينة، أي بمثابة تعميد قلب لا يزال غير مؤمن من عدة نواحي، أو الإعلاء من شخص

ربما يكون غير راغب على الإطلاق أن يؤمن بالله ووضعه في مكانة النموذج أو القدوة. في زمن تطالبنا فيه ثقافتنا بأن نحوِّل الكرازة إلى دعاية، ونفسر عمل الروح على أنه تسويق، وفي زمن حيث يتم كثيرًا تصوير الله في الكنائس على صورة الإنسان، أود أن أكون حريصًا على نحو خاص أن أجد رجلًا لديه فهم كتابي واختباري لسيادة الله.

والسمة الثالثة التي لا بد أن يتميز بها أي شيخ يريد أن يكون فعالًا في قيادة الكنيسة هي فهم كتابي للإنجيل. ويعرض جي. آي. باكر بصورة رائعة العلاقة بين السمة السابقة وهذه السمة في المقدمة التي كتبها لكتاب جون أوين بعنوان: "The Death of Death in the Death of Christ" (موت الموت في موت المسيح). وإن لم تكونوا قد قرأتموها مؤخرًا، اقرأوها الآن بينما أنتم تُصلون وتبحثون عن راعٍ جديد. فأن تحب الإنجيل يعني أن تحب الحق، أي إعلان الله عن نفسه، وعن حاجتنا، وعن سد هذه الحاجة في المسيح، وعن مسئوليتنا. فإن تقديم الإنجيل باعتباره مجرد شيء إضافي وتكميلي يمنح غير المؤمنين شيئًا يرغبون فيه بالطبيعة (مثل الفرح، والسلام، والسعادة، والإنجاز، واحترام الذات، والمحبة) هو أمر صحيح جزئيًا، لكن فقط جزئيًا. وكما يقول باكر: «إن تَخَفِّي أنصاف الحقائق في صورة الحق الكامل يجعلها غير صحيحة تمامًا». إننا نحتاج في الأساس إلى الغفران، وإلى الحياة الروحية. وتقديم الإنجيل على نحو أقل جذرية من هذا هو كالسعي للحصول على اهتداءات زائفة، وعضوية كنسية لا معنى لها، وكلاهما سيزيد من صعوبة الكرازة للعالم من حولنا.

السمة الرابعة التي لا بد أن نطالب أي شيخ بها هي فهم كتابي للاهتداء. إن كان الاهتداء يقدَّم في الأساس على أنه شيء نقوم به، وليس شيئًا يفعله الله، فحينئذ نكون قد أسأنا فهمه. ومع أن الاهتداء يتضمن بالتأكيد تعهدًا صادقًا، وقرارًا واعيًا، لكنه يفوق كل هذا. كلمة الله واضحة في تعليمها بأننا لسنا جميعنا مرتحلين باتجاه الله، البعض منا قد وجدوا الطريق، بينما لا يزال آخرون يبحثون. بل في المقابل، تُعلم

كلمة الله بأننا نحتاج إلى أن تُستبدل قلوبنا، وتتغير أذهاننا وتتجدد، وتُمنح أرواحنا حياة. ولا يمكننا أن نفعل شيئًا من هذا. يمكننا أن نتعهد، لكننا لا بد أن نكون مخَلَّصين بالفعل. فالتغيير الذي يحتاجه كل إنسان، بغض النظر عما نبدو عليه من الخارج، هو تغيير جذري تمامًا، عميق جدًا وقريب للغاية من الأصل، حتى أن الله وحده هو من يمكنه القيام به. نحن في حاجة إلى الله كي يغيرنا ويجددنا. أتذكر الآن قصة سبرجن أنه إذ كان يتجول في لندن، جاءه رجل سكير، واستند إلى عمود إنارة بالقرب منه وقال له: «سيد سبرجن، أنا واحد ممن اهتدوا على يديك». حينئذ أجابه سبرجن قائلًا: «حسنًا، حتمًا أنك أحد المهتدين على يدي، لكنك بالتأكيد لست أحد المهتدين إلى الرب!» إن الكنائس الأمريكية، والكنائس المعمدانية الجنوبية، تعج بمن قطعوا عهودًا صادقة على أنفسهم في مرحلة ما من حياتهم، لكنهم كما يتبرهن لم يختبروا التغيير الجذري الذي يطلق عليه الكتاب المقدس الاهتداء أو التجديد. والنتيجة، وفقًا لدراسة حديثة، هي معدل طلاق يزيد عن المعدل القومي بنسبة ٥٠ بالمئة. والسبب في هذا، على الأقل جزئيًا، يرجع إلى الوعظ غير الكتابي عن الاهتداء، الذي يقدمه الآلاف من الرعاة المعمدانيين الجنوبيين. أكرر، إن لم تلتزموا بالعلامات الثلاث الأولى المذكورة سابقًا، فلن يدهشني أن تسيئوا تطبيق هذه العلامة أيضًا*.

السمة الخامسة التي لا بد أن يتسم بها أي شخص تأتمنونه على مسئولية روحية تخص التعليم (الذي لا بد أن يكون جميع الشيوخ قادرين على تقديمه، ٢تيموثاوس ٢: ٢) هي الفهم الكتابي للكرازة. إن كان ذهنكم قد تشكَّل وفقًا للكتاب المقدس فيما يخص الله، والإنجيل، واحتياج البشرية، والاهتداء، إذن سيترتب على هذا بالطبيعة فهم صحيح للكرازة. إن الكرازة بالمعنى الكتابي هي تقديم

* [أرجو ألا تسيئوا فهمي وكأني أُصر على وجود اختبار اهتداء وتجديد حار عاطفيًا في مرحلة معينة، بل ما أُصر عليه هو الحق اللاهوتي الذي يتضمن التجديد والاهتداء، وليس اختبارًا معينًا له. فإننا نعلم الشجرة من ثمارها].

البشارة مجانًا، متَّكلين على الله لإحداث التجديد والاهتداء. وأية وسيلة نحاول بها أن نُحدِث ولادات قسرًا ستكون بالفاعلية ذاتها التي بها حاول حزقيال بنفسه جمع العظام اليابسة معًا. النتيجة ستكون مشابهة. أيضًا إن فهمنا الاهتداء على أنه مجرد تعهد صادق عند نقطة ما، فإننا إذن في حاجة إلى أن نُحضر الجميع إلى تلك النقطة بأية وسيلة ممكنة. ولكن بحسب الفكر الكتابي، في حين ينبغي أن نبدي اهتمامًا، ونتوسل، ونُقنِع، يبقى واجبنا الأول هو أن نكون أمناء تجاه الالتزام الذي أوكلنا الله عليه، وهو أن نقدم البشارة التي أعطاها لنا. الله هو من سيُحدث الاهتداء من ذلك. وإن وُجد تضارب لا يستهان به بين العضوية في كنيسة راعٍ ما، وبين الحضور الفعلي في الكنيسة، فإني بالطبيعة سأتساءل عما يعرفه أولئك عن الاهتداء، وأيضًا عن نوع الكرازة التي مارسوها كي ينشئوا هذا العدد الضخم من البشر غير المنخرطين في حياة الكنيسة، ومع ذلك هم متيقنون من خلاصهم، بمباركة الكنيسة. يمكنني أن أقدم لكم مراجع تخص كل فكرة من هذه الأفكار، لكني لن أفعل هذا، مفترضًا أنكم تعلمون بالفعل الكتب التي سأقترحها. في سلسلة من الخطابات الكرازية التي قمت بها في شهر فبراير الماضي بالجامعة هنا، استنتجت أن الثلاثة أشياء التي لا بد أن أخبر بها الناس بشأن القرار الذي لا بد أن يتخذوه تجاوبًا مع رسالة الإنجيل (الله، الإنسان، المسيح، التجاوب)، هي أن هذا القرار مكلف (ولهذا لا بد من دراسته بعناية)، ومُلح (ولهذا لا بد أن يتم اتخاذه)، وهو أيضًا يستحق العناء (ولهذا لا بد من اتخاذه). هذا هو التوازن الذي يجب أن أجاهد للوصول إليه في كرازتي.

سادسًا، تباعًا لما ذكرته سابقًا، أطالب بفهم كتابي لعضوية الكنيسة. للأسف الشديد، إن تخميني هو أن معظم الرعاة المعمدانيين الجنوبيين يفتخرون بالستة آلاف عضو المُسَجّلين في كنيستهم أكثر من خجلهم من أن ثمانمئة فقط هم الذين يحضرون الكنيسة. إن الأعداد المكتوبة يمكن أن تصير أصنامًا معبودة بالسهولة ذاتها، بل وأكثر من التماثيل المنحوتة. لكن الله هو من سيمتحن عملنا، وسيزنه،

بحسب ظني، لكنه لن يُحصيه. إن كانت الكنيسة بناءً، فلا بد أن نكون حجارة فيه. وإن كانت الكنيسة جسدًا، فإننا إذن أعضاؤه. وإن كنا أهل بيت الإيمان، فإن هذا يفترض أننا جزء من ذلك البيت. إن الأغنام تتواجد في القطيع، والأغصان في الكرمة. انسَ للحظة الأشياء المعتادة قصيرة الأجل، كالبطاقات البيضاء التي تحمل أسماء، والقوائم على ملفات الحاسوب. ذلك لأننا إن كنا كتابيًا مؤمنين، فعلينا أن نكون أعضاء في كنيسة، وعلينا ألا نترك اجتماعنا (عبرانيين ١٠: ٢٥). فالأمر ليس مجرد تسجيل لتصريح يجب أن ندلي به، بل هو انعكاس لالتزام حي وحيوي.

سابعًا، وربما الأكثر صعوبة في حالتكم، سأطالب أن يفهم الشخص ممارسة العهد الجديد المتعلقة بوجود تعدد شيوخ في الكنيسة وأن يكون على قناعة بها (انظر أعمال ١٤: ٢٣، عادة بولس في الإشارة إلى عدد من الشيوخ في أية كنيسة محلية واحدة). أنا على قناعة تامة بهذا باعتباره ممارسة خاصة بالعهد الجديد، وباعتباره لازمًا بشدة وبخاصة في الكنيسة آنذاك وأيضًا في الوقت الحالي في غياب الرسل. هذا لا يعني عدم وجود دور متميز للراعي (قوموا بالبحث في الشواهد المرتبطة بكلمة «يكرز» و «مبشِّرين»)، لكنه أيضًا وفي الأساس جزء من المشيخية. وهذا يعني أن القرارات التي تتعلق بالكنيسة، ولا تقع في دائرة اهتمام الكنيسة بكاملها، لا بد ألا تقع على عاتق الراعي وحده ليتخذها بل على الشيوخ ككل. ومع أن هذا متعب ومزعج من بعض النواحي (كما أنا متيقن أنكم تعلمون جيدًا)، إلا أن له فوائد ضخمة في تعزيز وتكميل مواهب الراعي، بمنحه تأييدًا ودعمًا جيدًا في الكنيسة، ومن نواحي أخرى كثيرة لا يسعنا أن نذكرها الآن. على أية حال، يجب أن يكون هذا واضحًا في أثناء دعوة الراعي، فإن كان معمدانيًا جنوبيًا أصيلًا، فسيفترض أن الشيوخ هم إما شمامسة أو أنهم موجودون فقط لمساعدته على فعل ما يريده. وربما أيضًا لا يُقدر جيدًا حقيقة أنكم تدعونه في الأساس ليكون واحدًا من الشيوخ، وكي يكون فيما بينكم الراعي، أي الشيخ المعلم الرئيسي. أنا على

قناعة أنه إن أدرك غالبية الرعاة هذه الفكرة، سيقفزون فرحًا بها نظرًا للحمل الثقيل الذي ستزيله عن كاهلهم. وأنا قلق أيضًا من أن كثيرين ممن لن يدركوا هذه الفكرة، لن يفرحوا، وهذا بسبب فهمهم غير الكتابي لدورهم، أو ما هو أسوأ من هذا، بسبب مركزية الذات غير المقدسة.

القضية الثامنة التي أود أن يتم استيعابها بوضوح، وأن يصدق عليها أي شيخ جديد في الكنيسة، هي قضية التأديب الكنسي. تعد هذه أحد الأمور التي تضفي معنى على كونك عضوًا في الكنيسة، والتي مارستها الكنيسة بشكل عام وعلى نطاق واسع، ومع ذلك كادت أن تتلاشى بالكامل من حياة الكنيسة المعمدانية الجنوبية في الأجيال الثلاثة الأخيرة. إن كلمات يسوع في متى ١٨ وكلمات بولس في ١كورنثوس ٥: ٤-١٣ (إلى جانب نصوص أخرى) تُبيِّن بوضوح أن الكنيسة ينبغي أن تمارس الحكم بداخلها، لأهداف إصلاحية لا انتقامية. فإن لم نتمكن من قول ما لا ينبغي أن يمارسه المؤمن، فإننا أيضًا لا يمكننا أن نتحدث عما ينبغي أن يمارسه. وأحد مخاوفي بشأن برامج التلمذة الكنسية هي أنها، مرة أخرى، تشبه سكب الماء داخل دلو مثقوب. في حين هذه القضية مشحونة بمشكلات تختص بالتطبيق الراعوي لها، إلا أن الحياة المسيحية بكاملها أيضًا مشحونة بهذا، ولا ينبغي البتة أن يُستخدم هذا عذرًا لعدم ممارسة أي منهما. يجب أن يكون لعضويتك في الكنيسة مغزى، ليس للتفاخر بل لأجل اسم الله.

أخيرًا، القضية التاسعة التي أطالب الشيخ بفهمها هي دور الكنيسة في تعزيز تلمذة المؤمن ونموه. كما ذكرت سابقًا، حين لا تمارس الكنيسة التأديب، فإن أحد العواقب غير المتعمدة هي زيادة الصعوبة أمام هذه الكنيسة في تنمية وتنشئة تلاميذ. ومن أسباب ذلك هي أن النماذج تصير غير واضحة، ومُشوشة. إن الكنيسة ملزمة بأن تكون وسيلة لنمو شعب الله في النعمة، ولكن إن صارت في المقابل مكانًا لتلقين أفكار الراعي فقط، أو التشكيك في الله وليس عبادته، وتخفيف الإنجيل وتحريف الكرازة، وتصير العضوية الكنسية بلا معنى، ويُسمَح لهالة أرضية من النور أن

تحيط بالراعي، لا يمكن لأحد أن يتوقع تماسك مثل هذه الجماعة أو بناء أعضائها بعضُهُم بعضًا، ناهيك عن تمجيدهم لله. حين يمكننا بكل صدق أن نفترض أن من هم بداخل الكنيسة متجددون، وأن هؤلاء المتجددين ملتزمون نحو الكنيسة، حينئذ يمكن ألا تصير الصور التي يعرضها العهد الجديد للكنيسة مجرد عظات جيدة، بل يمكن أن تدهش وتثير آخرين معًا. تتضمن العلاقات في العالم التزامًا، وطبعًا، لن نتوقع أن يقل الأمر عن هذا المستوى في الكنيسة؟

حسنًا أيها الأحباء، يمكنني أن أستطرد في الحديث أكثر من هذا، فقد صبرتم على القراءة حتى هذا الحد. ولا أقصد أن أفترض أنكم لا تعرفون بالفعل كل ما سبق، وأنكم لستم أنفسكم ملتزمون به، إلا أني أهتم كثيرًا بكنيسة نيو ميدوز، وأشعر نحوها بإحساس ما من الواجب في قلبي وفي صلاتي. وظننت أنه من الملائم أن أُعبِّر عن ذلك كتابةً. أنا لا أملك حق التصويت في المشيخية أو في الكنيسة (ولا ينبغي لي ذلك!) لكني أردت أن أكتب هذا راجيًا أن يكون نافعًا في بعض نقاشاتكم، وصلواتكم، وتقييماتكم. واعلموا جيدًا أن الأهم من إرسال هذه الرسالة، هو أني سأنضم يوميًا إليكم في الصلاة لأجل الكنيسة، وخاصة في هذه الفترة الحرجة.

أخوكم في المسيح

مـارك

ملحق ٤

أدوية من الخزانة

في السنوات التي تلت كتابتي للطبعة الأولى من هذا الكتاب، أتيحت العديد من المصادر المتنوعة، البعض منها عن طريق هيئة "9 Marks" (وهي هيئة مخصصة لمساعدة الرعاة وقادة الكنائس على التفكير كتابيًا بشأن الكنيسة). كما يوجد مصدران جديدان نرجو أن يكونا نافعين بصورة خاصة في الكنائس وهما: دليل الدراسة عن الكنائس الصحية، وأيضًا سلسلة لقاءات متلفزة بعنوان: Church Essentials: What Is a Healthy Church. أما دليل الدراسة عن الكنيسة الصحية (Crossway, 2012)، فهي سلسلة من عشرة كتيبات موجزة (ستون صفحة)، كل منها يحتوي على أحد عظاتي بالإضافة إلى أسئلة للمناقشات الجماعية (كتبها Bobby Jamieson). هذه الكتب يمكن استخدامها كسلسلة أو كدراسات منفصلة لأي علامة من هذه العلامات التسع. أما سلسلة اللقاءات المتلفزة بعنوان Church Essentials فهي سلسلة من اللقاءات معي، يصاحبها دليل دراسي (Lifeway, 2012). كما قد قمت بكتابة ثلاثة كتب أخرى عن الكنيسة منذ صدور الطبعة السابقة لكتاب «٩ علامات للكنيسة الصحيحة»، وهي:

The Church: The Gospel Made Visible (B&H Academic, 2012)

What is a Healthy Church? (Crossway, 2007)

12 Challenges Churches Face (Crossway, 2008).

وفي حين لا أتفق ما كل ما هو موجود في كل كتاب في القائمة التالية، إلا أنه فيما يلي بعض الاقتراحات في كل من الجوانب التي تم تناولها في هذا الكتاب.

العلامة الأولى: الوعظ التفسيري

Mark Dever, ed., Preaching the Cross (Wheaton, IL: Crossway, 2007).

Mark Dever and Greg Gilbert, Preach: Theology Meets Practice (Nashville, TN: B&H, 2012).

Graeme Goldsworthy, Preaching the Whole Bible as Christian Scripture (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2000).

Jonathan Leeman, Reverberation: How God's Word Brings Light, Freedom, and Action to His People (Chicago: Moody, 2011).

D. Martyn Lloyd-Jones, Preaching & Preachers, 40th Anniversary Edition (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2011).

John Piper, The Supremacy of God in Preaching (Grand Rapids, MI: Baker, 1990).

John R. W. Stott, Between Two Worlds (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994).

العلامة الثانية: اللاهوت الكتابي

D. A. Carson, The Difficult Doctrine of the Love of God (Wheaton, IL: Crossway, 2000).

Mark Dever, Promises Kept: The Message of the New Testament (Wheaton, IL: Crossway, 2005).

Mark Dever, Promises Made: The Message of the Old Testament (Wheaton, IL: Crossway, 2006).

Mark Dever, What Does God Want of Us Anyway? A Quick Overview of the Whole Bible (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

Graeme Goldsworthy, According to Plan: The Unfolding Revelation of God in the Bible (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2002).

Michael Lawrence, Biblical Theology in the Life of the Church: A Guide for

Ministry (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

J. I. Packer, Knowing God (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1993).

John Piper, The Pleasures of God (Portland, OR: Multnomah, 1991).

R. C. Sproul, The Holiness of God, revised and expanded (Carol Stream, IL: Tyndale, 1998).

العلامة الثالثة: الإنجيل

Matt Chandler, The Explicit Gospel (Wheaton, IL: Crossway, 2012).

John Cheeseman, Saving Grace (Carlisle, PA: Banner of Truth, 2000).

Mark Dever, ed., Proclaiming a Cross-Centered Theology (Wheaton, IL: Crossway, 2009).

Mark Dever and Michael Lawrence, It Is Well: Expositions on Substitutionary Atonement (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

Kevin DeYoung and Greg Gilbert, What Is the Mission of the Church? Making Sense of Social Justice, Shalom, and the Great Commission (Wheaton, IL: Crossway, 2011).

Timothy George, Theology of the Reformers (Nashville, TN: Broadman Press, 1988).

Greg Gilbert, What Is the Gospel? (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

David W. Jones and Russell S. Woodbridge, Health, Wealth & Happiness: Has the Prosperity Gospel Overshadowed the Gospel of Christ? (Grand Rapids, MI: Kregel, 2011).

Martyn Lloyd-Jones, The Plight of Man and the Power of God (Fearn, Ross-shire, UK: Christian Focus, 2009).

Martin Luther, Bondage of the Will (Ventura, CA: Revell, 1990).

John MacArthur, The Gospel According to Jesus (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994).

C. J. Mahaney, The Cross Centered Life: Keeping the Gospel the Main Thing (Portland, OR: Multnomah, 2002).

Iain Murray, Evangelicalism Divided: A Record of Crucial Change in the Years 1950 to 2000 (Carlisle, PA: Banner of Truth, 2000).

J. I. Packer and Mark Dever, In My Place Condemned He Stood: Celebrating the Glory of the Atonement (Wheaton, IL: Crossway, 2007).

Michael Reeves, The Unquenchable Flame: Discovering the Heart of the Reforma¬tion (Nashville, TN: B&H, 2009).

Thomas Scott, The Articles of the Synod of Dort (repr., Harrisonburg, VA: Sprinkle, 1993).

John Stott, Basic Christianity (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1986).

العلامة الرابعة: فهم كتابي للاهتداء

Jonathan Edwards, Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God (Temecula, CA: Reprint Services Corp., 1992). See also Archie Parrish and R. C. Sproul, The Spirit of Revival (Wheaton, IL: Crossway, 2000), which contains the complete modernized text of Edwards's The Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God.

Paul Helm, Beginnings: Word and Spirit in Conversion (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1988).

John MacArthur, The Gospel According to Jesus (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994).

Mike McKinley, Am I Really a Christian? (Wheaton, IL: Crossway, 2011).

John Piper, Finally Alive (Fearn, Ross-shire, UK: Christian Focus, 2009).

Ernest C. Reisinger, The Carnal Christian (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1991).

David Wells, Turning to God: Reclaiming Christian Conversion as Unique, Necessary, and Supernatural (Grand Rapids, MI: Baker, 1989).

Donald S. Whitney, How Can I Be Sure I'm a Christian? What the Bible Says about Assurance of Salvation (Colorado Springs, CO: NavPress, 1994).

Donald S. Whitney, Ten Questions to Diagnose Your Spiritual Life (Colorado Springs, CO: NavPress, 2002).

العلامة الخامسة: فهم كتابي للكرازة

Mark Dever, The Gospel and Personal Evangelism (Wheaton, IL: Crossway, 2007).

Will Metzger, Tell the Truth (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, rev. 2002).

Iain Murray, Revival and Revivalism (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1994).

J. I. Packer, Evangelism and the Sovereignty of God (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1991).

Philip Graham Ryken, City on a Hill: Reclaiming the Biblical Pattern for the Church in the 21st Century (Chicago: Moody, 2003).

J. Mack Stiles, Marks of the Messenger: Knowing, Living and Speaking the Gospel (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2010).

J. Mack Stiles, Speaking of Jesus: How to Tell Your Friends the Best News They Will Ever Hear (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1995).

العلامة السادسة: فهم كتابي لعضوية الكنيسة

Thabiti Anyabwile, What Is a Healthy Church Member? (Wheaton, IL: Cross-way, 2008).

Mark Dever, A Display of God’s Glory (Washington, DC: 9Marks, 2001).

Mark Dever, ed., Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life: Some Historic Baptist Documents (Washington, DC: 9Marks, 2000).

Mark Dever, “Regaining Meaningful Church Membership,” in Restoring Integrity in Baptist Churches, ed. Thomas White, et al. (Grand Rapids, MI: Kregel, 2008), 45–61.

Josh Harris, Stop Dating the Church! (Portland, OR: Multnomah, 2004).

Jonathan Leeman, The Church and the Surprising Offense of God’s Love: Reintroducing the Doctrines of Church Membership and Discipline (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

Jonathan Leeman, Church Membership: How the World Knows Who Represents Jesus (Wheaton, IL: Crossway, 2012).

Donald S. Whitney, Spiritual Disciplines within the Church (Chicago: Moody, 1996).

العلامة السابعة: التأديب الكنسي الكتابي

Jay E. Adams, Handbook of Church Discipline (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1986).

Mark Dever, ed., Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life: Some Historic Baptist Documents (Washington, DC: 9Marks, 2000).

Jonathan Leeman, The Church and the Surprising Offense of God's Love: Reintroducing the Doctrines of Church Membership and Discipline (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

Jonathan Leeman, Church Discipline: How the Church Protects the Name of Jesus (Wheaton, IL: Crossway, 2012).

Gregory A. Wills, Democratic Religion (New York: Oxford University Press, 1996).

Daniel Wray, Biblical Church Discipline (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1991).

العلامة الثامنة: اهتمام بالتلمذة والنمو

Robert Coleman, The Master Plan of Evangelism (Grand Rapids, MI: Revell, 1994).

Kris Lundgaard, The Enemy Within (Phillipsburg, NJ: P&R, 1998).

C. J. Mahaney, Humility (Sisters, OR: Multnomah, 2005).

Colin Marshall and Tony Payne, The Trellis and the Vine: The Ministry Mind-Shift That Changes Everything (Kingsford, NSW, Australia: Matthias Media, 2009).

John Piper, Don't Waste Your Life (Wheaton, IL: Crossway, 2003).

John Piper, Future Grace (Portland, OR: Multnomah, 1998).

J. C. Ryle, Holiness (Moscow, ID: Charles Nolan, 2001).

Richard Sibbes, The Bruised Reed (orig. 1630; repr. Carlisle, PA: Banner of Truth, 1998).

Paul Tripp, Instruments in the Redeemer’s Hands (Phillipsburg, NJ: P&R, 2002).

Paul Tripp, War of Words (Phillipsburg, NJ: P&R, 2000).

Edward Welch, When People Are Big and God Is Small (Phillipsburg, NJ: P&R, 1997).

Donald S. Whitney, Spiritual Disciplines for the Christian Life (Colorado Springs, CO: NavPress, 1997).

Donald S. Whitney, Spiritual Disciplines within the Church (Chicago: Moody, 1996).

أحد أفضل المصادر المعاصرة للاطلاع على مقالات وكتب حول المشورة الكتابية هو الموقع الإليكتروني للمشورة المسيحية والمؤسسة التعليمية:

www.ccef.org

العلامة التاسعة: القيادة الكنسية الكتابية

عن الشيوخ:

Thabiti Anyabwile, Finding Faithful Elders and Deacons (Wheaton, IL: Cross-way, 2012).

Tom Ascol, ed., Dear Timothy (Cape Coral, FL: Founders, 2004).

Charles Bridges, The Christian Ministry (1830; repr. Carlisle, PA: Banner of Truth, 1959).

Mark Dever, A Display of God’s Glory, 2nd ed. (Washington, DC: 9Marks, 2001).

Mark Dever, By Whose Authority? Elders in Baptist Life (Washington, DC: 9Marks, 2006).

Mark Dever and Paul Alexander, The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel (Wheaton, IL: Crossway, 2005).

David Dickson, The Elder and His Work (Phillipsburg, NJ: P&R, 2004).

Phil A. Newton, Elders in Congregational Life: A Model for Leadership in the Local Church (Grand Rapids, MI: Kregel, 2005).

John Piper, Biblical Eldership (Minneapolis: Desiring God Ministries, 1999).

Alexander Strauch, Biblical Eldership (Littleton, CO: Lewis and Roth, 1995).

عن الكنائس المحلية المستقلة (congregationalism)

Mark Dever, A Display of God’s Glory (Washington, DC: 9Marks, 2001).

Mark Dever, ed., Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life: Some Historic Baptist Documents (Washington, DC: 9Marks, 2000).

كتب أخرى لمارك ديڤير أصدرتها دار نشر كروسواي:

What Does God Want of Us Anyway? A Quick Overview of the Whole Bible.

It Is Well: Expositions on Substitutionary Atonement, with Michael Lawrence

Proclaiming a Cross-Centered Theology, with J. Ligon Duncan, R. Albert Mohler Jr., C. J. Mahaney

12 Challenges Churches Face

In My Place Condemned He Stood: Celebrating the Glory of the Atonement, with J. I. Packer

Preaching the Cross, with J. Ligon Duncan, R. Albert Mohler Jr., C. J. Mahaney

The Gospel and Personal Evangelism

What Is a Healthy Church?

The Message of the Old Testament: Promises Made

The Message of the New Testament: Promises Kept

The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel, with Paul Alexander

ملاحظـات

المقدمـة

1. The Complete Works of Richard Sibbes, D. D., ed. Alexander Balloch Grosart (Edinburg: J. Nichol, 1862-1864).
2. David Wells, God in the Wasteland: The Reality of Truth in a World of Fading Dreams (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1994), 213.
3. John Stott, Men With a Message (London: Longmans, 1954), 163-164. Reprinted in the United States as Basic Introduction to the New Testament (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1964).
4. Edmund Clowney, The Church (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1995), 101.
5. John Calvin, Institutes of the Christian Religion, ed. John T. Mcneill, trans. F. L. Battles (Philadelphia: Westminister, 1977), 4.2.3, 1045.

٦. يمكننا مقارنة هذا بكتابات لوثر المتنوعة عن الجوانب الذي ينبغي وضعها في الاعتبار لتكوين كنيسة صحيحة حقيقية. انظر على سبيل المثال مؤلفه بعنوان: "Against Hanswurst" الذي يعد مقالًا يدافع عن حركة الإصلاح ضد الهجوم عليها من قبل هنري، دوق برونشويج/فولفنبوتل، وفيه يقدم لوثر ما يعتبره الصفات العشر للكنائس "الوفية تجاه الكنائس القديمة الحقيقية".

Martin Luther, “Against Hanswurst”. in Church and Ministry III (ed. Eric W. Gritsch; vol. 41 of Luther’s Works, American Edition, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann; Philadelphia: Fortress, 1966), 194-98.

7. Philip Melanchthon, Loci Communes, trans. J. A. O. Preus (St. Louis: Concordia, 1992), 137.
8. Gerald Bray, ed., Documents of the English Reformation (Cambridge, UK: james Clarke, 1994), 296.
9. Cf. Calvin, Institutes, 4.1.7, 1025-26.
10. For an example of a modern popular treatment, see D. Martyn Lloyd Jones, The Church and the last Things (Wheaton, IL: Crossway, 1998), 13-18.
11. See A. C. Cochrane, ed., Reformed Confessions of the Sixteenth Century (Philadelphia: Westminister, 1966); and the Scottish Confession (1560), Article 18: “The Trew Preaching of the Worde of God…the right administration of the sacraments of Christ Jesus…Ecclesiastical discipline uprightlie ministred.” See James Bulloch, trans., The Scots Confession of 1560 (Edinburgh: St. Andrews College Press, 1993).
12. Clowney, Church, 101.

في الصفحات من ٩٩-١١٥، يوجز كلوني العلامات المميزة للكنيسة التي تم تناولها من الجهة الكتابية والجهة التاريخية، وأيضًا في ضوء التساؤلات الحالية عن كيفية التمييز بين الكنيسة وبين المنظمات التي تعمل في الخدمة إلى جانب الكنيسة.

13. Carl E. Braaten. "The Gospel for a Neopagan Culture," In Either/Or: The Gospel or Neopaganism, ed. Carl E, Braaten and Robert W. Jenson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1995), 19-20.

14. Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 49. For one interesting example of such unintentional secularization, see Samuel S. Hill, "Forum: Southern Religion," Religion and American Culture 8, no. 2 (Summer 1998): 160-61.

15. Richard A. Muller, The Study of Theology (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1991), xiii.

16. Braaten, "The Gospel for a Neopagan Culture," 19.

ويعرب مقال لاحق في السلسلة ذاتها عن مخاوف مشابهة: "إن الكنيسة تُغوى بأن تكون مواكبة لأناس هذا المجتمع عن طريق استخدام ر غباتهم ومعاييرهم لا رغبات ومعايير الكنيسة. وهكذا تصير الكرازة مسوقة باحتياجات السوق أو بعقلية تتمحور حول المستهلك. وهكذا يمكن للكنيسة أن "تسد احتياجات" الناس بحسب تعريفهم هم لهذه الاحتياجات. وهكذا فمن لديهم خبرة ضئيلة في شئون الكنيسة أو لا يملكون خبرة حديثة يضعون تقييمهم للكنيسة، وتظل الكنيسة تصارع زتجاهد لاستيفاء توقعاتهم".

James R. Crumley, "Setting the Church's Agenda". In Braaten and jenson, Either / Or, 119.

17. John Broadus, "A Catechism of Bible Teaching," in Tom. J. Nettles, Teaching Truth, Training Hearts: The Study of catechisms In Baptist Life (Amityville, NY: Calvary, 1998), 208.

18. Mark Ross. Unpublished sermon notes.

19. My summary from his comments at a conference in Wheaton, Maryland, October 9, 1997.

20. David Hilborn, Picking Up the Pieces: Can Evangelicals Adapt to Contemporary Culture? (London: Hodder and Stoughton, 1997), esp. 148-62.

العلامة الأولى:

1. See Mark Dever and Greg Gilbert, Oreach: Theology Meets Practice (Nashville: B&H, 2012).

للاطلاع على تحذيرات جيدة بخصوص اساءة استخدام تفسيرات نصوص الكتاب المقدس المتتابعة، انظر:

Iain Murray, Archibald G. Brown (Carlisle, PA: Banner of Truth, 2011), 353-63.

ويريد موراي التأكد من عدم استبدال الوعظ المثير، والشديد التأثير، والمغير بالتزام خاطئ لنوع ما من إلقاء محاضرة، والذي قد يميز "الوعظ التفسيري".

2. Martin Luther, Sermons I (ed. John W. Doberstein; vol. 51 of Luther's Works, American Edition, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann; Philadelphia: Fortress, 1966), 77.
3. Cited in A. T. Robertson, New Testament Revelation (Matthew – Revelation): Notes on Lectures of A. T. Robertson in the Southern Baptist Theological Seminary (Louisville, KY: no pub., 1921).
4. John Chrysostom, On Wealth and Poverty (Yonkers, NY: St. Valdimir's Seminary Press, 1999), 58.
5. C. E. B. Cranfield, On Romans (Edinburgh, UK: T & T Clarke, 1998), 69.
6. Hughes Oliphant Old, The Reading and Preaching of the Scriptures in the worship of the Christian Church, vol. 7 (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2010), 557-58.
7. Cited by Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 59.

العلامة الثانية:

1. Karl R. Popper, The Open Society and Its Enemies (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1966).
2. C. S. Lewis, The Last Battle (New York: Macmillan, 1956), 183.

العلامة الثالثة:

1. Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 63.
2. Loretta Lynn, CNN interview, April 7, 1998.
3. See James Miller, The Passion of Michel Foucault (New York: Simon and Schuster, 1993), 375-85.
4. Westminster Confession of Faith, 2:2.
5. Recounted in Iain Murray, Archibald G. Brown (Carlisle, PA: Banner of Truth, 2011), 75-76.
6. Ibid.
7. J. C. Ryle, Holiness (Grand Rapids, MI: Baker, 1979), 204.

8. B. B. Warfield, The Divine Origin of the Bible, reprinted in The Works of Benjamin Warfield (Philadelphia: Presbyterian Board of Publication, 1991), 1.432.
9. Quoted in Newsweek (July 10, 1995), 8.
10. Fyodor Dostoyevsky, quoted in Jean Paul Sartre, Existentialism and Human Emotions, trans. Bernard Frechtman (New York: Philosophical Library, 1957), 22.
11. John Wesley, Inspiration Three (New Canaan, CT: Keats, 1973), 119.

العلامة الرابعة:

1. Robert W. Jenson, "The God-Wars," in Carl E. Braaten and Robert W. Jenson, eds., Either/Or: The Gospel or Neopaganism (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1995), 25.
2. The Trial of Joan of Arc, trans. Daniel Hobbins (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2007), 60-61.
3. C. H. Spurgeon, The Soul Winner (Grand rapids, MI: Eerdmans, 1963), 37.

يرجع الفضل إلى مايك جيلبرت سميث في إشارته للخطأ الذي ارتكبته في الطبعات السابقة من هذا الكتاب، فقد وصفت هذا باعتباره أمرًا حدث لسبرجن نفسه، بينما أن سبرجن قصه باعتباره حدث لرولاند هيل. والآن قد أصبحت مصدرًا لقصة زائفة عن سبرجن، وهذا أمر محبط بشدة لمن يرغب في أن يكون مؤرخًا!

4. Charles H. Spurgeon, "The Prayer of Jabez," The Metropolitan Tabernacle Pulpit (Pasadena, TX: Pilgrim, 1969), 17: 320
5. See O. C. S. Wallace, What Baptists believe: The New Hampshire Confession: An Exposition (Nashville, TN: The Sunday School Board of the Southern Baptist Convention, 1934)
6. A. W. Tozer, Men Who Met God, comp. and ed. Gerlad B. Smith (Camp Hill, PA: Christian Publications, 1986), 83.

العلامة الخامسة:

1. Will Metzger, Tell The Truth: The Whole Gospel to the Whole Person by Whole People (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1984).
2. J. Mack Stiles, Speaking of Jesus: How to Tell Your Friends the Best News They Will Ever Hear (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1995); Marks of a Messnger: Knowing, Living, and Speaking the Gospel (Downers Grove, IL: IVP Books, 2010).
3. Iain H. Murray, Revival and Revivalism (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1994).

4. J. I Packer, Evangelism and the Sovereignty of God (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1991).
5. Mark Dever, The Gospel and Personal Evangelism (Wheaton, IL: Crossway, 2007).
6. Donald McGavran, "The Dimensions of World Evangelization," in Let the Earth Hear His Voice, ed. J. D. Douglas (Minneapolis: World Wide, 1975), 109.
7. John Stott, "The Biblical Basis of Evangelism," in ibid., 69.
8. Ibid.
9. John Cheesman, et. Al., The Grace of God in the Gospel (Edinburgh: Banner of Truth, 1972), 119.
10. Ibid., 122
11. Joseph Bayly, The Gospel Blimp and Other Stories (Elgin, IL: David C. Cook, 1973), 11-12.
12. Robert Schuller, quoted in Milk & Honey Magazine (December 1997), 4.
13. C. S. Lovett, Soul-Winning Made Easy (LaHabra, CA: The Lockman Foundation, 1959), 17-18
14. Ibid., 50.
15. Charles H. Spurgeon, The Metropolitan Tabernacle Pulpit (Pasadena, TX: Pilgrim, 1974), 34: 115.

العلامة السادسة:

1. Don E. Eberly, Restoring the Good Society: A New Vision for Politics and Culture (Grand Rapids, MI: Baker, 1994), 38.
2. SBC 2011 Annual Church Profile. Thanks to Ed Stetzer for providing this information.
3. For more on the duties of church members, see the contributions by Benjamin Keach, Benjamin Griffith, the Charleston Association, Samuel Jones, W. B. Johnson, Joseph S. Baker, and Eleazer Savage in Mark Dever, ed., Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life: Some Historic Baptist Documents (Washington, DC: 9Marks, 2000), 65–69, 103–05, 125–26, 148–51, 221–22, 276–79, 510–11.
4. For more on church membership, see the May–June 2011 9Marks Journal, http:// www .9 marks .org /ejournal /church -membership -holding -body -together. See also John S. Hammett and Benjamin L. Merkle, eds., Those Who Must Give an Account: A Study of Church Membership and Church Discipline (Nashville, TN: B&H Academic, 2011).

5. Erickson, Christian Theology (2nd ed., Grand Rapids, MI: Baker, 1998), 1058. For a careful study of the Christian's corporate duties in Paul's epistles, see James Samra, Being Conformed to Christ in Community: A Study of Maturity, Maturation and the Local Church in the Undisputed Pauline Epistles (London; T&T Clark, 2006), esp. 133–70.
6. Samuel Jones, Treatise of Church Discipline in Dever, Polity, 150; cf. 2 Cor. 12:20; 1 Tim. 5:13; 6:4; James 4:11.
7. Jonathan Edwards, Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God (Temecula, CA: Reprint Services Corp., 1992). See also Archie Parrish and R. C. Sproul, The Spirit of Revival: Discovering the Wisdom of Jonathan Edwards (Wheaton, IL: Crossway, 2000), which contains the complete modernized text of Edwards's The Distinguishing Marks of a Work of the Spirit of God; and Mike McKinley, Am I Really a Christian? The Most Important Question You're Not Asking (Wheaton, IL: Crossway, 2011).
8. O. C. S. Wallace, What Baptists Believe: The New Hampshire Confession: An Exposition (Nashville, TN: The Sunday School Board of the Southern Baptist Convention, 1934), 89.
9. For more on how we apply these nine marks, see Mark Dever and Paul Alexander, The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel (Wheaton, IL: Crossway, 2005). We also sponsor a long-weekend workshop at our church three times a year called a Weekender. Church leaders interested in attending can go to http:// www .9 marks .org /events /what -weekender for more information.
10. Robert Bolt, A Man for All Seasons (New York: Random, 1990), 141.

العلامة السابعة:

1. Theron Brown and Hezekiah Butterworth, The Story of the Hymns and Tunes (New York: George H. Doran, 1923), 434.
2. Mark Dever and Paul Alexander, The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel (Wheaton, IL: Crossway, 2005).
3. Gregory A. Wills, Democratic Religion: Freedom, Authority, and Church Discipline in the Baptist South, 1785–1900 (New York: Oxford University Press, 1996).
4. John L. Dagg, Manual of Church Order (Harrisonburg, VA: Gano, 1982).
5. Mark Dever, ed., Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life: Some Historic Baptist Documents (Washington, DC: 9Marks, 2000).
6. Jonathan Leeman, Church Discipline: How the Church Protects the Name of Jesus (Wheaton, IL: Crossway, 2010); The Church and the Surprising Offense of God's

Love: Reintroducing the Doctrines of Church Membership and Discipline (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

7. H. E. Dana, A Manual of Ecclesiology (Kansas City, KS: Central Seminary Press, 1944), 244.
8. Wills, Democratic Religion, 32.
9. Ibid., 22.
10. Ibid., 10.
11. Ibid., 9.
12. Philip Schaff, The Creeds of Christendom: With a History and Critical Notes (Grand Rapids, MI: Baker, 1983), 419–20.
13. Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 38.

١٤. يختلف هذا الأمر عن راعي الكنيسة الذي تعهد باستعادة ممارسة التأديب الكنسي، ولكنه قرّر تأجيل البدء فيها حتى يُعلِّم الناس أولاً عن هذا الموضوع. انظر ملحق (٢) "'لا تفعلوا ذلك!' لماذا لا ينبغي أن تمارس التأديب الكنسي؟".

15. Wills, Democratic Religion, 33.
16. Dagg, Manual of Church Order, 274.

العلامة الثامنة:

١. منذ بضع سنوات، أجرت كنيسة Willow Creek Community دراسة مستقلة مثيرة، أيدت هذا الأمر، انظر:

2. Greg Hawkins and Cally Parkinson, Reveal (Barrington, IL: Willow Creek Resources, 2007).
3. Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 67.
4. John Newton, quoted in J. I. Packer, Knowing God (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1993), 251.
5. Guinness, Dining with the Devil, 38.
6. For more on our pastoral practices at the Capitol Hill Baptist Church, see Mark Dever and Paul Alexander, The Deliberate Church: Building Your Ministry on the Gospel (Wheaton, IL: Crossway, 2005), or come on a Weekender. See http:// www .9 marks .org /events /what -weekender.

العلامة التاسعة:

1. George Orwell, Animal Farm (New York: New American Library, 1963), 123.
2. Williston Walker, The Creeds and Platforms of Congregationalism (New York: Pilgrim, 1991), 217–18.
3. Os Guinness, Dining with the Devil: The Megachurch Movement Flirts with Modernity (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 49.
4. John Calvin, Commentary on the Epistles of Paul the Apostle to the Corinthians, trans. John Pringle (Grand Rapids, MI: Baker, 1981), 20:442–43.
5. John Keegan, The Mask of Command (New York: Viking, 1987).
6. Eugene Kennedy and Sara Charles, Authority: The Most Misunderstood Idea in America (New York: Free Press, 1997), 2.
7. Ibid., 35.
8. Ibid., 30.

ملحـــق (٢):

1. For a fuller discussion of this matter, see Jonathan Leeman, "The Preemptive Resignation—A Get Out of Jail Free Card?," 9Marks Journal (November / December 2009), http:// www .9 marks .org /journal /preemptive -resignation -get -out -jail -free -card.